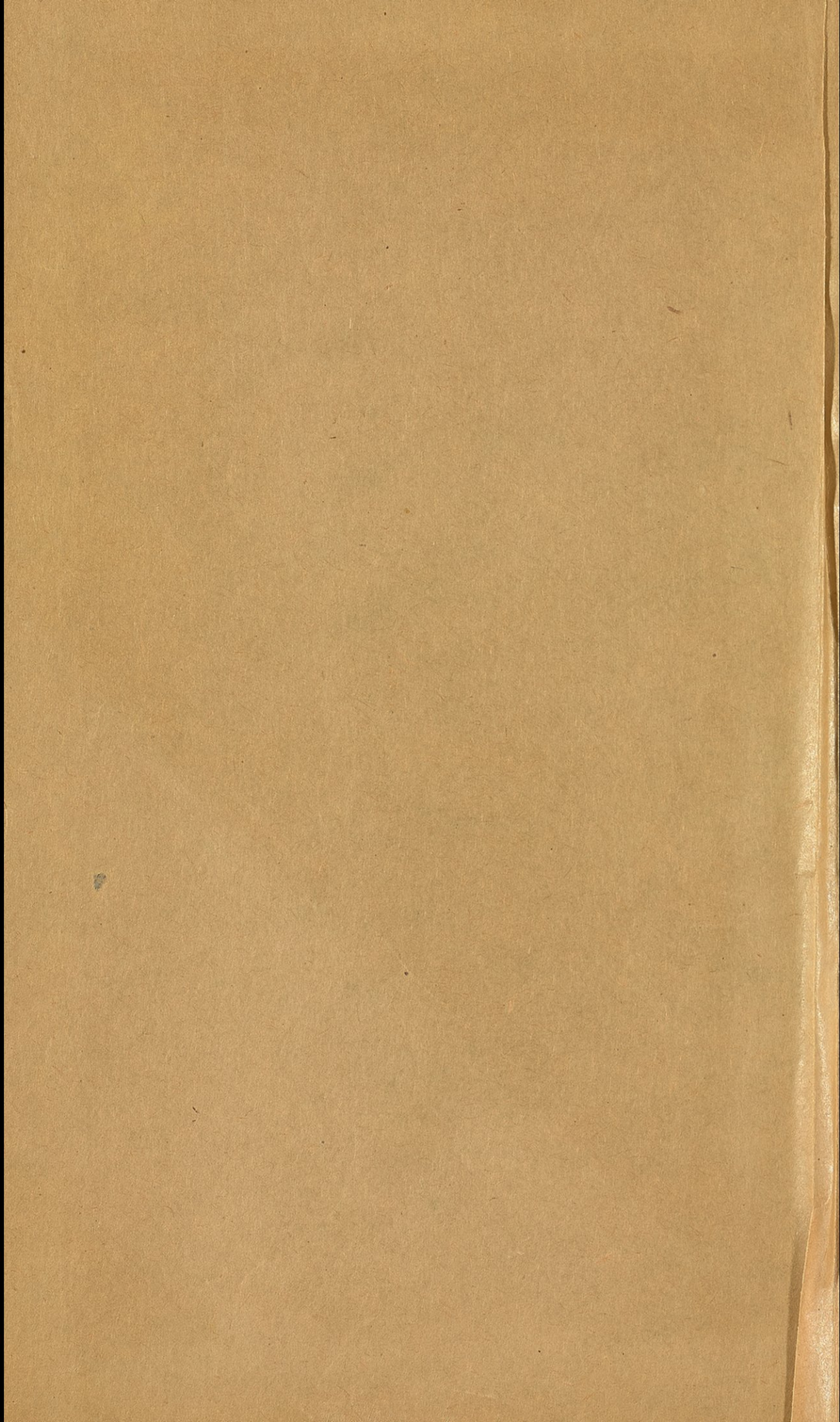
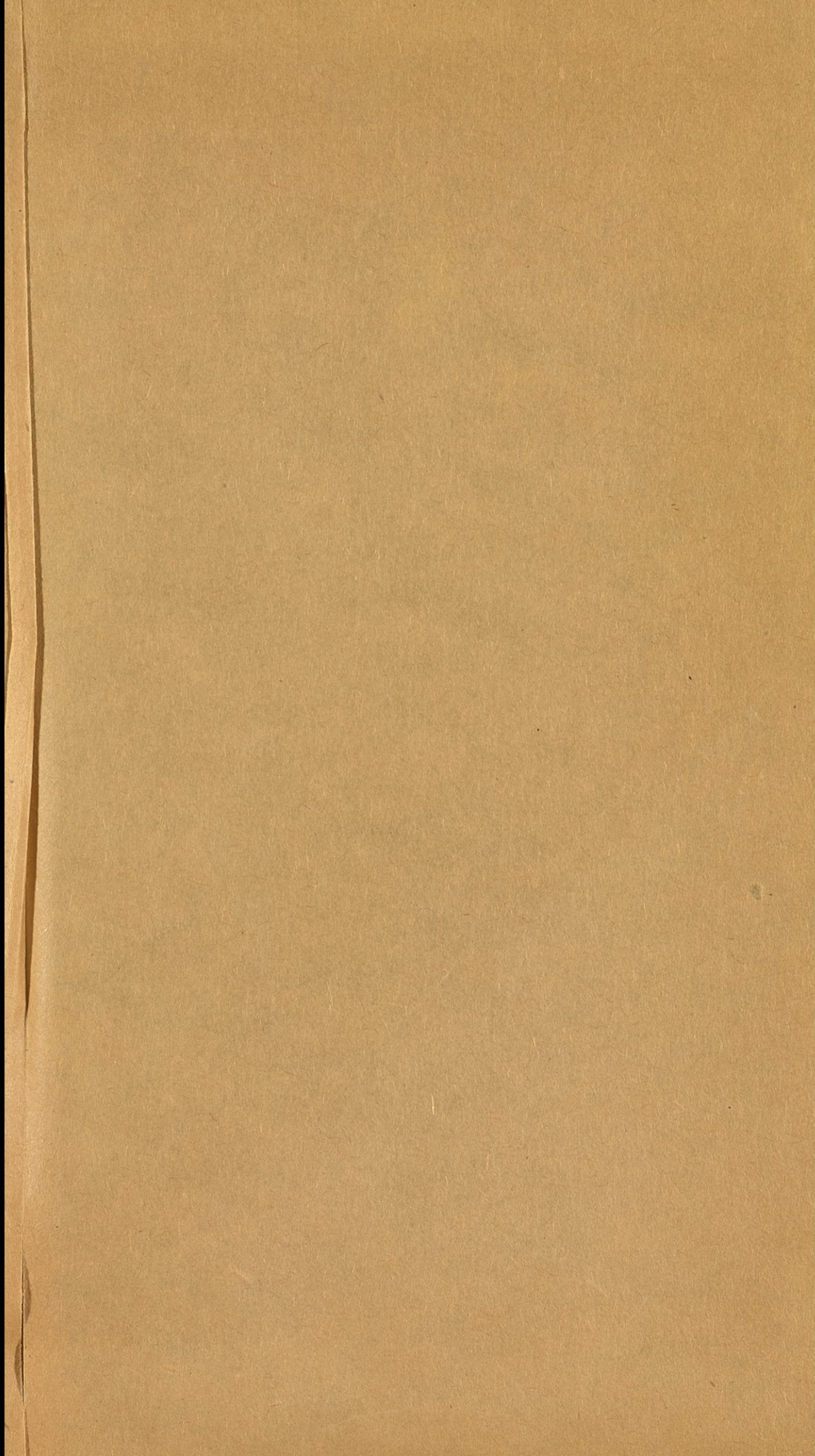


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES





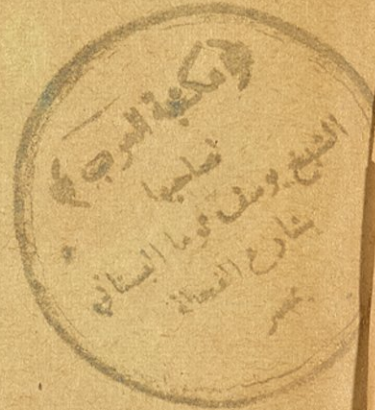


استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصري الوسيط

تأليف

الدكتور علي إبراهيم حسن

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي بجامعة فؤاد الأول
دكتور في الآداب برتبة الشرف الممتازة ، وماجستير
في الآداب ، و ليسانس في الآداب (جامعة فؤاد الأول)
و دبلوم المعلمين العليا



الناشر

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا - القاهرة

١٩٤٩

962
AH 27



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

بعد أن فرغت من تأليف كتاب « مصر في العصور الوسطى » وطبع مرتين في فترة وجيزة ، تبين لي مدى إقبال القارىء على دراسة تاريخ مصر في ذلك العصر . واتضح لي خلال دراستي لذلك العصر الطويل ، أن الباحث فيه يواجه طريقاً متشعباً الدروب والمسالك ، تكثفه الظلمة والغموض في كثير من أنحاءه ، مما يجعل سبيل التنقيب عما فيه من كنوز منزوية مطمورة أو آثار قيمة محتفية ، عسيرة شاقة .

ولذا كان الواجب ، وضع كتاب يهدى الباحث إلى اجتياز ما يقابله من المفاوز ، ويجد فيه قبساً يضيء له ما يواجهه من المشاكل ، كالسارى في الليل يأخذ بنور القمر وهدى عقله ، كي يقطع الطريق الذى يريد في طمأنينة وسلام ، وبذلك يدخل الباحث ساحة التاريخ المصرى الوسيط . مزوداً بأمثل الأدوات التى تعينه على الوصول إلى غايته فى سهولة ومن أقرب سبيل . وهذا الكتاب الذى أقدمه اليوم ، هو دليل الباحث فى تلك الفترة الزاهية الزاهرة المليئة بالأحداث الحافلة بجلائل الأعمال . فهو يبحث فى : الأسس التى يقوم عليها البحث التاريخى الصحيح ، وفى المصادر التى وضعها أعلام مؤرخى مصر فى العصور الوسطى ، وطرق مؤلفيها فى البحث ، وأسلوب كل منهم فى الكتابة ، وقيمة ما حوته مصادرهم من مادة ، مستشهداً باقتباسات عديدة مما ورد فى تلك المصادر عن حوادث ومسائل معينة كصداق لما ذهب إليه . ولم أعن كثيراً بالإسهاب فى تاريخ حياة هؤلاء

المؤرخين ، إلا بالقدر الذى يعرف بيئتهم وما كان لها من أثر فى نشأتهم وتدرجهم العلمى .

وهذه المصادر التى تناولتها بالدراسة ، سبق لى أن تناولتها خلال دراساتى العلمية وأثناء وضع مؤلفاتى التى بحثت فيها تاريخ مصر ، مثل : « جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمى » و « دراسات فى تاريخ المماليك » و « مصر فى العصور الوسطى » و « النظم الإسلامية » - فقد استخدمت تلك المصادر فى سبيل وضع هذه الكتب .

كذلك دفعنى قيامى بتدريس مواد : التاريخ الإسلامى العام ، وتاريخ مصر العام ، والتاريخ المصرى فى عصر الفاطميين ، والتاريخ المصرى فى عصر الأيوبيين والمماليك - فى كليتى دار العلوم والآداب ومعهد الآثار الإسلامية بجامعة فؤاد الأول - إلى متابعة دراسة تلك المصادر ، وتدوين الآراء والملاحظات عن كل منها .

هذا الكتاب هو « المفتاح » لدراسة التاريخ المصرى الوسيط : للمبتدئ فى دراسته ، ولمن يريد التعمق فيها من طلاب البحوث ومحبي الدراسات التاريخية المستفيضة . فقد تناول : مصادر الآثار ، ودواوين الشعراء ، ومصادر الرحالة والجغرافيين ، والمخطوطات ، ومصادر الأقدمين المنشورة ، مرتبة كلها على حسب سنة وفاة مؤلفيها التى أثبتتها بجانب اسم كل مؤرخ .

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل ، ويوفقنا إلى ما فيه خير الوطن وبنيه ، فهو لنا نعم المولى ونعم النصير .

محتويات الكتاب

مقدمة

الباب الأول

معالم التاريخ المصري الوسيط

صفحة	
١٧	مصر منذ الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية
٢٠	مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين
٢٥	مصر الفاطمية
٢٨	مصر في عصر الأيوبيين والمماليك
٣٥	فترات حكم هذه الدول

الباب الثاني

طرق البحث التاريخي

٣٧	أنواع مصادر البحث
٤٠	التفكير في موضوع البحث والاستقرار عليه
٤١	جمع المادة
٤٣	ترتيب المادة المجموعة
٤٤	كتابة البحث
٤٥	الأمر الواجب مراعاتها أثناء الكتابة

صفحة

٤٨	الحواشي
٥١	الملاحق والوثائق
٥٢	البحث في صيغته النهائية

الباب الثالث

أوراق البردى والكتابات الأثرية

٥٣	١ - أوراق البردى
	أدلف جروهمان : أوراق البردى العربية في دار الكتب المصرية .
	Adolf Grohmann
	Arabic Papyri in the Egyptian Library (Vol. I).
	ترجمه من الانجليزية إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن
٥٦	٢ - الكتابات الأثرية
٦٨	النقوش والمسكوكات والتحف والرنوك

الباب الرابع

الأدب والتاريخ

٦٨	١ - أبو الفرج الأصبهاني
	كتاب الأغاني
٧١	٢ - ابن هانيء الأندلسي
	ديوان ابن هانيء
٧٥	٣ - الشريف الرضي
	ديوان الشريف الرضي

صفحة	
٧٦	٤ - عمارة اليميني النسكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية
٨٠	٥ - القاضي الفاضل ديوان القاضي الفاضل
٨١	٦ - عماد الدين الأصفهاني خريدة القصر وجريدة أهل العصر

الباب الخامس

مصادر الرحالة والجغرافيين

مرتبة حسب وفاة مؤلفيها

٨٣	١ - اليعقوبي كتاب البلدان تاريخ اليعقوبي
٨٤	٢ - الاصطخرى مسالك الممالك
٨٥	٣ - المسعودي التنبيه والإشراف مروج الذهب ، ومعادن الجواهر أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثنان ، وعجائب البلدان
٨٧	٤ - المقدسي أحسن التقاسيم ، في معرفة الأقاليم
٨٨	٥ - ابن حوقل المسالك والممالك

- ٩٠ ٦ - البيروني
الآثار الباقية ، في القرون الخالية
- ٩١ ٧ - ناصر خسرو
سفرنامه
- ٩٣ ٨ - البكري
المغرب ، في ذكر بلاد افريقية والمغرب
معجم ما استعجم
- ٩٤ - الإدريسي
نزهة المشتاق ، في اختراق الآفاق
- ٩٦ ١٠ - السمعاني
كتاب الأنساب
- ٩٧ ١١ - أسامة بن منقذ
كتاب الاعتبار أو حياة أسامة
- ٩٨ ١٢ - ابن جبير
رحلة ابن جبير
- ١٠٠ ١٣ - ياقوت
معجم البلدان ، في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل
والوعر من كل مكان
إرشاد الأريب ، إلى معرفة الأديب
- ١٠٢ ١٤ - عبد اللطيف البغدادي
الإفادة والاعتبار ، في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة
بأرض مصر
- ١٠٤ ١٥ - ابن بطوطة
تحفة النظار ، في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

الباب السادس

المخطوطات الى نهاية القرن الثامن الهجرى

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفها

صفحة

- ١ - المسيحي ١٠٧
تاريخ مصر
- ٢ - القضاعى ١٠٨
كتاب الإنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين
- ٣ - ابن الجوزى ١٠٩
مرآة الزمان
- ٤ - ابن واصل ١١٠
مفرج الكروب ، فى تواريخ بنى أيوب
- ٥ - الدوادار ١١٣
زبدة الفكرة ، فى تاريخ الهجرة
- ٦ - النورى ١١٥
نهاية الأرب ، فى فنون الأدب
- ٧ - ابن شاهنشاه ١١٦
التبر المسبوك ، فى تواريخ الملوك
- ٨ - الجزرى ١١٧
تاريخ الجزرى
- ٩ - النهي ١١٨
تاريخ الإسلام
- ١٠ - العمري ١١٩
مسالك الأبصار ، فى ممالك الأمصار

- صفحة
- ١٢١ ١١- المقرئ
الجمان ، من مختصر أخبار الزمان
نثر الجمان ، في تراجم الأعيان
- ١٢٢ ١٢- النويرى الاسكندرى
الإمام ، بما جرت به الأحكام
- ١٢٤ ١٣- مخطوطات التاريخ الحربى
بكتوت الرماح . نهاية السؤل والأمنية ، فى تعليم الفروسية
ابن ارنبغا الزردكاش : الأنيق فى المجانيق
الأشرفى : غنية الطلاب ، فى معرفة الرمى بالنشاب
القر محمد بن منكلى : الأحكام المملوكية ، والضوابط الناموسية
المؤلف مجهول الاسم : كتاب الفروسية

الباب السابع

مصادر الأقدمين المنشورة إلى نهاية القرن الثامن الهجرى

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

- ١٢٧ ١- ابن عبد الحكم
كتاب فتوح مصر والمغرب
- ١٢٩ ٢- الطبرى ، وعريب بن سعد ، ومسكويه ، وأبو شجاع ، وابن الأثير
الطبرى : تاريخ الأمم والملوك
عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى
مسكويه : تجارب الأمم وتعاقب الهمم
أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم أو تاريخ أبى شجاع
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ

- صفحة
- ٧ - سعيد بن بطريق ١٣٢
- نظم الجواهر أو التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق
- ٨ - ابن الداية ١٣٣
- سيرة ابن طولون
المكافأة
- ٩ - البلوى ١٣٤
- كتاب سيرة ابن طولون
- ١٠ - السكندی ١٣٧
- كتاب ولاية مصر ، ومن ولي الصلاة ، ومن ولي الحرب والشرطة
منذ فتحت إلى زماننا ، المنشور باسم « كتاب الولاية والقضاة »
- ١١ - ابن زولاق ١٣٨
- كتاب فضائل مصر وأخبارها وخواصها
العيون الدعج ، في حلى دولة بني طنج
أخبار سيوييه المصرى
- ١٢-١٦ البغدادى ، والماوردى ، وابن حزم ، والطوسى ، والشهرستانى ١٤١
- البغدادى : الفرق بين الفرق
الماوردى : الأحكام السلطانية
ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل
الطوسى : فهرست كتب الشيعة
الشهرستانى : الملل والنحل
وهى كتب الملل والنحل والنظم
- ١٧ - هلال الصائى ١٤٣
- تحفة الأمراء ، فى تاريخ الوزراء
- ١٨ - ابن منجب ١٤٤
- الإشارة ، إلى من نال الوزارة

- ١٤٤ ١٩- ابن القلانسي .
تاريخ ابن القلانسي
- ١٤٥ ٢٠- أبو صالح الأرميني .
تاريخ كنائس وأديرة مصر
- ١٤٧ ٢١- ابن ممتي .
كتاب قوانين الدواوين
- ١٥٠ ٢٢- ابن شداد .
النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية
- ١٥٠ ٣٣- أبو شامة .
كتاب الروضتين ، في أخبار الدولتين
- ١٥٢ ٢٤- ابن ميسر .
أخبار مصر
- ١٥٣ ٢٥- ابن أبي أصيبعة .
كتاب عيون الأنباء في أخبار الأطباء
- ١٥٢ ٢٦- المراكشي .
كتاب المعجب ، في تلخيص أخبار المغرب
- ١٥٣ ٢٧- مفضل بن أبي الفضائل .
النهج السديد ، والدر الفريد ، فيما بعد تاريخ ابن العميد
- ١٥٤ ٢٨- ابن خلكان .
وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان
- ١٥٥ ٢٩- ابن طباطبا .
الفخرى في الآداب السلطانية ، والدول الإسلامية
- ١٥٦ ٣٠- أبو الفداء .
المختصر ، في أخبار البشر
- ١٥٨ ٣١- العمري .
التعريف ، بالمصطلح الشريف

صفحة ١٥٩

٣٢- الكتبي

فوات الوفيات

عيون التواريخ

الباب الثامن

مصادر الأقدمين المخطوطة والمنشورة في القرن التاسع الهجري

مرتبة حسب سنة وفاه مؤلفيها

١ - ابن خلدون ١٦١

المقدمة

العبر ، وديوان المبتدا والخبر

٢ - ابن دقاق ١٦٣

الانتصار ، لواسطة عقد الامصار
الدر الثمين ، في سير الملوك والسلاطين
نزهة الأنام ، في تاريخ الاسلام

٣ - القلقشندی ١٦٤

صبح الأعشى ، في صناعة الإنشا
ضوء الصبح المسفر ، وجنى الدوح المثمر

٤ - المقرئى ١٦٩

المواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار
جواهر الأسفاط ، في أخبار مدينة القسطنطينية
اعتاظ الحنفا ، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء
السلوك ، لمعرفة دول الملوك
التاريخ الكبير المقفى
إغاثة الأمة ، بكشف الغمة

صفحة

- ١٧٧ ٥ - ابن حجر العسقلاني
رفع الإصر ، عن قضاة مصر
الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة
أبناء العمر ، بأبناء العمر
- ١٨٩ ٦ - العيني
عقد الجمان ، في تاريخ أهل الزمان
- ١٨٠ ٧ - ابن الجيعان
التحفة السنوية ، بأسماء البلاد المصرية
- ٨ - خليل بن شاهين الظاهري
زبدة كشف الممالك ، وبيان الطرق والمسالك
- ١٨٥ ٩ - أبو المحاسن
النجوم الزاهرة ، في ملوك مصر والقاهرة
المنهل الصافي ، والمستوفى بعد الوافي
حوادث الدهور ، في مدى الأيام والشهور .
- ١٨٨ ١٠ - السخاوي
التبر المسبوك ، في ذيل السلوك
الإعلان بالتويخ ، لمن ذم التاريخ
تناسق الدرر ، في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر
تحفة الأحباب ، وبغية الطلاب ، في الخطط والمزارات ،
والبقاع المباركات .
الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع
- ١٩١ ١١ - السيوطي
حسن المحاضرة ، في أخبار مصر والقاهرة
تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، القائمين بأمر الأمة
الكاوي ، في الرد على تاريخ السخاوي

- صفحة
١٢- ابن إياس ١٩٤
تاريخ مصر ، المعروف باسم بدائع الزهور في وقائع الدهور
نشق الأزهار ، في عجائب الأقطار
١٣- الخالدي ١٩٦
المقصد الرفيع المنشا ، الهادي لديوان الانشا

لوحات

- ١- ورقة بردى كاملة ٥٥
٢- ورقة بردى غير كاملة ٥٧
٣- دينار من عهد السلطنة شجرة الدر (٥٦٤٨ = ١٢٥٠م) ٥٩
٤- شاهد عليه نقوش تاريخية ٥٩
نقلا عن كتاب الفن الإسلامي في مصر ، للأستاذ الدكتور زكي محمد حسن
٥- كرسى من النحاس ، عليه كتابات فيها ألقاب السلطان الناصر محمد ،
وهو على شكل منشور ، ذي ستة أصلاع ، مطعم بالذهب والفضة ،
ومخرم ، وسطحه وجوانبه مزينة بالزخارف الهندسية
٦- قطع من الفخار المظلي بالميناء الصفراء ، عليها رنوك من عصر المماليك ٦٣
٧- صفحة من مخطوط « قوانين الدواوين » لابن مماتي ، قبل نشره ١٠٦

كشاف

- عن الأعلام والبلدان ٢٠٠

بعض مراجع^(١) موضوع « طرق البحث التاريخي » :

Langlois, Ch. & Seignobos, Ch. — ١
Introduction aux Etudes Historiques (Paris, 1898).
English Translation by G. B. Berry (London, 1912).

Crump, C. G. — ٢
History and Historical Research (London, 1928).

Fling, F. M. — ٣
The Writing of History (Yale, 1926).

Oman, Sir Ch. — ٤
On the Writing of History (London, 1939).

٥ — أسدرستم
« مصطلح التاريخ »
(بيروت ١٩٢٩)

F. J. C. Hearnshaw — ٦
هرنشو
« علم التاريخ »
(القاهرة ١٩٣٧ و ١٩٤٩)
ترجمه عن الإنجليزية الأستاذ عبد الحميد العبادي

٧ — حسن عثمان
« منهج البحث التاريخي »
(القاهرة ١٩٤٣)

(١) أثبت المؤلف هذه المراجع في هذا الموضوع ، تنمة لمراجع الكتاب ، التي أوضحها المؤلف في « محتويات الكتاب » إذ أنها تشمل أسماء المؤرخين ومصادرهم ، التي فصل الكلام على كل منها .

الباب الأول

معالم مصر الإسلامية في العصور الوسطى

مصر منذ الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية — مصر في عهد الطولونيين
والاخشيديين — مصر الفاطمية — مصر في عصر الأيوبيين والمماليك —
فترات حكم هذه الدول .

مصر منذ الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية .

كانت مصر قبيل الفتح العربي ولاية رومانية على جانب كبير من الضعف
والانحلال ، إذ حرم المصريون في تلك الفترة من عضوية المجالس النيابية
كى لا يشتركوا في حكم بلادهم ومنعوا من الاشتراك في الجيش حتى لا تكون
لهم قوة حربية تستطيع مقاومة المحتلين من الروم . كذلك كانت أحوال مصر
الاقتصادية تسير من سيء إلى أسوأ ، وازدادت حالتها المالية تعقداً على مر
الأيام بسبب شطط الروم في جمع الضرائب ، حتى ضاقت على المصريين سبل
العيش . وما زاد في كراهية المصريين للروم ، تلك الاضطهادات الدينية
الشديدة التي كان يرزح تحتها القبط سكان البلاد على يد حكامهم الرومان .
وكانت كراهية المصريين للرومان وسوء حالتهم السياسية والاقتصادية والدينية ،
عما شجع الدولة العربية الناشئة على فتح مصر على يد عمرو بن العاص .

تم لعمر وفتح مصر سنة ٥٢٠ هـ . ومنذ ذلك الوقت تحولت هذه البلاد إلى ولاية عربية تابعة للخلافة الإسلامية ، وظلت على هذه التبعية أكثر من قرنين وربع قرن . وكان عمرو بن العاص فاتح مصر أول وال عليها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب ، وتعد فترة ولايته على تلك البلاد فترة تطور في أحوال مصر الاقتصادية والسياسية والدينية : فقد خفف عمرو عبء الضرائب عن كاهل المصريين ، وأوجد نظاماً للحكم تختلف عما كانت عليه في عهد الرومان مراعي اقتباس ما يصلح من النظم الرومانية لحكم تلك البلاد ، ومن الناحية الدينية اتبع سياسة التسامح الديني وأزال الأحقاد التي كانت متأصلة في نفوس الحكوميين من المصريين أيام حكامهم الرومان . وأسس عمرو مدينة القسطنطينية التي كانت أول حاضرة لمصر الإسلامية ، وبنى بها جامعاً عرف باسمه كما أطلق عليه كذلك المسجد العتيق وتاج الجوامع وجامع الفتح والمسجد الجامع باعتباره أول مسجد بني في مصر لإقامة صلاة الجمعة . وأدخل عمرو بن العاص ضرباً باشتى من الإصلاحات لم يتمكن غيره من حكام مصر وولايتها أن يأتوا بمثلهما حتى قامت الدولة الطولونية . وبذلك تعتبر فترة حكم عمرو بن العاص لمصر فترة انتعاش وتقدم .

كان عهد الأمويين والعباسيين في مصر قبل قيام الدولة الطولونية ، عهد فتن واضطرابات وعدم استقرار في أحوال البلاد العامة إذا ما قورن بعهد الخلفاء الراشدين في مصر ، وخاصة فترة ولاية عمرو بن العاص . فقد ولي مصر منذ وفاته سنة ٤٣ هـ إلى قيام الدولة الطولونية في سنة ٢٥٤ هـ ، تسعة وتسعون والياً . ولي بعضهم الحكم مرتين والبعض الآخر ثلاث مرات ، وكان متوسط حكم الوالي منهم لا يزيد على سنتين بكثير بل لم يبلغ هذا القدر في كثير من الأحيان ، اللهم إلا ولاية عبد العزيز بن مروان التي ظلت إحدى وعشرين سنة . فلا عجب إذا لم تستفد البلاد في ذلك العهد : لأن قصر عهد

الولاية ، وعملهم على سد جشعهم وتزعزع مراكرهم ، قد حال دون ما كانت
ترجوه البلاد من تقدم ورقى . وبذلك يمكن القول إن كل الإصلاحات في
الفترة السابقة إنما تمت في عهد ولاية عمرو ، وأن حكم الأمويين والعباسيين
بعد ولايته قد اكتنفه شيء كثير من الغموض والإبهام .

على أنه كان من المنتظر أن تتمتع مصر بشيء كثير من الراحة والنظام نينة
في ظل الحكم الإسلامي ، بعد أن تخلى المصريون من تلك الاضطهادات التي
تعرضوا لها في عهد الرومان . ولكن السياسة التي سار عليها الخلفاء وعملهم في
مصر وسائر الولايات الإسلامية بعد وفاة عمرو بن العاص والتي كانت تقوم
على الشدة في جمع الضرائب والقسوة في معاملة الأهاليين ، هي التي أدت إلى ذلك
الجمود وما صحبه من الفتن والثورات . وكان بقاء الوالي في حكم مصر متوقفا
على تنفيذ أوامر الخلفاء والسير وفق سياستهم ، التي كانت ترمى إلى جمع أكثر
ما يمكن من الخراج ، مهما حاق البؤس بالناس وحل بهم الشقاء . ولذا نقرأ
كثيرا في مصادر الأقدمين عن نشوب الثورات والفتن الداخلية التي كان يذكي
فيرانها القبط والعرب جميعا . وبرغم ذلك كله عرف بعض الولاية بحسن السير
كمسلمة بن مخلد وعبد العزيز بن مروان ، على حين أخذ على أكثرهم ما أتوه من
ضروب العسف وصنوف القسوة والجبروت إلى جانب افتقارهم إلى الأمانة
والفضيلة .

وفي عهد العباسيين ، تأسست الحاضرة الثانية لمصر الإسلامية سنة ١٣٣ هـ
وتقع في ذلك الفضاء الواسع إلى الشمال الشرقي من القسطنطينية وقد أطلق عليها
اسم العسكر ، ثم بنى مسجد العسكر الذي أصبح ثاب المساجد الجامعة في مصر
بعد جامع عمرو . وكان عنبسة آخر من ولي مصر من العرب . فإن الخليفة المعتصم
العباسي (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) بدأ عهده بأن أسقط العرب من ديوان الجيش
وأحل الأتراك محلهم . واتخذ تلك الخطوة الجريئة بعد أن رأى أن دولته

الواسعة لا بد أن يقوم بحراستها جيش قوى ، فاستكثر من الأتراك وأسند إليهم المناصب العالية وقدمهم الولايات الكبيرة .

وقد ظلت مصر تحت حكم ولاية من الأتراك كانوا يقطعون هذه الولاية على أساس النظام الإقطاعي ، بمعنى أنهم كانوا يلون حكمها بشرط أن يؤدوا جزية معلومة لدار الخلافة العباسية . واستمرت البلاد على ذلك إلى شهر رمضان سنة ٢٥٤ هـ حيث ولى أمور مصر ، من قبل هؤلاء الولاية الأتراك ، أحمد بن طولون الذى أسس فى مصر دولة جديدة عرفت باسم الدولة الطولونية .

مصر فى عهد الطولونيين والاضميريين :

حكمت الدولة الطولونية مصر زهاء ثمانية وثلاثين عاماً ، انتعشت فيها البلاد ، واستردت قوتها وعظمتها ، فراجت تجارتها ، ونشطت صناعتها ، وزراعتها ، وقوى الجيش ، وأنشئ أسطول بحرى ، وأصبحت مصر امبراطورية شاسعة تمتد من العراق إلى برقة بما فى ذلك الشام وفلسطين . وكان عهدا عهد سلام ورخاء ، ونهوض بفن العمارة والنقش والزخرفة ، وتشجيع للعلم والعلماء .

وكان أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية أول حاكم مستقل لمصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، فقد كان إشراف الخلافة العباسية على الطولونيين إشرافاً صورياً لا قيمة له ، حتى عد المؤرخون بدء قيام الدولة الطولونية فى مصر بدء عهد الاستقلال فى تاريخ مصر الوسيط . ورغم ذلك قامت بين ولاية مصر والخلفاء العباسيين علاقات من شأنها أن أصبح هؤلاء يؤدون للخليفة الجزية السنوية ، وينقشون إسمه على السكة ، ويدعون له على المنابر .

غير أن ابن طولون قد صادف كثيراً من الصعاب بعد أن آل إليه أمر مصر ، ولكنه استطاع بفضل ما أوتيته من الحزم والشجاعة أن يتغلب عليها ، ومن هذه الصعاب : منافسة أحمد بن المدبر وإلى الخراج على مصر ، وهذه الثورات التي أشعل نارها ذوو المآرب وخاصة تلك الثورة التي قام بها ابنه العباس . ولكن ابن طولون ما كاد يتخلص من الفتن الداخلية حتى واجهته مشكلة خارجية أجل شأنها وأعظم خطراً ، هي تفاقم العداء بينه وبين الموفق بالله أبي أحمد طلحة أخى الخليفة المعتمد العباسي وصاحب الأمر والنهي في بغداد .

وكان لهذه الثورات والمشاكل أسوأ الأثر في مصر ، فقد نغصت على ابن طولون حياته وأقلقت باله ، وعاقته عن إتمام كثير من أعمال الإصلاح التي قام بها منذ ولى أمور مصر . على أنه برغم ذلك كله قد خلف لنا عدة آثار قد زالت كلها إلا جامعته المعروف باسمه . على أن هذه الآثار لا تزال عالقة في أذهان المؤرخين : فمن ذلك تأسيس القطاعات حاضرة الطولونيين ، وجامع ابن طولون وبناء القصر أو الميدان ، ودار الأمانة ، والمارستان ، والقناطر أو السقاية ، والحصن الذي أقامه في الروضة ، وإصلاح مقياس الروضة ، وتحصين الشغور .

توفي ابن طولون في العاشر من شهر ذي القعدة سنة ٢٧٠ هـ وهو في الخامسة والخمسين من عمره ، وكان قد ولى هذه البلاد ست عشرة سنة ، ثم خلفه ابنه خماروية . ومن أبرز الحوادث التي وقعت في عهده ، تطور ذلك العداء الذي كان قائماً بين ابن طولون وأبي أحمد الموفق طلحة إلى تبادل أوامر الصداقة بين خماروية والموفق . فإن تلك الصداقة قد جعلت حكم مصر وراثياً لخماروية وأولاده من بعده ثلاثين سنة تبتدئ من سنة ٢٧٩ هـ . ولم تقتصر أهمية ذلك الحلف على تقرير مبدأ الوراثة في تولى الولاية في مصر من أسرة معينة ، بل إنه كان أول حادث خطير في نظام الحكم في مصر منذ عهد تبعيتها

للخلفاء الراشدين إثر الفتح العربي على يد عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ . كذلك كان لهذا الخلف خطر من الناحية السياسية ، لأنه قضى على نظام تولية مصر ولاية من الأتراك من قبل دار الخلافة . ويمكن القول إن قيام دولة ابن طولون كان الحد الفاصل بين نظام الولاية القائم على الفوضى والاضطراب والذي ظل في مصر أكثر من قرنين ونصف ، ونظام الولاية الذي يقوم على الوراثة في الأسرة الطولونية ، تلك الأسرة التي يجب أن نشيد بذكورها ونرفع من قدرها ، لأن عهدها كان من أزهر عهود الاستقلال في تاريخ مصر السياسي في العصور الوسطى .

كانت مصر في عهد خماروية تستند إلى بيت مال عامر ، فقد وسع ذلك الأمير مدينة القطائع وجملها ، واستطاع أن يبذل الأموال الضخمة في تجهيز ابنته إلى الخليفة العباسي المعتضد ، وغلا في ذلك الجهاز مما أدى به وبيت مال مصر إلى الإفلاس . وإن زواج الخليفة العباسي من ابنة خمارويه ليدل دلالة واضحة على مبلغ حرص الدولة العباسية على المحافظة على ودمصر ، مع أن مصر لم تعد في ذلك الحين أن تكون إحدى الولايات التابعة لها . ولا شك أن ذلك كان راجعا إلى قوة مصر وثروتها واتساع رقعة البلاد التي كانت تحت سلطانها حتى أصبحت بحيث يرغب الخليفة نفسه في مصاهرة أميرها ، على أن الإسراف في إعداد ذلك الجهاز قد أدى إلى إفقار خمارويه وحكومة مصر .

توفي خمارويه سنة ٢٨٢ هـ . ومن ثم أخذت الدولة الطولونية في الضعف والانحلال ، وتولى زمامها طائفة من أفراد البيت الطولوني تنقصهم الحسنة السياسية ، ويستندون إلى خزانة تركها خمارويه خالية من الصفراء والبيضاء .

زالت الدولة الطولونية في سنة ٢٩٢ هـ ، وكان الخليفة العباسي المكتفي

قد أرسل قائده المشهور محمد بن سليمان السكاتب لاسترداد مصر بعد ما تبين له ضعفها وعزم على إعادتها إلى سلطانه ، فنزل ابن سليمان القسباط ، ثم سار منها إلى القطائع حاضرة الطولونيين إذ ذاك ، وأشعل فيها النار . وهكذا قضى على الدولة الطولونية وخربت القطائع وأضحت أطلالا دارسة ، وأصبحت تلك المدينة الزاهرة أثرا بعد عين ، ولم يبق منها غير المسجد الجامع .

وبعد سقوط الدولة الطولونية ، عادت مصر إلى عهد التبعية المطلقة للعباسيين . إلا أن الاضطرابات استمرت في هذه البلاد : لضعف الخلفاء العباسيين في بغداد وعجزهم عن المحافظة على سلطانهم فيها ، وأصبح الوالى من الضعف بحيث استبد به الجنند . ولم تستفد مصر في هذه الفترة التي تلت سقوط الطولونيين في سنة ٢٩٢ هـ حتى وليها الإخشيديون في سنة ٣٢٣ هـ غير اضطراب أحوالها وطمع الغزاة في الاستيلاء عليها .

وبقيام الدولة الإخشيدية سنة ٣٢٣ هـ ، دخلت مصر في دور جديد من أدوار التقدم والعمران . كان محمد بن طنج الإخشيد مؤسس هذه الدولة ، أحد ولاة مصر في تلك الفترة التي تلت سقوط الطولونيين (٢٩٢ - ٣٢٣ هـ) . وقد استطاع في عهد ولايته الثانية (٣٢٣ - ٣٣٤ هـ) على تلك البلاد أن يؤسس هذه الدولة ، وأن يثبت سلطانه بعد ذلك في مصر والشام ، ويصد عن مصر خطر الفاطميين الذين حاولوا الإغارة عليها وغزوها وأرسلوا إليها الحملة تلو الحملة ، كما استطاع أن يكسب ثقة الخلافة العباسية وتقديرها . وقام بكثير من ضروب الإصلاح ، فتحسنت أحوال البلاد الاقتصادية ، وانتشلت من تلك الهوة التي انحدرت إليها منذ سقوط الدولة الطولونية .

كان الإخشيد حاكما عظيما ، تدين له كل من مصر والشام والحجاز ،

ولا غرو فقد عرف كيف يسوس المصريين ، ويعيد النظام والسكينة محل
الفوضى والاضطراب ، حتى تمتعت البلاد في عهده بالاستقلال الذاتي، ونعمت
بشيء غير قليل من الراحة والطمأنينة .

وقد عاش الإخشيد طوال حياته عزيزا كريما ، ولما شعر بدنو أجله
عهد بالسلطة إلى ولده أبي القاسم أنوجور، على أن يكون كافور وصيا عليه .
مات الإخشيد في دمشق في ٢٢ ذى القعدة سنة ٣٣٤ هـ وقد أقام فيها بعد انتهاء
حروبه مع سيف الدولة الحمداني ، وكان في السادسة والستين من عمره ، ونقل
إلى بيت المقدس ، ودفن بها ، بعد أن ولي مصر وما يليها من البلاد أحد عشرة
سنة وثلاثة أشهر .

كان أنوجور عند ما تولى حكم مصر سنة ٣٣٤ هـ لا يزال طفلا لم يتجاوز
الرابعة عشرة من عمره ، فقام بتدبير أمره كافور الذي أصبح صاحب السلطان
المطلق في إدارة شؤون الدولة الإخشيدية ، وظل معه أنوجور مسلوب
السلطة حتى مات في ٨ من ذى القعدة سنة ٣٤٩ هـ . ثم خلفه في حكم مصر أخوه
أبو الحسن علي بن الإخشيد ، ولكن كافورا ظل يباشر الأمر بنفسه ، وأصبح
أبو الحسن أسيرا في قصره إلى أن مات في سنة ٣٥٥ هـ .

وقد بقيت مصر بغير أمير نحو من شهر . وفي المحرم من سنة ٣٥٥ هـ
أخرج كافور كتاب الخليفة العباسي بتقليده ولاية مصر ، التي دامت زهاء
سنتين وأربعة أشهر ، وكان عهده عهدا أسود توالى فيه المصائب على هذه
البلاد ، وقاست الأمرين من القحط وتفشى النوباء واشتد الغلاء وكثر الموت
حتى توفي في شهر جمادى الأولى سنة ٣٥٧ هـ .

ولما مات كافور، اختار الجند ورجال البلاط في مصر ، أبا الفوارس أحمد
ابن علي بن الإخشيد واليا على هذه البلاد ، وكان طفلا ضعيفا لم يبلغ الحادية

عشرة من العمر . فاضطربت أحوال البلاد ، وظلت على هذه الحال عدة أشهر خضعت فيها لسلطان الإخشيديين الإسمية ، ووصلت فيها إلى حالة يرثى لها من الفوضى والاضطراب ، ولم يستطع العباسيون أن يقبضوا على زمام الأمور ، لأن الخليفة العباسي كان إذ ذاك ضعيف الجانب مسلوب السلطة . لهذا لا تعجب إذا عجزت الدولتان الإخشيدية والعباسية عن صد هجمات المغيرين ، وانتهز الخليفة الفاطمي المعز لدين الله تلك الفرصة ، وأرسل حملته المشهورة ، لفتح مصر ، بقيادة جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ هـ .

مصر الفاطمية :

وبزوال سلطان الإخشيديين والعباسيين عن مصر ، أصبحت هذه البلاد مقرا لحكم الفاطميين ، ونافست القاهرة حاضرة الدولة الفاطمية الشيعية الفتية بغداد حاضرة الدولة العباسية السنية المتداعية .

حكم جوهر الصقلي مصر نيابة عن الخليفة المعز بين سنتي ٣٥٨ - ٣٦٢ هـ حيث حضر هذا الخليفة إلى مصر لتسلم مقاليد الأمور ونقل مقر الخلافة الفاطمية من المنصورة إلى القاهرة ، وهذه الفترة التي بلغت أربع سنوات ، تعتبر أدق فترات الحكم الفاطمي ، لأنها كانت فترة انتقال توقف عليها مصير الفاتحة ، دولة الفاطميين ، كما توقف عليها مصير أنصار الدولة البائدة ، دولة الإخشيديين (١) .

وكان جوهر أول من قام على تنفيذ السياسة الفاطمية التي كانت ترمي إلى إتخاذ مصر جسرا يعبر عليه الفاطميون إلى المشرق لتأسيس خلافة فاطمية شاسعة الأرجاء . ولم يقتصر فضل جوهر على تلك الفتوح الواسعة في المغرب ومصر والشام ، بل إنه أسس مدينة القاهرة رابعة حواضر مصر الإسلامية

(١) على ابراهيم حسن : جوهر الصقلي ، حيث تجد تفصيلا عن تاريخ حياة هذا القائد .

وأقام بها قصرًا لمولاه المعز ، كما أسس الجامع الأزهر ليتلقى فيه الناس عقائد المذهب الشيعي .

ولما رأى جوهر أن دعائم ملك الفاطميين قد توطدت في مصر والشرق ، كتب إلى المعز يستدعيه للحضور إلى مصر لتولى شئونها فوصل إلى القاهرة في سنة ٣٦٢ هـ ، وأصبحت القاهرة دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة ، وغدت مركزاً للإمبراطورية الفاطمية . ثم أخذ نشاط جوهر السياسي يقل شيئاً فشيئاً ، حتى توارى بعد قليل عن مسرح السياسة المصرية .

قام المعز منذ اعتلى عرش الخلافة الفاطمية في مصر ، بأعمال مجيدة تتجلى في توسيع رقعة الدولة الفاطمية في الشرق ، وفي نظم الحكم الفاطمية ، وفي تلك الفخامة التي كانت تصحب مواكبه . وقد سن لأول مرة في تاريخ الفاطميين سنة إقامة الولائم في قاعة الذهب بقصر الخلافة ، وفي تلك القاعة كان ينعقد مجلس الملك ، وظلت هذه السنة قائمة حتى نهاية عصر الفاطميين ، وبلغ عرشه الذي كان يجلس عليه من الفخامة والأبهة حداً عظيماً يفوق كل وصف (١) .

ولم يطل حكم المعز في مصر ، فقد توفي سنة ٣٦٥ هـ وخلفه ابنه العزيز . ويمتاز عهده باتخاذ خطوات جريئة في نشر الدعوة الشيعية والقضاء على السنة والعطف على النصارى واليهود الذين رفعهم إلى كرسى الوزارة وقلدهم أرقى مناصب الدولة حتى ظهر منهم في عهده ، يعقوب بن كلس وعيسى بن نسطوروس ومنشا ، وكان لابن كلس الفضل في توجيه نظر العزيز إلى تحويل الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية . وقام العزيز بتلك الفتوح العظيمة ، لتوسيع رقعة الدولة الفاطمية الشاسعة .

(١) راجع ما كتبه الدكتور علي إبراهيم حسن ، بعنوان « عظمة الفاطميين » ،

توفي العزيز سنة ٣٨٦ هـ وخلفه ابنه المنصور الذي تلقب بعبد توليته
الخلافة باسم «الحاكم بأمر الله» وكان حدثاً لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ،
ولما بلغ الخامسة عشرة انفرد بالسلطة . وكانت أحواله متضاربة متناقضة :
فقد نهى عن بيع الملوخية والجرجير والقرع لأنه أثر عن بعض أهل السنة
الإكثار من تناولها ، ومنع النساء من الخروج من منازلهن ، واشتد في معاملة
أهل الذمة وأمر بهدم بعض كنائسهم ثم عدل عن تلك السياسة ، واشتد في
معاملة السنين ولكنه ما لبث أن خفف من تشدده ، وكان لا يسير على
سياسة واحدة إلى النهاية إزاء طائفة بعينها . كما اشتغل الحاكم بعلم النجوم وادعى
علم الغيب وتجسم الإله في شخصه ، وشجع اعتقاده هذا الشعراء المتصلين
بالبلاط ، فلم يترددوا في أن ينسبوا إلى الحاكم بعض صفات الله . ومن
الأعمال التي خلدت اسم الحاكم « دار الحكمة » التي أسسها في سنة ٣٩٥ هـ
وألحق بها عدداً من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة ، كما ألحق بها أيضاً
مكتبة سميت « دار العلم » حوت ما لم يجتمع مثله في مكتبة من المكاتب .
على أن معتقداته الدينية وشدوذه السياسي قد أثارا سخط الأهالي عليه حتى
انتهى الأمر باغتياله في سنة ٤١١ هـ ، ويقال إن أخته ست الملك اشتركت
في تدبير قتله .

خلف الحاكم ابنه الظاهر فألغى كثيراً من القوانين التي أصدرها أبوه
وتوفي سنة ٤٢٧ هـ . ثم خلفه ابنه المستنصر وهو في السابعة من عمره ، وكان
أطول الخلفاء عهداً ، إذ ظل في الخلافة ستين سنة ، تقلبت البلاد فيها في
أدوار شتى وظهرت في أوائل خلافته (إلى سنة ٤٣٩ هـ) بمظهر العظمة والقوة .
غير أن مصر لم تتمتع بذلك الرخاء طويلاً وحلت بالقاهرة هذه المجاعة التي
عرفت «بالشدة العظمى» ، وفيها انقطع ماء النيل وأهملت الزراعة وندرت القوت .

ولما اشتد الحال هياً الله لمصر رجلاً عظيماً هو « بدر الجمالي » والى عكا
الذي قلده المستنصر الوزارة ، فأعاد إلى البلاد الأمن والنظام ، وانتهت
الشدة العظمى على يده في سنة ٤٦٥ هـ . وقد تولى الوزير بدر والخليفة المستنصر
في سنة ٤٨٧ هـ .

وقد أخذ الضعف يدب في جسم الدولة الفاطمية ، واستأثر الوزراء بالنفوذ
والسلطان ، وأصبح الخلفاء مسلوبين السلطة مع الوزراء الذين عملوا على اختيار
خلفاء صغار حتى لا يحولوا بينهم وبين تنفيذ مشيئتهم . ونبغ في هذا العصر
عدد من الوزراء نذكر منهم الأفضل بن بدر الجمالي في عهد المستعلي والأمر
والأكمل بن الأفضل في عهد الأمر والحافظ ، وبهرام ورضوان في عهد
الحافظ ، وابن السلار وابن مصال في عهد الظافر ، وطلائع بن رزيق وابنه
أبا شجاع العادل في عهد الفائز ، وشاور وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين
يوسف بن أيوب في عهد العاضد .

مصر في عصر الأيوبيين والمماليك :

وبوفاة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مصر سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) ،
عمل وزيره صلاح الدين يوسف بن أيوب على الاستقلال بمصر وتأسيس
دولة جديدة . وقد تم له ما أراد ، وأسس الدولة الأيوبية بعد أن ناضل
بقايا الفاطميين وأنصارهم في مصر وقضى على الفتن التي قامت في وجهه . ومن
بينها تلك الفتنة التي أذكي نيرانها الجند السودان بزعامة مؤتمن الخلافة نجاح ،
وتلك الحركة التي دعا إليها عمارة اليميني الشاعر المعروف ، وفتنة كرز الدولة
في أسوان وقوص . وقد ابتسم الحظ لصلاح الدين حين توفي سيده
وعدوه نور الدين في شهر شوال من سنة ٥٦٩ هـ ، وهو يتأهب لغزو مصر
وإخراج صلاح الدين منها .

كان صلاح الدين من أبرز شخصيات العالم الإسلامي ، وكان عصره من أزهى العصور : أخضع كل الإدارات الإسلامية الشامية ، وجمع دولة نور الدين تحت سلطانه ، وكرس حياته لنضال الصليبيين ، مما أعلى من قدر الدولة الأيوبية في نظر الدول الشرقية وقوى مركزها .

وقد نهج سلاطين الأيوبيين في مصر نهج صلاح الدين في القضاء على الصليبيين ، ووقفت تلك الدولة بذلك حجر عثرة في طريقهم وحالوا بينهم وبين تحقيق أطماعهم في الاستيلاء على مصر وسوريا . كما اهتم سلاطين الأيوبيين بالإصلاحات الداخلية ، فأقاموا المنشآت ، ونهضوا بالتعليم . إلا أن عهدهم قد تميز بقيام النزاع على عرش السلطنة ، مما أدى في النهاية إلى سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك .

* * *

يبدأ تاريخ المماليك السياسي في مصر باعتلاء السلطان أيك العرش في ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) وقد بقي في السلطنة حتى ٦٥٥ هـ وقضى فترة حكمه في القضاء على المناوئين لحكم المماليك . ولم يستمر ابنه علي في السلطنة طويلا ، فقد اغتصبها منه أتابعه سيف الدين قطز الذي هزم التتار في موقعي عين جالوت وبيسان في الشام ، ولكنه قتل وهو في طريقه إلى مصر ، وتولى قتله الأمير ركن الدين بيبرس العرش سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) .

يعتبر بيبرس من أعظم سلاطين المماليك ، وقد اجتمعت فيه صفات العدل والفروسية والإقدام . وأطرب المؤرخون في مناقبه بسبب ما ابتدعه من النظم والقواعد التي قوت أسس دولة المماليك : فقد نظم الأداة الحكومية ، واستحدث كثير آ من الوظائف الهامة ، وأدخل تعديلا جوهريا على النظام القضائي في مصر ، كما وجه عنايته إلى إعداد جيش قوى يكون عدة له في الحروب ليتمكن

من القيام بذلك الدور الذي قام به في محاربة الصليبيين كما فعل صلاح الدين من قبل . هذا إلى ما كان من محاربة المغول ، كما عمل بيبرس على إعادة الأسطول إلى ما كان عليه ، ودأب على ترقية شئون بلاده وتنمية مواردها ، فحفر الترع ، وأصلح الحصون ، وأسس المعاهد ، وبني المساجد .

وفي عهد بيبرس نقلت الخلافة العباسية إلى القاهرة سنة ٦٥٩ هـ لتوطيد سلطان المماليك في مصر ، كما استحدثت نظام ولاية العهد لأول مرة في تاريخ المماليك (٦٦٢ هـ) ، وورث العرش على هذا الأساس ابنه السعيد بركة خان ثم العادل بدر الدين سلامش اللذين استخف بهما أمراء مصر الأقوياء ، حتى تمكن الأمير سيف الدين قلاوون سنة ٦٧٩ هـ من اغتصاب العرش من سلامش بن بيبرس ، وجلس على عرش السلطنة وأسس بيت قلاوون الوراثة (٦٧٩ هـ) ، وظلت السلطنة في بيته يتوارثها أبناؤه وأحفاده حتى نهاية دولة المماليك البحرية سنة ٧٨٤ هـ . ثم خلفه ابنه الأشرف الذي لعب معه أمراء مصر الدور الذي لعب أبوه قلاوون مع سلامش ، وبيبرس مع قطز وانتهى الأمر بقتله سنة ٦٩٣ هـ ، بعد أن نجح في فتح عكا واستولى عليها من الصليبيين ، وكان قد استعصى أمرها على أبيه قلاوون مما خلد إسم خليل بين أبطال الحروب ، برغم قصر مدة جلوسه على عرش السلطنة المملوكية ، وانتقل الملك من بعده إلى أخيه الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١ هـ) .

اعتلى الناصر محمد عرش مصر ثلاث مرات : ظلت الأولى عاما واحداً ، أي من سنة ٦٩٣ هـ إلى سنة ٦٩٤ هـ ، ثم اغتصب الملك منه العادل زين الدين كتبغا فالمنصور حسام الدين لاجين ، واستمرت فترة اغتصابهما العرش أربع سنوات ، أي من سنة ٦٩٤ هـ إلى سنة ٦٩٨ هـ . وقد ظل الناصر سنتين أشبه

بسيجين في القلعة ، حتى أرسله لاجين (٦٩٦ هـ) إلى السكرك . ولكن ماتخلل عهد كتبغا ولاجين من حوادث واضطرابات وفتن وما انتاب البلاد من مظاهر الضعف والانحلال في أثناء حكمهما ، كان من أهم العوامل التي هيأت للناصر سبيل العودة إلى العرش . ومن ثم تبتدى مرحلة سلطنته الثانية التي تقع بين سنتي ٦٩٨ هـ و ٧٠٨ هـ .

وأظهر ما نلاحظه عن سلطنة الناصر الثانية تضيق الحناق عليه ، واستخفاف الأمراء بأمره وعدم اكرامهم لشأنه ، حتى إنه اضطر إلى الرحيل إلى السكرك للمرة الثانية ، وأقام في جو بعيد عن المؤامرات والدسائس التي كان يحكيها حوله خصومه من أمراء مصر الطامحين إلى النفوذ والسلطان ، غير أن رحيله عن حاضرة ملكه (٧٠٨ هـ) قد مكن بيبرس الجاشنكير من اغتصاب العرش لنفسه .

على أن ذلك لم يصرف الناس عن الناصر أو يضعف من اعتقادهم في أنه يستطيع وحده أن ينقذ مصر من الفوضى التي سادتها في أثناء حكم بيبرس الجاشنكير . فلا عجب إذا لم تنقطع المراسلات بين أمراء مصر من ناحية وبين الناصر محمد من ناحية أخرى يطلبون إليه العودة إلى بلاده ، ومن ثم هيأت أسباب عودته إلى مصر ، لبدأ سلطنته الثالثة (٧٠٩ هـ) التي ظل فيها حتى توفي سنة ٧٤١ هـ .

استمرت سلطنة الناصر محمد الثالثة اثنتين وثلاثين سنة متصلة ، انفرد فيها بحكم مصر ، وتمكن من القضاء على هؤلاء الذين اغتصبوا عرشه أو أقاموا الفتن وأثاروا الدسائس من حوله . وفي سلطنة الناصر الثالثة ازداد تعلق الشعب به لما أتاه من جميل الأعمال وما تكشف لشعبه فيه من جميل الخصال . وبذلك

تعتبر هذه الفترة بحق عهد سلطنه الناصر الحقيقية لأنه كان قبل ذلك آلة في أيدي الأمراء الأقوياء ، يجلسونه على العرش أو يصرفونه كما شاءت أهواؤهم .

يعتبر عصر الناصر محمد بن قلاوون الذي امتد فترة طويلة بلغت ثمانية وأربعين عاماً ، أزهى عصور دولة المماليك البحرية ، فقد توطدت فيه دعائم هذه الدولة ، وبدأت أساليب الحكم والإدارة في الاستقرار بفضل التجارب التي قامت بها حكومته ، وازدهرت الفنون حتى عد المؤرخون عصره أزهى عصور الفن في دولة المماليك خاصة وفي تاريخ مصر الإسلامية عامة .

وعند وفاة الناصر انطلقت السنة الشعراء لتأبينه والإشادة بذكوره وتقدير شخصيته وتعداد مناقبه . ولاغرو فقد كان الناصر العامل الأول في وضع أسس السياسة العامة للدولة المملوكية ، والمنفذ الأكبر لقواعدها ، والمثل الأعلى للسياسي المحنك ، إذ كان شديد البأس شديد الرأي مطلعاً على احوال مملكته محبوباً من رعيته مهيباً من أمراء دولته (١) .

وقد أطراه أبو المحاسن بعبارات مملوءة بالإعجاب والتقدير لمواهبه وأخلاقه ، ووصف ما تحلى به من حزم وشجاعة ودهاء وكياسة ، فقال : « أطول الملوك في الحكم زماناً (٢) وأعظمهم مهابة وأحسنهم سياسة ، وأكثرهم دهاءاً وأجودهم تدبيراً وأقواهم بطشاً وشجاعة . مرت به التجارب ، وقاسى الخطوب وباشر الحروب ، وتقلب مع الدهر ألواناً ، ونشأ في الملك والرياسة ، وله في ذلك الفخر والسعادة ، خليقاً بالملك والسلطنة . فهو سلطان ، وابن سلطان ،

(١) راجع : آراء في تاريخ دولة المماليك البحرية ، المجلد السابع ، ١٩٤٤ ،
للدكتور علي إبراهيم حسن

(٢) يقصد بالطبع أن مدة حكمه هي أطول مدة جلس فيها سلطان من سلاطين
دولة المماليك على عرش مصر .

ووالد ثمانية سلاطين من صلبه والملك في ذريته وأحفاده وعقبه ومماليكه
ومماليك مماليكه إلى أن تنقرض الدولة التركية ، فهو أجمل ملوك الترك
وأعظمهم بلا مدافع . (١)

تعاقب على عرش مصر بعد الناصر أولاده وأحفاده ، واحد بعد واحد ،
ثلاثاً وأربعين سنة (٧٤١ - ٧٨٤ هـ = ١٣٤٠ - ١٣٨٢ م) . وقد بلغ عدد
هؤلاء السلاطين الذين حكموا مصر من بيت الناصر ثمانية أولاد وأربعة
أحفاد ، بلغ متوسط حكم الواحد منهم ثلاث سنوات ونصف سنة . ويتميز
عهدهم بصغر سن السلاطين ، وقصر مدة حكمهم لسهولة خلعهم على يد أمراء
مصر ، ثم لظهور نفوذ الأتابكة ظهوراً واضحاً اشتداد التنافس بينهم ، حتى أصبح
هؤلاء السلاطين أشبه بالأعيب في أيديهم يعزلونهم أو يبقونهم حسب
مشيئتهم ، لذلك ضعفت الدولة المملوكية بعد وفاة الناصر محمد واضطربت
أحوالها وكثرت الفتن والفتن في جميع أرجائها .

وفي الواقع ، لم تكن هناك غير نهاية واحدة لهذه المجموعة من الدمى ، التي
تبوات عرش مصر بعد وفاة الناصر ، وقبضت على السلطة بصفه إسميه . وكان
من الطبيعي أن يغتصب العرش أمير قوى كما فعل بيبرس وقلاوون من قبل ،
وكان هذا الأمير في تلك المرة برقوق الذي تغلب على منافسيه من أمراء العصر
واحداً بعد واحد ، ثم خلع آخر سلاطين بني قلاوون سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م)
وأسس دولة المماليك البرجية ، وبذلك زال الملك عن بيت قلاوون بعد أن
حكم مصر مائة وثلاث سنين ، قبض فيها قلاوون وابناه الأشرف خليل
والناصر محمد على زمام الأمور ، على حين حكم غيرهم من ذرية قلاوون حكماً
صورياً ، حتى إن كلا منهم لم يكن أكثر العوبة في أيدي الأمراء .

سميت دولة المماليك الثانية « البرجية » تمييزاً لهم عن المماليك البحرية

(١) النجوم الزاهرة (مخطوط) ج ٤ القسم الثاني ص ٢٧٤ .

الذين أقاموا في أبراج القلعة . وأبرز مظاهر هذه الدولة ذلك الاضطراب الداخلي الذي ساد عصرها ، فقد اعتلى سلاطينها العرش بعد انقلابات سياسية ، حتى إن عهدهم قد طبع بطابع الفتن والثورات التي كانت تقوم بين حين وآخر . ولم تكن هذه الحروب الداخلية ، كل ما منيت به مصر في عهد المماليك البرجية ، بل كانت هنالك اضطرابات جاءت من الخارج ، فقد اعتاد أمراء سوريا أن يقوموا بحركات ثورية عنيفة ، شغلت جزءاً كبيراً من جهود السلاطين . أضف إلى ذلك غارات البدو المتكررة على مصر ، وغزوات المغول وخاصة في عهد زعيمهم تيمورلنك ، ومضايقات قراصنة الفرنجة في البحرين الأبيض والأحمر ، مما أدى إلى سوء تفاهم بين السلاطين والبابا . هذا إلى منافسات السلاطين العثمانيين لحكام مصر ، حتى أصبحت الدولة العثمانية أعداء المماليك ، وأتيح لها في النهاية أن تحكم مصر وتقضي على دولتهم .

أصبحت مصر في عصر المماليك امبراطورية شاسعة الأرجاء ، ممتدة الأطراف ، وغدت القاهرة قبلة الأنظار وكعبة القصاد ، ومركز الزراعة والتجارة والصناعة ، بفضل تلك الأموال الوفيرة التي كان ينفق منها على وجوه الإصلاح التي كانت من أهم مظاهر ذلك العصر : من كرى الأنهار ، وشق الترع ، وبناء المساجد والمدارس ، والمنشآت الخيرية ، حتى تميز عصر المماليك بتلك المباني الخالدة من قصور منيعة ، وقلاع شاهجة ومساجد ضخمة ، تشهد بقوة مصر وعظمتها وجاهاها في تلك الفترة الزاهرة من تاريخها .^(١)

(١) المراجع التي تعرضت لتاريخ مصر ، ووضع فيها مؤلفوها الدول التي حكمت

مصر من الفتح العربي إلى الفتح العثماني في صعيد واحد هي :

١ - علي إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى .

٢ - Lane-Poole: Egypt in the Middle Ages.

٣ - Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne, t. IV, (L' Egypte - Arabe) .

وعلى من يريد بحث تاريخ مصر في تلك الفترة دراسة مستفيضة ، أن يتوجه إلى الأصول العربية المنشورة والمخطوطة ، على نحو ما سنبينه في الفصول التالية .

فترات حكم هذه الدول :

أولاً : فترات كان يربط مصر بالخلافة الخطبة والسكة والجزية :

- ١ - عهد تبعية مصر للخلفاء الراشدين ٢٠ - ٤٠ = ٦٤٠ - ٦٦١ م
- ٢ - عهد تبعية مصر للخلفاء الأمويين ٤٠ - ١٢٢ = ٦٦١ - ٧٥٠ م
- ٣ - عهد تبعية مصر للخلفاء العباسيين ١٢٢ - ٢٥٤ = ٧٥٠ - ٨٦٨ م
- و ٢٩٢ - ٣٢٣ = ٩٠٥ - ٩٤٣ م

ثانياً : فترات كانت فيها مصر مستقلة في الحكم ، مع التبعية لغيرها في الاسم فقط :

- ١ - زمن الطولونيين ٢٥٤ - ٢٩٢ = ٨٦٨ - ٩٠٥ م
- ٢ - زمن الإخشيديين ٢٢٣ - ٣٢٣ = ٩٣٤ - ٩٦٩ م
- ٣ - زمن الأيوبيين ٥٦٧ - ٦٤٨ = ١١٧١ - ١٢٥٠ م

ثالثاً : فترات كانت فيها مصر دولة مستقلة استقلالاً تاماً :

- ١ - زمن الفاطميين ٢٥٨ - ٥٦٧ = ٩٦٩ - ١١٧١ م
- ٢ - زمن المماليك ٦٤٨ - ٩٢٣ = ١٢٥٠ - ١٥١٧ م

« كثير ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النحل المغالط في الخطبات
والوقائع ، لا اعتمادهم على مجرد النحل غنا أو سمينا ، ام يعرضوها على
أصولها ولا قاسوها بأبأهرها ولا يبروها بمعيار الحكمة والوقوف على
طبائع الطائيات وتحكيم النظر والبصيرة في الاغبار ، فضلوا عن الحق وتاهوا
في براء الوهم والغالط » .

ابن خلدون

الباب الثاني

طرق البحث التاريخي

أنواع مصادر البحث — التفكير في موضوع البحث والاستقرار عليه — ترتيب
المادة المجموعة — كتابة البحث — الأمور الواجب مراعاتها أثناء الكتابة —
الحواشي — الملاحق والوثائق — البحث في صيغته النهائية .

يجب على الباحث في التاريخ ، أن يعرف كيف ينتهي في عمله بكتابة بحث
علمي مؤيد بأسانيد تاريخية . ويلزم لذلك أن يعرف كيف يكتشف المادة
ويكتب مذكرات منها ثم كيف يهذبها ويشذبها ويؤلف منها بحثه العلمي .

أنواع مصادر البحث :

وتجب العناية التامة بدراسة مصادر البحث . وهي إما مصادر
مخطوطة ، أو مصادر الرحالة والجغرافيين ، أو مصادر وضعها المؤرخون
الأقدمون . ولكل نوع من هذه المصادر ، ميزته وأهميته الخاصة :

١ - المخطوطات :

هي كتب لم يتم طبعها بعد ، ولا تزال بخط المؤلف ، أو أخذت عنها صور شمسية لتودع كل صورة منها إحدى المكتبات العامة التي تحرص على اقتناء المخطوط . ومعظم هذه المخطوطات نادر الوجود ، وقد يفقد الكثير فيها أو تضيع بعض أجزائه الهامة ، لسوء الحالة الاقتصادية في عصر من العصور أو انتشار المجاعات والأوبئة في العصر الذي وضعت فيه تلك المؤلفات . كذلك قد توجد بعض صفحات المخطوط متآكلة بفعل الزمن ، أو رداة المكان المحفوظة فيه ، ولذا تستعمل نظارات خاصة لقراءتها . وقد تصل المخطوطات إلينا عن طريق مباشر أي نستخدمها نفسها ، أو عن طريق مؤرخين نقلوا من تلك المخطوطات قبل ضياعها كثيراً مما حوته ، فيبقى لدينا منها مادونه هؤلاء المؤرخون في كتبهم . وتوجد هذه المخطوطات في المتاحف ، والمكتبات العامة ، والأرشيف ، والمصالح الحكومية . وقد أصبح استخدام المخطوطات في البحوث العلمية شائعاً ، وخاصة أن كثيراً من الكتب الهامة ، لم ينشر بعد ، ولذا لا يكون البحث عميقاً دون استخدام المخطوطات .

٢ - مصادر الرمالي :

هي المصادر التي وضعها أولئك الذين جابوا الأقطار ، ووضعها كل منهم كشاهد عيان لما دونه أثناء رحلته من معلومات ، أستقاها من أفواه أعيان العصر أو عامتهم . ولتلك المصادر قيمة عظيمة في وصف ما شاهدوه من أزياء طبقات الشعب ، وبلاط الحكام الذين زاروا قصورهم ، واستعراض الجيوش وجلسات المحاكم ونحو ذلك .

٣ - مصادر الأقدمين المفتورة :

فائدة مصادر الأقدمين عظيمة للغاية ، لأنها تجلي لنا الغامض من الموضوعات التاريخية ، لتوسعها في دراسة ما تناولته ، وقد يكون مؤلفوها من الذين عاشوا في العصر الذين يكتبون عنه ، فتزداد الفائدة المرجوة من دراسته ، ولذا يجب معرفة سنة وفاة كل مؤلف . وقد تحوى تلك المصادر أحاديث منقولة بواسطة شخص غير معاصر تماماً من مصدر معاصر ضاع أو لا يعرف مكان وجوده . وتنحصر فائدة مصادر الأقدمين في أنها تتيح للباحث تتبع أصل العقائد والأفكار والنظريات .

وبجانب المخطوطات ومصادر الر حاله والأقدمين ، لا يصح إهمال المصادر الحديثة ، سواء كانت عربية أو أجنبية ، متعلقة بالتاريخ أو بالآثار . وعلى الباحث تتبع قائمة محتوياتها وفهارسها وصفحاتها المرتبطة بموضوع البحث ، ولذا أثبت - في الأبواب التالية - إلى جانب كل كتاب من مصادر الأقدمين ، مخطوط أو مطبوع ، المكتب الحديثة التي تناولت الكلام على نفس الفترة . وعلى الباحث دراسة الوثائق الرسمية ، المطبوعة والمخطوطة ، ودراسة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والموسوعات التاريخية ، ودوائر المعارف وخاصة دائرة المعارف الإسلامية ، وكتب الفقه ، ومصادر الملل والنحل والنظم لأننا نستقي منها معلوماتنا عن شكل الحكومة الإسلامية ونظام المعاملات بين الأفراد .

وعلى كل حال ، فإن المسألة ليست بعدد الكتب التي تقرأها ، بل المعول على طريقة قراءة تلك الكتب ومدى الاستفادة من كل منها . وليس من الحكمة أن تجعل عدد الكتب التي تقرأها محدوداً ، فإن تصفح المراجع العديدة يكسب الفاحص القدرة على تمييز القيم من الغث .

التفكير في موضوع البحث والاستقرار عليه :

قبل أن تستقر نهائياً على الموضوع الذي اخترته للبحث فيه ، يجب أن تتخذ الخطوات الآتية : —

١ — اقرأ عن موضوع بحثك ، ولو في كتب لاتعد أصلية . وتستطيع بعد قراءتك ، أن تكون رأياً أقرب ما يكون إلى الصحة ، عن المسائل البارزة التي ستنناولها بالبحث في اختيارك له ، لتحكم إذا كانت هذه المسائل وحدها جديرة بالبحث فيها ، باعتبارها نقطا هامة في موضوعك تستطيع أن تجلي غامضها وتأتي فيها بجديد .

٢ — عليك بعد تلك القراءة أن تضع تصميماً أو مشروعاً تمهيدياً لبحثك وهو المعبر عنه باسم التبويب . على أن هذا المشروع أو التبويب لن يكون نهائياً إلا فيما بعد ، حين تتقدم في كتابة البحث ، إذ يجب أن يكون هدفك الأول التفكير في العناوين الكبيرة الرئيسية ، أي عناوين الفصول ، ثم تأتي بعد ذلك العناوين الفرعية الثانوية ، على أن تجعل تلك العناوين واضحة دقيقة ، تدل على ما تنوى معالجته من موضوع .

٣ — وإذا أتقنت هذه المرحلة ، وعرفت بالتقريب محتويات بحثك وأهميتها في التاريخ ، وقيمة المصادر التي ستقرأها ودرجة تمكنك من الاستفادة من كل منها وطريقة الاستحواذ عليها ، سرت في جمع مادتك — وهي المرحلة الثانية من مراحل البحث — بكل دقة وشغف .

جمع المادة :

إذا بدأت عملية الجمع ، كان عليك أن تفهم أنها أدق مراحل البحث ، ولذا يجب ملاحظة ما يأتي :

١ — أن يكون تحت يدك عدد وفير من الأوراق المتساوية الحجم لتدون عليها ما تكتب ، وهي إما بطاقات أو أفرخ ورق أو قصاصات رقيقة . واستعمال أفرخ الورق أكثر فائدة لإمكان عمل هامش كبير في كل منها يستخدم في عمل التعليقات وتدوين بعض النصوص .

٢ — أن تكتب على وجه وتترك الوجه الآخر ، وتتجنب الكتابة في الكراسات .

٣ — أن تجتهد في تدوين ما تجمع من مادة بالحبر وبخط واضح وبدقة تامة ، كي لا تعوقك رداءة الخط أو عدم وضوحه عن استعمال ما جمعت عندما تبدأ في الكتابة .

٤ — أن تحصر بوجه التقريب الكتب التي ستطلع عليها ، وتعرف أين يوجد كل منها ، لتذهب إلى مكان وجوده ، أو تستعيره أو تقرأه في نفس مكتبته ، أو تشتريه إن كان ذلك ميسوراً لك وخاصة إذا كنت سترجع إليه دواما . على أن هذا الحصر لقائمة المصادر — مثله كمثل التبويب — ليس نهائيا ، لأنه كلما تقدم بك البحث والقراءة في تلك المصادر ، ستجد فيها إشارات إلى مصادر أخرى ، وهذا يقودك إلى إضافة مصادر جديدة إلى تلك القائمة . وقد تعطى درجة الامتياز في البحث للعثور على مادة في مصادر غير متوقع وجودها بها .

٥ — أن تبدأ بقراءة المصادر التي ستجمع منها مادتك قبل أن تبدأ الكتابة ، ويصح أن تكون القراءة عبارة عن إلقاء نظر سريعة لتحديد ما ستكتبه منها ، حتى لا تضيع وقتك في تدوين ما لا حاجة لك به .

٦ — أن تنقل ما تأخذه من الكتاب ، سواء أكان عربياً أو أفرنجياً ، بنصه بدون تحريف ، لأن التعديل يكون عند ما تبدأ في الكتابة .

٧ — أن تكتب في أعلى كل صفحة من الصفحات التي دونت فيها مادة بحثك ، اسم المصدر واسم المؤلف ورقم الجزء والصحيفة ، ويجب أن تتبع ذلك ، ولو استغرق الموضوع الواحد عدة صفحات .

٨ — إذا بدأت عنواناً جديداً ، فعليك أن تبدأ صحيفة جديدة .

٩ — يجب عليك ، قبل أن تترك المصدر الذي تبحث فيه ، أن تدون في ورقة مستقلة : اسم الكتاب واسم مؤلفه بالكامل وتاريخ طبعته وملخص محتوياته ومبلغ ما أفدته منه ورأيك الخاص فيه . وتتبع ذلك في كل مصدر تقرأه ، بحيث يتكون عندك في النهاية ما تسميه (بحث في المصادر) التي استعملتها .

١٠ — إذا استعملت مصدراً من طبعة معينة ، فاستمر في قراءته إلى النهاية ، ولا تستعمل نظيره من طبعة أخرى ، لأن عدد الصفحات في كل طبعة يختلف عادة عن الطبعة السابقة أو اللاحقة ولاحتمال التعديل في المادة بين طبعة وأخرى (١) .

(١) يلاحظ أن المعلومات الواردة في هذا الباب ، عبارة عن تجارب شخصية ، وصل إليها المؤلف نتيجة ما وضعه من الكتب التاريخية ، ودراساته وبحوثه .

ترتيب المادة المجموعة :

إذا أتقنت عملية جمع المادة في ورق متساو ، وبخط واضح ، مكتوب بالخبر ، ووضعت كل عنوان جديد في صفحة مستقلة مدونا عليها اسم المصدر الذي استقيمت منه مادتك ، وبعد أن تستوعب كل المصادر المطلوب منك الإطلاع عليها في موضوع بحثك سواء كانت مصادر ثانوية ، أو مطبوعة قديمة أو حديثة ، أو مخطوطة ، عربية أو أجنبية . وبعد التأكد من قراءة كل ماتحتاجة عن المادة المطلوبة لموضوعك ، سواء أكان ماورد فيها في الصلب أو في الحاشية ، تبدأ بعد ذلك في ترتيب المادة ، مستعينا بمشروع البحث أو التبويب ، على أن تراعى في ترتيبها الأمور الآتية : —

١ — تبدأ بوضع المادة التي جمعتها عن موضوع معين مع بعضها ، كي يمكنك بسهولة مقارنة ما كتبه أحد المؤرخين بما كتبه الآخر ، وحتى لا تتكرر حقيقة من الحقائق التاريخية في أكثر من موضع من بحثك ، وإلا أصبح موضوعك مشتتاً . وهنا تظهر فائدة تدوين اسم المصدر ورقم الجزء والصحيفة على كل ورقة ، وتظهر أيضا فائدة تساوى حجم الورق وعدم الكتابة في كراسات .

٢ — تقوم بعملية وضع مادة كل موضوع مع بعضها بمنتهى الحذر والدقة ، وتضع الورق الذي جمعته من مصادر أكثر أهمية وأكثر وفاء للمادة من أعلى وتليها الأقل أهمية وهكذا .

٣ — تأتي بعدد من أفرخ الورق وتكتب على كل منها عنوان جزء من بحثك وتضع داخله الأوراق الخاصة بهذا الجزء ، ثم تجهز عدداً من الدوسيهات تضع داخلها هذه الأفرخ التي تحتوي على جزئيات موضوع من موضوعات البحث ، ليكون لكل باب دوسيه مستقل ، واستعمل دبا بيس كلبس في وضع مادة كل جزء مستقل مع بعضها .

البرء في كتابة البحث :

إذا أتقنت أمر مشروع بحثك بعد أن تستقر نهائياً عليه ، واستعملت الأناة والصبر المقرونين بالدقة والنظام في جمع المادة ، ثم أجهدت نفسك في ترتيب ما جمعت واستوعبته ، واطمأنت إلى أنك أصبحت جديراً بالكتابة فيه - كان عليك أن تبدأ كتابة البحث ، مراعيًا ما يأتي :-

١ - يحسن جداً أن تكتب على أنصاف أفرخ ورق مسطر ، فتكتب على سطر وتترك سطرًا ، وتضع هامشًا كبيراً على الجانب الأيمن ، وتكون يقظاً أثناء الكتابة لتحديد المساحة التي تستغرقها الحواشي أسفل الصفحة .
٢ - لكي تكتب ، يجب أن يكون أمامك الأوراق الخاصة بالموضوع الذي تكتب عنه ، وهو الذي أشرت بحصر الأوراق التي جمعتها عنه داخل دوسيه أو فرخ ورق . ضع أمامك هذه الأوراق مرتبة من أعلى إلى أسفل حسب أهمية المصادر ووفائها بالموضوع .

٣ - قلب هذه الأوراق واقرأ ما تحتويه بإمعان ، معملاً ففكرك أثناء القراءة في أوجه الاختلاف والتشابه بين المؤرخين الذين كتبوا عن حقيقة معينة ، وما زاده مؤرخ عن الآخر ، وما أجمع عليه المؤرخون بصدده موضوع واحد ، ثم تحدد المؤرخ الذي خالف الإجماع إن وجد .

٤ - أترك هذه المذكرات جانباً فترة قليلة من الوقت ، لتختمر في ذهنك وتلقى عليها ضوءاً من عصاره عقلك ، ولترى كيف تبدأ في كتابة هذا الجزء ، وكيف تنتهي منه ، وأي الأجزاء أجدر بالتطويل والتفصيل ، وأيها جدير بأن تمر عليه مر السكرم لأنه مألوف معروف ، ولتعلم متى ستعلق على حادثة ما وتقارنها بأخرى شبيهة لها ، سواء من نفس العصر أو من العصر الذي سبقها أو تلاها ، حتى تنتج في النهاية إنتاجاً حسناً وتمتخض عن شيء له قيمته .

الأمور الواجب مراعاتها أثناء الكتابة :

إذا فعلت ذلك ، ابدأ في الكتابة مستعينا بما دونت من مذكرات منظمة ،
على أن تلاحظ :

١ - سلاسة الأسلوب وسلامته وسهولته ووضوحه ، وأن تكون الحقائق
مترابطة بعضها بجانب بعض كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ومن النوع
الذي يعبر عنه بأنه « مركز » أي الذي إذا أخرجت منه كلمة تداعت من أجلها
بقية الكلمات ، ليس من النوع الذي إذا ضربت صفحا عن عدد وافر من
صفحاته لم تشعر بأنك فقدت شيئا ذا قيمة بل تشعر أنك قد بذلت مجهودا
فيما لا طائل تحته ، على أن تؤهل نفسك على الحذف أو الزيادة أو الاختصار
فيما كتبت حسب رأي أستاذك الذي يعد كالجراح الماهر يضع مريضه على
الجزء العليل ، وقد تتردد أنت أحيانا في جزء من بحثك مع أنه كان قد بدأ لك
سهلا باديء الأمر .

٢ - أن يكون الترتيب الزمني مراعى في كل ما تكتب . فتأخذ نقطة
واحدة معينة ، ثم تتبعها وفقا للترتيب الزمني ، لأن « طريقة السنوات » أي
تناول الحوادث سنة فسنة ، عمل لا أهمية له ولم يعد من التاريخ الصحيح في
شيء . وإذا اضطررت إلى الرجوع إلى عصر سابق أو لاحق للاستشهاد
بحادثة ، يراعى الاختصار التام ، فإذا زاد الكلام عن سطرين يجعل حاشية .

٣ - أن تجتهد في تفسير الأماكن والمواضع في صلب البحث بكلمة
أو كلمتين ، كأن تقول بلدة كذا القريبة من دمشق مثلا ، حتى لا تضطر كل مرة
إلى كتابة عدة أسطر في الحاشية منقولة من « معجم البلدان » لياقوت أو غيره ،
وتكون بعد قراءتها كمن فسر الماء بعد الجهد بالماء .

٤ - أن تفتح الفصل الذى تكتبه بمقدمة أو ملخص لا يزيد عن أربعة أسطر ، لتدل القارىء على خطتك فى الكتابة ، وتهىء ذهنه لما سوف يقرأه . وبعد ذلك أسرد التفاصيل ، وإذا استعصى عليك كتابة المقدمة أولاً ، فاكتبها بعد أن تنتهى من الفصل وتستقر عليه .

٥ - أن تحتتم الفصل الذى تكتبه بفقرة تبين أهم ما وصلت إليه من نتائج . وفى هذه الخاتمة ، تعمل على جمع ما سردته من حقائق فى صورة مقتضبة وتربطها بما سوف يتبعها من حقائق أخرى فى الفصل الذى يلي . والبداية والنهاية تتطلبان مقداراً كبيراً من الاهتمام ، لأنهما أهم أجزاء الفصل ، ومن ثم يحتاجان إلى مجهود أكبر من المجهود الذى تتطلبه بقية الأجزاء الأخرى .

٦ - أن تكون هناك مساواة بقدر الإمكان فى عدد أوراق كل فصل ، حتى لا يكون هناك فصل عدد صفحاته ١٥ صحيفة مثلاً وآخر ٦٠ صحيفة . ولذا يجب أن تضع تصميمًا يوضح نسبة أجزاء البحث بعضها إلى بعض ، على أن يراعى فيه أن تحتل المسائل الهامة مكاناً أكبر من الأمور الأقل أهمية .

٨ - أن تقرن كل سنة هجرية بنظيرتها الميلادية ، وتستعين فى الوصول إلى ذلك بالجداول التى وضعها باللغة الانجليزية Lt. Colonel Wolsely Haig

٨ - أن تثبت ما تستقيه من مصادر أجنبية معرباً بلغة عربية سليمة ، أما ما تأخذه بالنص من مصدر عربى فضعه بين شولات ، سواء أكان عن حادثة أو جزء من وثيقة هامة .

٩ - ألا تزيد الفقرة المنقولة بالنص عن سطرين أو ثلاثة ، فإنه لا يصح أن تكثر من الاقتباسات الحرفية من الكتب ، لأن النقل أو الترجمة شئ لا يستحق الباحث الثناء أو التقدير من أجلهما .

١٠ - أن تبدأ الفقرات بالأسماء وموصوفاتها ، ولا تبدأها بكلمات مثل «ولكن» ونحوها .

١١ - أن تعلق على الحوادث بين آن وآخر ، حتى لا يكون ما تكتبه عبارة عن سرد لبعض نقط معينة ، دون إظهار آرائك الشخصية .

١٢ - أن تحترم آراء المؤرخين الأعلام وتقدر وجهات نظرهم ، على ألا تصدق كل ما يقولونه . ولكن يجب أن يكون تفنيديك لما ذهبوا إليه بما لا يتفق وآراءك برفق حين تكتب ، كأن تقول : ذهب المؤرخ فلان إلى القول بأن ... ولكن ما أجمع عليه المؤرخون يدلنا على أن ... دون أن تذكر عبارات مثل : ترينا الحادثة الآتية ككذب المؤرخ فلان أو دخص كلامه ، لأن ذلك فيه تحقير للمؤرخين دون موجب . بما ينافي جانب الوفاء والتقدير لأعمالهم .

١٣ - أن تحاول أحيانا الإجابة عن أسئلة تضعها ، يكون في الإجابة عليها جلاء لبعض النقط الغامضة . ووضع هذه الأسئلة والإجابة عليها يعتمد تماما على قدرتك على الابتكار والتعليق على الحوادث وعلى منطقك وتفكيرك وخيالك .

١٤ - ألا تخرج عن الموضوع الذي تكتب عنه ، إلا إذا أردت مقارنة مسألة من المسائل بمسألة تاريخية مشابهة لها ، ولا تستطرد في تلك التشبهات حتى لا تخرج عن موضوع البحث .

١٥ - يصح أن تكتب أجزاء من بحثك كلما قطعت شوطا في جمع المادة المطلوبة ، على أن تعيد الكتابة وتضيف مراجع جديدة إلى تلك التي استخدمتها عند بدء العمل ، لأن ترك الكتابة حتى تستكمل جمع كل ما يلزمك من مادة ، خطة قد تؤدي إلى تكديس العمل وإرهاق الباحث .

الحواشي

لا تقل أهمية الحواشي عن أهمية صلب البحث ، وكلما كانت الحواشي قيمة دل ذلك على مجهود الباحث ، لأنك لا تكون محل ثقة القارئ إذا لم تشر إلى المرجع الذي اقتبست منه مادونك من مادة . ولذا يجب الاهتمام بها ومراعاة الأمور الآتية عند كتابتها :

١ - ضع سطرًا قصيرا مستقيما يوازي ربع سطر في أسفل الصحيفة ، بعد معرفة عدد الأسطر التي تستغرقها كتابة الحواشي في الصحيفة .

٢ - إذا أخذت حقيقة من مصدر ، فائت اسم المؤلف والمصدر في الحاشية ، أما إذا اتفق عدد من المؤرخين على ذكر حقيقة واحدة ، فيكتفى في الحاشية بذكر اسم المصدر الأهم . وفي الحالتين يوضع رقم عند نهاية الكلام الذي أخذ من هذا المصدر ، سواء أخذته بالنص موضوعا بين شولات أو اقتبست المادة التاريخية وأثبتها بلغتك دون لغة المؤلف .

٣ - إذا حوت الحاشية أكثر من مصدر واحد ، لتعزيد حقيقة واحدة ، فعليك بذكر اسم المصدر الذي توفي مؤلفه أولا ثم الذي يليه وهكذا . وتأتي المصادر الحديثة العربية ثم المصادر الأفرنجية بعد ذلك .

٤ - ألا تكتب المصدر الأفرنجي بمفرده في الحاشية ، لأنه غالبا ما يكون قد استقى مادته من مصدر عربي . أما المصدر العربي ، فيصح أن تثبته بمفرده في الحاشية أو يقرن عند الضرورة بمصدر آخر أفرنجي أو عربي .

٥ - تراعى الأمور الآتية عند كتابة الحاشية :

(١) يكتب رقم الحاشية ثم يذكر اسم المؤلف أولا وبعده نقطتان أفقيتان هكذا : ويوضع بعدهما اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحات .

(ب) إذا كانت الحاشية خاصة بمصدر عربي ، تكتب كالاتي :

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤ - ١٥

وليس من الضروري أن يذكر اسم المؤلف واسم المصدر بالكامل ،
مادامت الإشارة إلى جزء من أحدهما تغني عن الباقي وتدل على المطلوب ،
فيقال مثلا .

(٢) المقریزی : الخطط ج ١ ص ٧٣

بدلا من تقي الدين المقریزی : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
ج ١ ص ٧٣ .

(ح) وإذا كان المصدر عبارة عن مخطوط ، يكتب بين قوسين بعد اسم
المصدر كلمة (مخطوط) ، فيقال :

(٣) بيارس الدوادار : زبدة الفكرة (مخطوط) ج ٩ ص ٢٩ .

(د) إذا كانت الحاشية خاصة بمصدر أفرنجي ، تكتب كالاتي :

(٤) Lane - Poole : Egypt in the Middle Ages, P. 30

وإذا زاد عدد الصفحات التي تذكر في المصدر الأفرنجي عن صحيفة
واحدة ، يكتب قبل الرقم حروف pp. (أي صفحات) .

وليس من الضروري أن يذكر اسم المؤلف واسم المصدر الأفرنجي
بالكامل ، كما هو الحال بالنسبة إلى المصدر العربي ، فيقال مثلا :

Muir : The Caliphate, P 90

بدلا من :

Sir William Muir : The Caliphate, its Rise, Decline and
Fall, P. 30.

(هـ) إذا تكررت حاشية تحوي نفس المؤلف والمصدر ، فيكتفي بالإشارة
إلى المؤلف ، وتكتب كالاتي :

المقریزی : نفس المصدر والجزء ص ٧٣ .
إلا إذا اختلف رقم الجزء فيشار إليه .
وإذا تكرر المصدر الأجنبي ، يشار إليه في الحاشية بكلمة Ibid أو
يكتب بجوار إسم المؤلف Op.Cit. إذا جاء اسم المؤلف في صحيفة تالية .

٦ - توضع الحاشية في الأحوال الآتية :

(أ) إشارة إلى المصادر التي استقيت منها مادتك في الفصل الذي تكتبه .
ومن المعتاد في هذا المقام أن تكتب إشارة واضحة مقتضبة تشمل لقب المؤلف
واسم الكتاب ورقم الجزء وأرقام الصفحات . وإذا كان هناك أكثر من
مؤلف يحمل نفس الإسم ، فلا بد من كتابة الإسم كاملا للتمييز . وإذا كان
للمؤلف الواحد أكثر من كتاب ، فعليك أن تشير إلى إسم الكتاب أو إلى أكبر
جزء من هذا الإسم عند الاقتباس .

(ب) ذكر حوادث مماثلة ، يخشى أن تفسد الترتيب الزمني ، إذا وضعت
في صلب البحث .

(ج) تفسيرات لمواضع بعض البلدان أو لبعض الكلمات الصعبة ، ولا
يصح وضعها في الصلب لطولها .

(د) بياننا أورده أحد المؤرخين ينفي ما أجمع عليه الآخرون .

(هـ) إشارة إلى أسماء الملاحق ، والجداول ، والخرائط ، والصور ، التي
تفسر بعض نواحي البحث .

(و) إشارة إلى معالجتك للموضوع في مكان آخر من بحثك ، وذلك
لكي تتجنب التكرار .

(ز) قائمة بالأسماء والأعداد التي إذا ما وضعت ضمن مادة الفصل ،
جعلته غير متناسق .

الملاحق والوثائق :

اعتاد بعض الباحثين وضع الوثائق التاريخية في صلب البحث ، مما يستغرق عدة صفحات ، تقطع على القارىء سلسلة تفكيره وتمنع ربط الحوادث المتسلسلة بعضها ببعض . لذلك يجب أن يراعى ما يأتى فيما يتعلق بالوثائق التاريخية :-

١ - أن توضع منمرة في نهاية البحث ، على أن تشير في الصلب إلى رقم الملحق أو الوثيقة ، وتحيل القارىء عند الرجوع إلى الملحق إلى الصحيفة التى ورد ذكره فيها في صلب البحث .

٢ - أن تكون الوثيقة من كتاب مخطوط أو من كتاب مطبوع نادر الحصول عليه . أما في حالة الوثائق الواردة في كتب متداولة مطبوعة فيستحسن إحالة القارىء إلى هذه الكتب بعد إيضاح إسم المؤلف والكتاب ورقم الصحيفة الواردة فيها الوثيقة .

٣ - يجب أخذ الوثيقة من مصدر واحد ، حتى لا يحدث اضطراب عند نقلها ، قد ينتج من اختلاف عبارات الوثيقة في المصادر المختلفة .

٤ - إذا وجدت اختلافات جوهرية خاصة بوثيقة ما في مصادر متعددة ، يستحسن الإشارة إلى أوجه الشبه والاختلاف بينها ، وذلك في الحاشية .

٥ - ينبغي تفسير ما غمض من كلمات أو عبارات الوثائق ، في الحاشية أيضا ، حتى لا يكون مجهودك في هذه الوثائق هو نقل ما حوته دون أن تثبت للقارىء تفهمك ما فيها .

٦ - وقد تعمل ملاحق لنوع خاص من الملاحظات التى لا يمكن لطولها أن توضع في أسفل الصحيفة . وقد تشمل : تحليل الحوادث ، أو حقائق علمية بحتة لا يجوز وضعها في سياق الموضوع ، وقائمة الأسماء الطويلة المنقولة من المصادر .

البحث في صيغته النهرائية :

رتب بحثك على النحو الآتي :-

- ١ - ورقة أولى توضح عليها اسمك وعنوان بحثك .
- ٢ - تبويب البحث تبويبا واضحا ، على أن تبين فيه رقم صحيفة كل موضوع يشمله بحثك .
- ٣ - صلب البحث .
- ٤ - المصادر التي استقيت منها مادة بحثك ، مرتبة ترتيبا أبجديا حسب أسماء المؤلفين ، مع بيان رقم المخطوط منها ومكان وجوده ، وتاريخ الكتب المطبوعة وعدد أجزائها .
- ٥ - الوثائق المطولة التي ترى إثباتها كاملة في نهاية البحث لأهميتها .
- ٦ - الجداول ، إن وجدت .
- ٧ - الخرائط والصور ، إن وجدت . ويصح وضع كل منها في موضعه من البحث .

الباب الثالث

أوراق البردى والكتابات الأثرية

أوراق البردى الكاملة — أوراق البردى غير الكاملة —
النقوش — المسكوكات — التحف — الرنوك

أوراق البردى :

يستلزم الكلام على مصادر مصر في العصور الوسطى ، البدء ببيان أهمية أوراق البردى Arabic Papyr في دراسة تاريخ الإسلام وحضارته .
وقد عثر على أوراق البردى في مصر في مكان قريب من أهرام سقارة ،
وبعد مضي خمسين سنة ، وجدت كمية كبيرة من الأوراق البردية في الفيوم ،
وهي موجودة الآن بين مجموعات أوربية متنوعة محفوظة في فينا وبرلين
وباريس . واكتشفت مجموعات أخرى من تلك الأوراق في أخميم والأشمونين
والبهنسا وميت رهينة وأدفو . ووجد بعض هذه المجموعات من أوراق البردى
متلاصقة متماسكة إلى حد يقرب من تحجرها مطموسة بالتراب ، ووصل
إلينا البعض الآخر مما قالكه أو بعضه لرطوبة الأرض أو بفعل النيران ،
وهذه الأوراق الممزقة قد تكون هي الأكثر قيمة . وكثيراً ما توجد أوراق
البردى محفوظة في جرار من فخار أو سلال أو ملفوفة في أدراج صغيرة

مربوطة في دوبار أو برباطات صغيرة من البردى أيضاً عليها طابع المؤلف وخاتمه .

وهذه الأوراق لها قيمة كبرى في دراسة التاريخ الإسلامى . فعن طريقها عرفت أسماء ملوك عظماء شيدوا آثاراً خالدة ، وأمكن معرفة سيرة كثير من ولاية مصر وخاصة في عهد تبعية مصر للأمويين والعباسيين ، ونظام الدواوين وأحوال مصر الإدارية ، ونظمها الاقتصادية ، والحالة الاجتماعية . ومنها نعلم أيضاً أثمان الأصناف الصناعية والحاجيات والماشية وأثمان الأراضى والعقارات ، وقيمة النقود النسبية . أما الحياة الداخلية فقد وضحت أساليبها عن طريق هذه الأوراق ، التى كشفت عن أمور دقيقة ذات تأثير فى مجرى الحوادث الجارية^(١) .

وهذه الأوراق ، هى مصدر هام لتاريخ مصر الإسلامية ، لا يستطيع مؤرخ وصف الحياة العامة فى مصر وصفاً دقيقاً ، دون الرجوع إلى هذه الأوراق التى أخرجت من أرض مصر .

وأوراق البردى الخاصة بمصر تنقسم إلى قسمين : قسم مكتوب باللغة اليونانية قام الأستاذ بل H. G. Bell بنشره ، وهى موجودة فى الجزء الرابع من مجموعة أوراق البردى المحفوظة بالمتحف البريطانى فى لندن . وقسم مكتوب باللغة العربية ، قام بنشره الأستاذ أدلف جروهمان Adolf Grohmann أستاذ اللغات السامية وتاريخ الحضارة الشرقية فى الجامعة الألمانية فى براج (القاهرة ١٩٣٤)

(١) راجع : نبذة فى علم قراءة الأوراق البردية العربية ، محاضرتان ألقاها الدكتور أدولف جروهمان Adolf Grohmann فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة فى مساء ٥ أبريل سنة ١٩٣٥ ، تعريب الأستاذ توفيق اسكاروس (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥) .

من الكتاب الذي كتب في الرصد
 في سنة ١١٢٠

يقول المشهور في ابنت صرخ من الجن روضة عقلها و
 نديها وحوار امرها كصانع عروق مكره ولا يحبره كعبه
 يدرك في نفسها حياء البيوت كاملة العقل ان العريف
 يصدرها بالخرقة واسمها بالقبط وحاسه امه
 ارينه جاره اسطور هبه اعترف هذه النسبه
 بصافه العبد من مواليه وما كنت نفسها انما ادعيا
 ولذ لا اسطور هبه او احد من تركتها على هره الصبه
 دجاشه بنس بجر هذا الكتاب فسمى من الجده او نشي
 من المملكه في عووه باكل وزور وافل وعبد وان
 وكنت الر في سلخ رمضان سنة ثلاث وثلث عشرين
 في سنة ١١٢٠

مير الحسن بابا...
 شيخ طه...

من يدعي...
 يبيده بماله...

١٩٠٠

نموذج لورقة بردی كاملة

بأمر وتشجيع حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول ، وحوى
عدداً وفيراً من أوراق البردى ومجموعة من الألواح . وقام بترجمته من الإنجليزية
إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن . وهو من الكتب الجديدة
بالقراءة والدرس .

الكتابات الأثرية :

وهناك مصادر أكثر مقاومة ، لما ينتج عن الفتن والثورات من ضياع
بعض المصادر ، ونستطيع منها أن نقف على بعض الحقائق التاريخية التي تتعلق
بأحوال مصر في عصر معين ، وهذه المصادر هي الآثار من مساجد وتحف
نفيسة كالمسوحات والمصنوعات والأحجار والمعادن والأخشاب والزجاج
والخزف ، فإننا لو شاهدنا أثراً من الآثار أمكننا أن نقف على العصر الذي
ينسب إليه هذا الأثر ، بعد أن ندرس ما على هذا الأثر من الكتابات
أو النقوش .

ودار الآثار العربية (في باب الخلق) وغيرها من دور الآثار في فرنسا
وانجلترا وألمانيا وإيطاليا وغيرها ، حافلة بمجموعات قيمة تدل على براعة المصريين
ومقدرتهم الفنية في الصناعة ، وتبرهن بوضوح وجلالة على أن الفن المصري
في العصر الإسلامي هو فن الزخرفة والذوق ، بخلاف الفن المصري القديم
فإنه دليل على المقدرّة والعظمة والضحامة .

وعن طريق هذه المصادر المادية ، أمكن الكشف عن كثير من الحقائق
التاريخية التي بينت لنا العلاقة الوثيقة بين الدراسات التاريخية والعلوم المساعدة
كالكتابات والنقوش التاريخية والمسكوكات والتحف الفنية والرنوك .

وبما يدل على قيمة الآثار ، الأمثلة الآتية ، التي توضح لنا أن الباحثين
حين يعجزون عن الوصول إلى حقيقة معينة عن طريق المصادر التاريخية ،
يلجأون إلى قراءة ما على الآثار ، علمهم يصلون إلى ما لم يرد في تلك المصادر :

١ - في دار الآثار العربية بالقاهرة ، مجموعة قيمة من قطع النسيج عليها بعض أسماء أمراء الدولة الطولونية وأسماء يظن أنها أسماء عمال الخراج أو مديري المصانع الحكومية المختصة بصناعة الوشي والديباج في العصر الطولوني . ومن هذه القطع قطعة عليها اسم الخليفة المهتدي العباسي ، واسم محمد ابن هلال عامل الخراج الذي خلف أحمد بن المدبر في تلك الوظيفة سنة ٢٥٦هـ وهذه القطعة رقم ٨٧٠ مطرزة بحروف من الحرير الأحمر تؤيد حضور ابن هلال إلى مصر في تلك الوظيفة . ومن تلك القطع قطعة عليها اسم الخليفة المعتمد العباسي وعليها أيضا إسم خمارويه وبيان بأنها صنعت في مصنع النسيج في تنيس سنة ٢٣٨ هـ ، و قطعة عليها اسم الخليفة المهتدي العباسي واسم محمد بن شاهين الذي يرجح أنه كان مديراً لإحدى المصانع .

٢ - ثبت لدى المؤرخين أن جامع ابن طولون بديء في بنائه سنة ٢٦٢هـ ، وفرغ منه وأعد للصلاة سنة ٢٦٥ هـ ، وذلك لوجود تاريخ الفراغ منه في النقوش التاريخية التي وجدت على لوحة من الرخام مكتوبة بخط كوفي ، عثرت عليها لجنة حفظ الآثار العربية ، حين كانت تجرى بعض الأعمال في الجامع . وكان بعض المؤرخين قد ذهب إلى أنه شرع في بناء هذا المسجد في سنة ٢٥٩ هـ ، فكان العثور على تلك الكتابات التاريخية ، سببا في وضع حد لهذا الاختلاف .

٣ - أمكن للمؤرخين عن طريق هذه الكتابات التاريخية ، تحديد الألقاب التي اتخذها السلاطين لأنفسهم : فقد ثبت لدينا أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اتخذ لنفسه لقب « قسيم أمير المؤمنين »^(١) ، بعد أن وصلت إلينا قطعة نقود ضربت بالقاهرة باسم الناصر عليها هذا اللقب^(٢) .

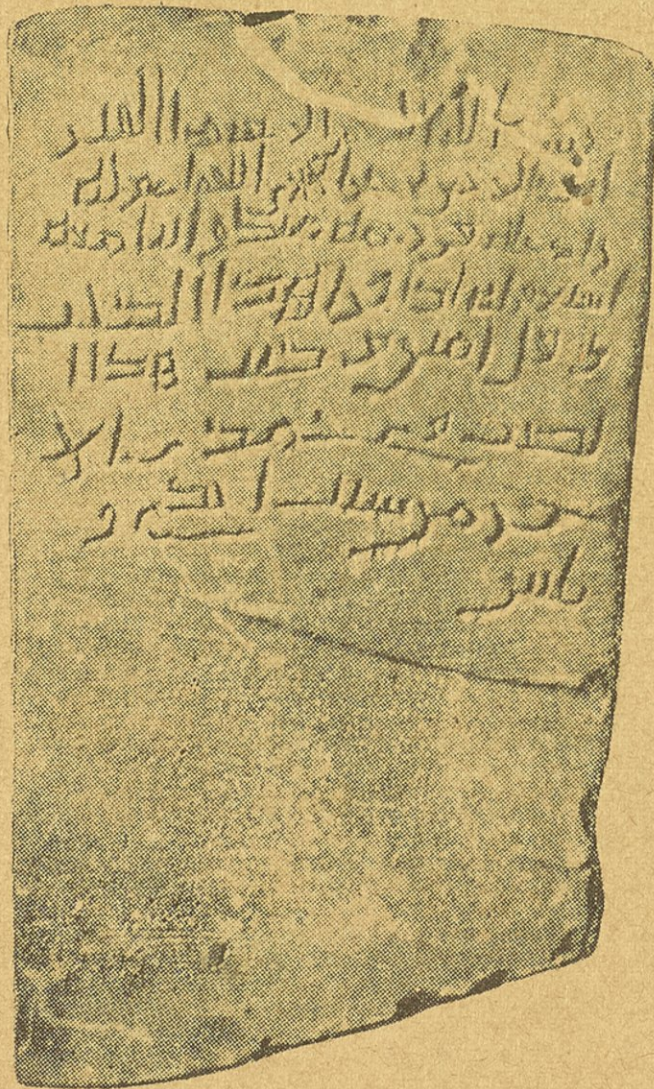
(١) يشير لقب قسيم أمير المؤمنين إلى طبيعة العلاقة بين الخليفة والسلطان .

(٢) Henri Lavoix : Catalogues des Monnaies Musulmanes

de la Bibliothèque Nationale, Egypte et Syrie, p 329.



دينار من عهد السلطنة شجرة الدر (القاهرة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م)



شاهد عليه نقوش تاريخية

وشهد بطبيعة العلاقة بين السلطان والخليفة ، كتابتان تاريخيتان باسم السلطان قايتباي في ضريح شيد نحو سنة ٨٨٦ هـ ويعرف باسم قبة الفداوية ففي الكتابة الأولى يلقب قايتباي بألقاب منها « ناصر دين الله حافظ بلاد الله قسيم خليفة الله » ، وفي الكتابة الثانية يذكر بين ألقابه : « ناصر الملة المحمدية الحنيفية والخلافة العباسية سيد الملوك والسلاطين قسيم أمير المؤمنين » .

وثبت عن طريق دراسة السكة الهندية أن نفوذ الخليفة المستكفي بالله قد امتد في سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) على بلاد الهند . إذ منح محمد بن طغلق حاكم دهلي تفويضا بالحكم كان له أكبر الأثر في تدعيم سلطانه^(١) .

وفي دار الآثار العربية بالقاهرة كرسى (عشاء) من نحاس أصفر ، منشورى الشكل ، مسدس الأضلاع ، مخرم وملبس بالفضة ، أصله من مارستان السلطان قلاوون ، وعليه كتابة بها ألقاب السلطان الناصر محمد ، وسطحه وجوانبه مزينة بالزخارف الهندسية والنباتية والخطية وعليه صور بط يطيّر . واسم الصانع محمد بن سنقر البغدادي ، وتاريخ صنعه (٧٢٨ هـ = ١٣٢٧ م)

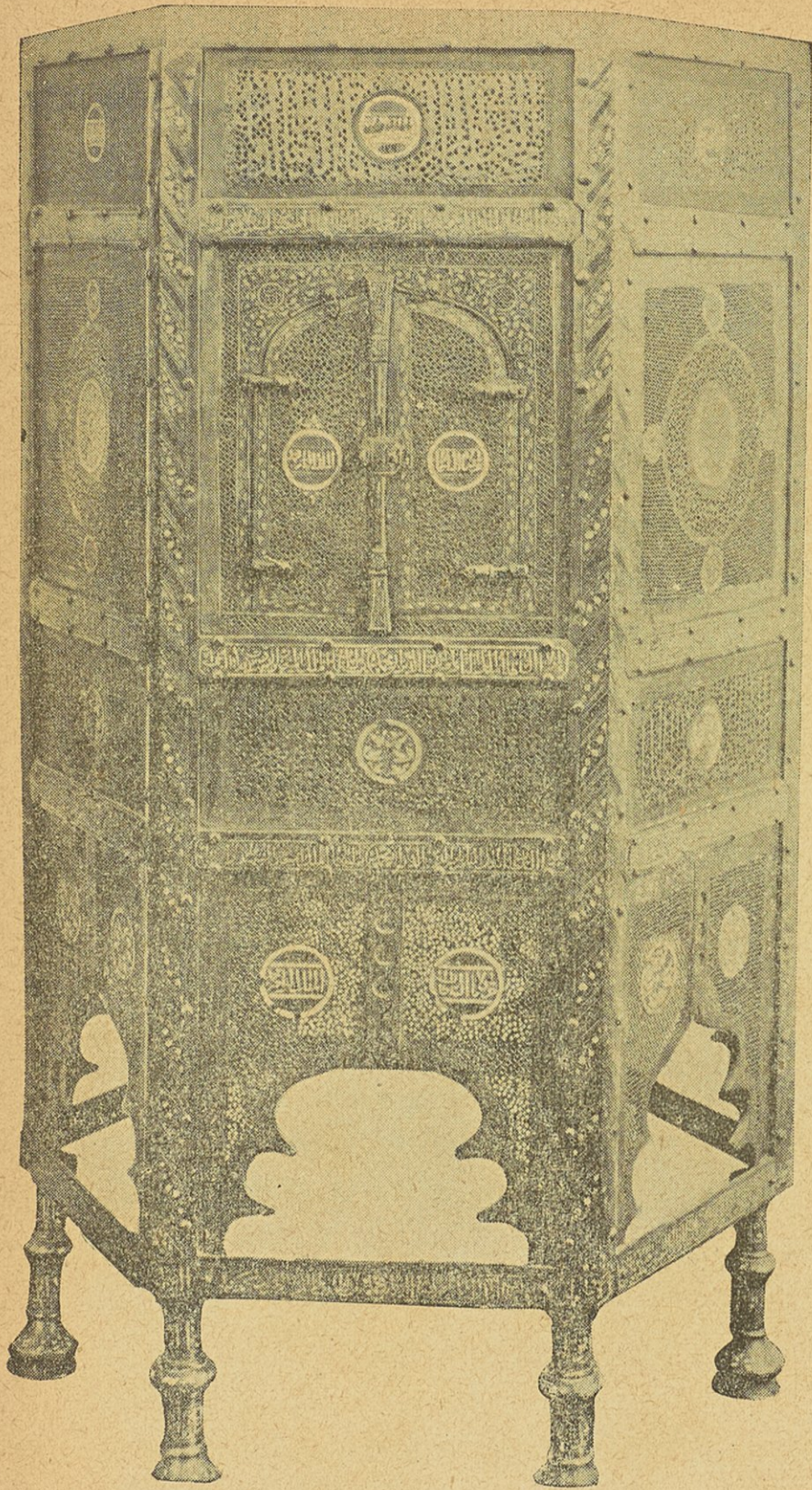
وفي كتابة تاريخية على برج بقلعة الجبل بالقاهرة « أمر بإنشاء هذا البرج المبارك السعيد مولانا وسيدنا السلطان الناصر .. وبدؤه في جمادى الأولى والفراغ في شوال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة » .

وكثيراً ما نجد في الكتابات التاريخية التي ترجع إلى أواخر العهد المملوكي ، أن السلطان يتخذ لقب « الإمام الأعظم » الذي كان يمثل سلطة الخليفة الدينية . وأقدم هذه الكتابات واحدة ترجع إلى عهد السلطان جقمق نحو سنة ٨١٥ هـ .

٤ - وأمكن عن طريق الرنوك^(٢) أى شعار الوظائف ، معرفة نوع

(١) Nelson Wright : Coins and Metrology of the Sultans of Delhi, pp. 163-170.

(٢) الرنوك : كلمة فارسية الأصل ، مفردهارنك ، استعملت في العصور الوسطى للدلالة على الأشعة .



كرسى من النحاس على شكل منشور ذى ستة أضلاع مطعم بالذهب
والفضة ومخرم ، وسطحه وجوانبه مزينة بالزخارف الهندسية ،
وعليه كتابات فيها ألقاب السلطان الناصر محمد .

وظائف أصحاب الأشعة : فشعار الدوادار (سكرتير) مثلاً ، المقلمة . والطست
دار (المشرف على المخازن) والسلاح دار (حامل السلاح) ، السيف .
والبندقدار ، السهم . والأمير آخور (أمير المعلف أو المتولى الإشراف على
الاصطبلات) ، حدوة الفرس . والجمدار (المتولى أمور الملابس) ، بقجة .
والجاويش (أحد أربعة من جنود الحلقة ووظيفتهم السير أمام السلطان أو النائب
في مواكبه للنداء وتنبيه المارة) ، قبة مذهبة . والساقى (متولى السقاية والإشراف
على الموائد) . كأس . والجمدار ، عصا البولو . والجاشنكير (ذائق الطعام) ،
جونجة (أى منضدة) . والعلمدار (المتولى أمر أعلام السلطان) ، علم . والطبل
دار ، الطبله والعصا . والبشمقدار . (حامل الأغذية) ، الخذاء . والجمقدار
(عامل الدبوس) ، الدبوس . والبريدى ، دائرة ذات ثلاث شطف^(١) .

ومن أهم مصادر الآثار الحديثة ، المبنية على دراسة النقوش والمسكوكات
والتحف ، مايلي مرتبة على حروف المعجم بالنسبة لأسماء مؤلفيها ، نثبها تنمة
للفائدة :

Dozy (R) :

١ - دوزى

(a) Dictionnaire des Noms de vêtements chez les Arabes
(Paris 1845).

(b) Supplément aux Dictionnaires Arabes 2Vols(Leyden1881).

Devonshire (R.)

٢ - ديفنشير

Rambles in Cairo (Cairo, 1931) .

Wright (R. N.)

٣ - رايت

The Coins and Metrology of the Sultans of Delhi(Delhi,1936).

(١) انظر مقالة « الرنوك المملوكية » ، بمجلة المقطف ، العدد الخامس من المجلد

الثامن والتسعين (مايو ١٩٤١) ، ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .



قطع من الفخار المطلي بالميناء الصفراء عليها رنوك من عصر المماليك .
محفوطة بدار الأناضول العربية بالقاهرة

٤ - زكى محمد حسن

- (١) الفن الإسلامى فى مصر (من مطبوعات دار الآثار العربية)
(٢) التصوير فى الإسلام (من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر)
(٣) كنوز الفاطميين (مطبوعات دار الآثار العربية سنة ١٩٣٧)
(٤) فنون الإسلام (القاهرة سنة ١٩٤٧)

٥ - عبد الرحمن زكى

القاهرة
(القاهرة ١٩٤٣)

٦ - على بهجت

Les Manufactures d'étoffe en Egypte, au Moyen - Age
(Le Caire, 1904).

Description de L'Egypte

٧ - علماء الحملة الفرنسية

المعروف باسم « وصف مصر » أو « خطط مصر » .

وضعه علماء الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ م ، فى ٢٤ مجلدًا كبيرًا ،
وبه مئات الخرائط والجداول والرسوم . وقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة : اولها
قسم الآثار ويحوى بحوثًا عن آثار مصر الغابرة . وثانيهما قسم الحالة الحديثة
والمعاصرة إلى وقت الفتح الفرنسى ويشتمل على وصف لبلاد الصعيد والوجه
البحرى والقاهرة وعادات مصر الحديثة ويتخلل ذلك ملخص لتاريخ المماليك .
والثالث هو قسم الخواص الطبيعية . وتشتمل مجموعة الخرائط والرسوم
على مئات الخرائط الجغرافية لمصر ومئات الرسوم لآثار مصر القديمة والإسلامية .
وقد اعتمد مؤلفو كتاب « وصف مصر » على بعض مؤرخى مصر الإسلامية
ولا سيما المقرئى .

ولا يفوتنا بأن نشيد بذكر هذه المجموعة التي كتبها علماء الحملة الفرنسية عن مصر وأحوالها ، في وقت كانت فلول المماليك لاتزال متحكمة بالبلاد محتفظة بتقاليدها وكثير من عاداتها القديمة . والصور التي فيها تمثل إلى حد كبير الملابس والأسلحة التي كانت مستعملة في أيام المماليك . وليس بدار الآثار العربية أية ملابس أو أسلحة مما ينسب إلى هذا العصر ، وكل ما هنالك سيفان أحدهما بإسم السلطان طومان باي والآخر بإسم السلطان الغوري وهما معاصران لأواخر دولة المماليك البرجية . وقد عاشا قبيل الفتح العثماني لمصر سنة ١٥١٧ م . ونجد كذلك بدار الآثار العربية تحفاً مختلفة عليها رنوك تنسب إلى العصرين المملوكيين الأول والثاني وتمت إلى الناحية الحربية بصلة .

وفي كتابي «التاريخ الحربي لمحمد علي وأبنائه» للجنرال فييجان Weygand (جزءان) و «المعارك الحربية لمحمد علي و ابراهيم» للأمرال دوران فيل Durand Veil (جزءان) صور تمثل حالة المماليك الحربية في مصر في عصر محمد علي وتوضح العدد الحربية من أسلحة وغيرها مما كان مستعملا في عصرهم ، وهي على كل حال تعطينا فكرة لما كان عليه الحال في العصر المملوكي (١) .

Van Berchem (Max)

٨ - فانه برشم

Matériaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum (Le Caire, Imprimerie de L'Institut Francais d'Archéologie Orientale, 1924)

أى «جامع الكتابات التاريخية» . وليس لأى باحث في التاريخ الإسلامى

(١) أما عن السلاح في عصر الفاطميين ، فيراجع كتاب «كنوز الفاطميين»

للدكتور زكى محمد حسن وما جاء فيه من مراجع .

غنى عنه . رأى هذا المؤلف أن للعمائر الإسلامية وما عليها من كتابات أخطر الشأن وأجل الفائدة في دراسة المدنية الإنسانية وتطور الحياة العقلية والسياسية والأدبية للأمم الشرق الأدنى . فعول على أن يصف العمائر المذكورة وأن يجمع نصوص ما عليها من الكتابات وأن يضمها مؤلفاً كبيراً ظهرت في حواشيه ثقافته العظيمة وعلمه الغزير . وأتم جاستون فييت عمل فان برشم فكتب الجزء الثاني من هذا المرجع وتضافر تلاميذ فان برشم وأعوانه على تحقيق رغبته في جمع كل النصوص العربية المكتوبة على العمائر والتحف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي . ونهض بأعباء هذا المشروع كومب Et. Combe وفيت G. Wiet وسوفاجيه G. Sauvaget بها الذين أهدوا هذا السجل الجامع الشامل إلى روح فان برشم^(١) .

Weill (D.)

٩ - فايل

Catalogue Générale du Musée Arabe, Objets en Cuivre, t. 111.

Creswell, K. R. C.

١٠ - كريزويل

(a) Early Architecture (Oxford, 1933)

(b) a Brief Chronology of Muhammadan Monuments of Egypt (B. I. F. R. O. T. XVI.)

(c) The Foundation of Cairo (Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt, Vol. I. Part 2, Dec. 1933).

Kendrick

١١ - كندررك

Catalogue of Muhammadan Textiles of the Mediaeval Period
(Victoria and Albert Museum).

(١) راجع ما كتبه الدكتور زكي محمد حسن في كتاب « في مصر الإسلامية »

بعنوان « مصادر مهمة في دراسة التاريخ الإسلامي » ص ١٥٥ - ١٥٧

Lavoix

١٢ - لافوا

Catalogue de Monnaie Musulmanes de la Bibliothèque Nationale, Egypte et Syrie.

Lane—Poole

١٣ - لينبول

(a) The Art of the Saracens (London, 1888) .
(b) Coins and Medals (London, 1892) .

١٤ - ماير أستاذ علم الآثار الإسلامية بالجامعة العبرية في فلسطين Mayer

Saracenic Heraldry, (Oxford, 1933) .

وهو من المصادر الهامة في علم الرنوك ومعناها ورسومها .

Hautecoeur et Wiet

١٥ - هوتكبير وفيت

Les Mosquées du Caire (2 Vols. Caire, 1932) .

الباب الرابع

الأدب والتاريخ

أبو الفرج الأصبهاني — ابن هانيء الأندلس — الشريف الرضي —
عمارة اليمنى — القاضي الفاضل — عماد الدين الأصفهاني .

الأدب سجل للحوادث ، و مرآة صادقة للحضارة ، فكثيرا ما جلى الشعراء
في شعرهم نواحي من المجتمع لم يعرض لها غيرهم ، و صوروا في شعرهم أحداثا
خفيت تفاصيلها و جانب الحق فيها على نفر من المؤرخين . و أصدق الشعر
في وصف الحقيقة هو ما ساير الحوادث و استلهم الوقائع . على أن الاستشهاد
بالشعر في إثبات الحقائق التاريخية يجب أن يكون في حالة الضرورة القصوى ،
لأن الشعر ليس مصدراً أساسياً للتاريخ . من أمثال هؤلاء الشعراء المؤرخين :

١ — أبو الفرج الأصبهاني (٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م) (١)

أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد

« كتاب الأغاني » ، ٢١ جزءا (القاهرة ١٢٨٥ هـ)

ولد أبو الفرج سنة ٢٨٤ هـ ، و نشأ في بغداد (٢) . وصفه ياقوت

فقال : « العلامة النسابة الإخباري الحفظة الجامع بين سعة الرواية والحدق

(١) السنوات المثبتة أمام اسم كل مؤلف ، هي سنة وفاته .

(٢) تجد تاريخ حياة الأصبهاني في ياقوت : إرشاد الأريب ج ٥ ص ١١٤٩-٧٦

في الدراية . لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها ، وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه ، وكان مع ذلك شاعرا .

ينتهي نسب الأصبهاني إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وكان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث ما لم ينافس فيه أحد من علماء عصره ، وكان عالماً في اللغة والنحو والسير والطب وعلم النجوم ونحوها .

جمع كتابه « الأغاني » في خمسين سنة ، وكتبه مرة واحدة في عمره ، وأهدى تلك النسخة إلى سيف الدولة الحمداني ، فمنحه ألف دينار ، وعنه قال ياقوت في إرشاد الأريب : « ولعمري إن هذا الكتاب الجليل القدر الشائع الذكر ، جم الفوائد ، عظيم العلم ، جامع بين الجد والبحث والهزل البحت » . وعدد ياقوت مؤلفات أبي الفرج ، فذكر من بينها : الأغاني الكبير ، مجرد الأغاني ، الأخبار والنوادر ، أخبار الطفيليين ، الخمارين والخمارات ، جمهرة النسب ، إلى آخر تلك المؤلفات التي وضعها أبو الفرج وأرسلها إلى حكام المغرب ، فأحسنوا جائزته وأجزلوا له العطاء ، ولكن لم يعد منها إلى المشرق إلا القليل . وكان أشملها وأهمها جميعاً كتابه « الأغاني » الذي يعد بحق من أمهات كتب الأدب العربي ، فقد ترجم صاحبه لأكثر شعراء العرب من جاهليين وإسلاميين ومحدثين ، كما ترجم لكل من عرف إسمه من المغنين في الدولة الأموية والدولة العباسية ، وأورد أخبار الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام .

وقد قام المرحوم الأستاذ محمد الخضري بك بنشر هذا الكتاب بصورة أكثر ترتيباً ونظاماً ، وأطلق عليه اسم « مذهب الأغاني » ، وجاء في تسعة أجزاء . وذكر أن هذا الكتاب رغم فائدته للأدب والتاريخ في حاجة إلى

التنظيم والتهديب ، فقال : « بيد أن هذا الشهاد كثرت حوله الإبر حتى حالت بين الجمهور والانتفاع به وقللت من مقدار نفعه للمتأدبين » . وشرع في تهديب هذا الكتاب منذ سنة ١٩١٩م واعترضته في سبيل ذلك عقبات شاقة ، ذلها بطول الصبر والأناة ، (١) .

وما يوضح قيمة كتاب « الأغاني » أن المسيو جويدي ، عكف على تنظيمه ، فوضع لنا « فهرست كتاب الأغاني ، للإمام أبي الفرج الأصبهاني » ألفه باللغة الفرنسية والعربية ، ورتبه على أربعة فهارس : الأول — لأسماء الشعراء ، والثاني — للقوافي ، والثالث — لأسماء الرجال والنساء والقبائل ، والرابع — لأسماء الأماكن والجبال والمياه . وأخرجه في مجلدين (ليدن ١٨٩٥-١٩٠٠ م) .

وكما هذبه الأستاذ محمد الحضري بك ووضع له مسيو جويدي فهرسا ، كذلك وضع الإمام اللغوي جمال الدين بن حبقة بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري المولود بمصر سنة ٦٣٠هـ والمتوفى سنة ٧١١هـ « مختار الأغاني في الأخبار والتهاني » ، اختاره من كتاب الأغاني ، ورتبه على حروف المعجم ، وجاء في ثلاثة مجلدات ، الموجود منها الثاني فقط ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، مأخوذ بالتصوير الشمسي من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة كوبريللي بالآستانة .

(١) راجع مقدمة كتاب « مذهب الأغاني » ج ١ ص ١٠١ و ١٠٢ لمحمد الحضري بك .

٢ - ابن هانيء الاندلسي (٥٣٦٢ = ٩٧٣ م) :

أبو القاسم المكنى بأبي الحسن محمد

ديوان ابن هانيء (بيروت ١٣٢٦ هـ)

نشأ محمد بن هانيء في قبيلة الأزدي ، ولد في أشبيلية في بلاد الأندلس ، وقضى بها أيام صباه ، واتصل بصاحب أشبيلية . ونال الحظوة لديه ، وانهمك في دراسة الفلسفة والتعمق فيها حتى أتهم بالكفر والإلحاد ، فنقم عليه أهل هذه المدينة وأساءوا الظن بالملك بسبب اتصاله به ، وأشار عليه بالبعد عن هذه المدينة فترة حتى ينسى الناس أخباره . ولذا رحل عن أشبيلية سنة ٣٤٧ هـ وقيل ٣٥٣ هـ ، وعمره سبع وعشرون سنة ، فلقى جوهر آقائد ومدحه ، ثم ارتحل إلى أبي جعفر يحيى بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي أمير المسيية وأمير الزاب ، ومن أنصار العلم والعلماء ، فبالغا في إكرامه والإحسان إليه ، فتمى خبره إلى المعز فطلبه منهما ، فلما وفد عليه بالغ في الإهتمام بأمره وأغدق عليه عطاياها . ثم توجه المعز إلى الديار المصرية فشيعة ابن هانيء إليها ثم عاد إلى المغرب ليصطحب معه أسرته ويلحق بعد ذلك بمولاه . ولكنه بعد أن وصل إلى برقة في طريقه إلى مصر أضافه شخص من أهلها فأقام عنده أياما في مجالس الأانس والطرب ، وتوفي بعدها . واختلفت الروايات في طريقه وفاته : فقيل إنه مات مقتولا على يد الأعراب الذين نزل ضيفا عليهم وقيل إنه خرج سكران فنام في الطريق ووجد ميتا في الصباح (٢٣ رجب سنة ٥٣٦٢ هـ)

وعمره ست وثلاثون سنة وقيل اثنتان وأربعون سنة^(١) .

وتنحصر أهمية ابن هانيء الأندلسي في أنه أشار في ديوانه إلى الدعوة الفاطمية في أيام الخليفة المعز وأشاد بما أثر هذا الخليفة ومجد أعماله ، حتى وصل به هذا الغلو أن نسب إلى المعز بعض صفات النبوة والألوهية . وبهذا مهد ابن هانيء طريق الإلحاد لمن أتوا بعده من الشعراء .

ذلك أن المعز استعان بالشعراء ، في نشر الدعوة الفاطمية ، وعلق عليهم أهمية كبرى ، وتابعه في سياسته من جاء بعده من الخلفاء الفاطميين ، وتقاضى هؤلاء الشعراء رواتب كبيرة ، وأغدقت عليهم الهبات السنوية ، وكانوا يختارون ممن اشتهروا بسعة الاطلاع ، وامتازوا بالمقدرة في فن الإنشاء ، حتى يستطيعون إقناع الناس بحججهم القوية وعباراتهم الرصينة ، بما ترمى إليه الدعوة الفاطمية . ولذا ترى رجال الأدب الشيعيين قد نظموا القصائد تمدحا في المعز ومن جاء بعده من الخلفاء ، وجاراهم في ذلك المضمار عدد من الشعراء السنيين ، ولو أنهم كانوا أكثر اعتدالا في مدحهم من الشعراء الشيعيين الفاطميين . وكان خبر إغداق الخلفاء على الشعراء المناصرين لهم بالهدايا والعطايا ، قد اتصل بمسامع الشعراء المقيمين في غير مصر من الأقطار . فدفع ذلك الكثير من هؤلاء إلى الهجرة إلى مصر واتخاذها دار إقامة ، حيث استقبلوا بجميع مظاهر الترحيب . وكان أكثر الشعراء رحيلاً إلى مصر ، شعراء الدولة العباسية ، لأن تلك الدولة لم يكن لها إذ ذاك من النفوذ والسلطان ما كان لها قبل أن تصبح تحت سيطرة قواد الأتراك وفي قبضة بني بويه والسلاحقة ، فلم يلقوا أى مظهر من مظاهر التشجيع في بلاط الخلفاء العباسيين في بغداد فرحلوا إلى مصر .

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥ . ياقوت . إرشاد الأريب ج ٢

وأشاد ابن هانيء الأندلسي بمحامد العلويين ، وناط به المعز الآمال الكبيرة
عسى أن يحاكي الشعراء العباسيين ويبيدهم . وإذا تصفحنا ديوان هذا الشاعر ،
وجدنا أكثره قد نظم في مدح المعز ، قال ابن هانيء .

ماشئت لاما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

وكأتما أنت النبي محمد وكأتما أنصارك الأنصار (١)

ووصف ابن هانيء ذلك الجيش الضخم الذي أعده المعز لفتح مصر ، فقال :
رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كأن الأفق سد بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطالع
وعبر ابن هانيء عن سرور المعز بفتح مصر بقصيدة ، قال في مطلعها :
تقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضى الأمر
وقد جاوز الإسكندرية جوهر تصاحبه البشرية ويقدمه النصر

ومن أكبر العوامل التي دعت خلفاء الفاطميين إلى العناية بنشر الدعوة
الفاطمية وتعميم مذهب الشيعة بين المصريين ، ذلك الشك الذي تطرق إلى
أصل الفاطميين ، فمن قائل إنهم ينتسبون إلى عبد الله بن ميمون الذي أطلق
عليه لقب القداح لأنه كان يشتغل بتطبيب العيون . ومن قائل إنهم ينتسبون
إلى اسماعيل بن جعفر الصادق من نسل علي وفاطمة . وقد تباينت آراء المؤرخين
بصدد نسب الفاطميين : فأمعن بعضهم في القدح في نسبهم كابن النديم (٣٨٣ هـ)

(١) ديوان ابن هانيء ص ٩٦ .

(٢) ديوان ابن هانيء ص ٨٦ .

في « وفيات الأعيان » ، وابن واصل (٦٩٧ هـ) في « مفرج الكروب في تواريخ بني أيوب » ، والذهبي (٧٤٩ هـ) في « تاريخ الإسلام » ، والسيوطي (٩١١ هـ) في « تاريخ الخلفاء » ، فإن هؤلاء جميعا أنكروا نسبتهم إلى علي وفاطمة . وتصدى مؤرخون آخرون للدفاع عنهم وإثبات أن الفاطميين علويون من آل البيت ، ومنهم : ابن الأثير (٦٣٠ هـ) في « الكامل في التاريخ » ، وابن خلدون (٨٠٨ هـ) في « العبر وديوان المبتدأ والخبر » وفي « المقدمة » ، والمقرئزي (٨٤٥ هـ) في « الخطط » و « اتعاظ الخنفا » . وعلى الرغم من هذا الاختلاف بين المؤرخين ، في هذه المسألة التي تعد من أعقد المشاكل في تاريخ العصور الوسطى ، فإنه يمكن القول بوجه عام ، أن نسب الخلفاء الفاطميين إلى فاطمة صحيح ، وأنه بسبب هذا الغلو الذي ساد المعتقدات الفاطمية رأى منافسوهم أن يقضوا على ما ادعاه الفاطميون من النسبة إلى فاطمة .

واتخذ خلفاء الفاطميين خطوات جريئة في سبيل نشر دعوتهم ، حتى ادعى الخليفة الحاكم الفاطمي تجسم الإله في شخصه ، واستعان بالدعاة لتأكيد ألوهية الحاكم . وقد كتب دعاة الفاطميين في سنة ٤٠٨ هـ ، كتابا بعنوان .

« رسائل الحاكم بأمر الله والقائمين بأمر دعوته » .

وهو مخطوط بدار الكتب الملكية بالقاهرة رقم ٢٢٠ من مخطوطات الشيعة ، في ٦٤ ورقة ، ويشتمل على عشرين رسالة ، تصف الأساليب التي بواسطتها نشر الخلفاء الفاطميون وأنصارهم دعوتهم السياسية والدينية ، كما أنها تمدنا ببيان مسهب لدعوى الحاكم الألوهية .

٣ — الشريف الرضى (٤٠٦ هـ = ١٠١٥ م)

« ديوان الشريف الرضى »

ومن الكتب الهامة المماثلة لديوان ابن هانيء وألفت في عصر الفاطميين « ديوان الشريف الرضى ». ولد مؤلفه في بغداد ، سنة ٣٥٩ هـ ، وتقلد وظيفة نقيب الأشراف بها .

وديوانه مرتب على خمسة أبواب :

الباب الأول — في المدح . والثاني — في الإفتخار وشكوى الزمان .
والثالث — في المراثي . والرابع — في النسيب والمشيب .
والخامس — في الفنون المختلفة .

ورتب كل باب منها على حروف المعجم ، ويليهما الزيادات والآيات المفردات ، مرتبة على حروف المعجم أيضاً .

وللشريف الرضى قصيدته المعروفة ، التي قالها في مدح الخلفاء الفاطميين ، حين عزله الخليفة العباسي القادر في سنة ٤٠٢ هـ عن النظر في المظالم وعن إمارة الحج ، ومنها :

مامقامى على الهوان وعندى مقول صارم وأنف حمى
أحمل الضيم فى بلاد الأعادى وبمصر الخليفة العلوى
من أبوه أبى ومولاه مولا ي إذا ضامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرقه سيد الناس س جميعا محمد وعلى (١) .

وقد أثارت هذه القصيدة حنق الخليفة العباسي ، فدعا إلى جمع الفقهاء وأقطاب العلوية ، واستكثبتهم محضرا في ربيع الثاني سنة ٤٠٢ هـ ، كله طعن وتشهير في نسب الفاطميين .

(١) المقرئى . اتعاظ الحنفا ص ١٧

٤ — عمارة اليمنى (٥٦٩ هـ = ١١٧٤ م)

القاضي الفقيه أبو محمد عمارة بن أبي الحسن بن زيدان الحكيم القحطاني

« النكت العصرية ، في أخبار الوزراء المصرية »

طبعة Hartwig Derenbourg (شالون ١٨٩٧ م)

وجاءت في ثلاثة أجزاء ، معها مقدمة وترجمه وملاحظات باللغة الفرنسية
للمسيو هارتوج ، وفهرس بأسماء الرجال والنساء والدول وآخر بالبلدان
والممل والنحل ، ومختارات من ديوان شعره في المدح والهجاء والنسب والرثاء
والعتاب من بحور شتى ، مرتبة قوافيها على الحروف الهجائية ، وعدة رسائل له
في الشوق والعتاب والمدح والشكر والمفاجأة .

كان عمارة من أهل تهامة في اليمن ، وأوفده أمير مكة إلى مصر رسولا
من قبله ، فدخلها في أول ربيع الأول سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في عهد الخليفة
الفائز ووزيره طلائع بن رزيك وعظم قدره لدى الخليفة بعد أن أنشد له في
قاعة الذهب بالقصر الفاطمي أولى قصائده ، فقد خلع عليه الخليفة الخلع
الموشحة بالذهب ودفع إليه الوزير خمسمائة دينار وأتته مثلها من السيدة أخت
الخليفة . وازدادت مكانته لدى أمراء الدولة وأقاموا الولائم تكريماً له (١) .
عاد عمارة بعد ذلك إلى مكة ، ولكن أميرها أنفذه في مهمة أخرى سنة ٥٥١ هـ
(أبريل ١١٥٦ م) . ومن ثم استقر في القاهرة ، وصار من أظهر شعراء العصر
الفاطمي في عهد الخليفتين الفائز والعاقد . وبعد موت الوزير ابن رزيك ،

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٥ - ٣٣٧ . ابن دقاق .

الانتصار بواسطة عقد الأمصار ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ .

قربه الوزير شاور حتى كان يتردد على داره ويجلس إلى مائدته مرتين في اليوم كما أحسن إليه الوزير الصالح بن رزيك لما امتاز به من سمو المواهب .

وقد تأثر عمارة بمظاهر الترحيب التي خصه بها الخلفاء والوزراء الفاطميون ، ولكنه رغم هذا رفض اعتناق مذهب الشيعة ، وأشار إلى ذلك في ديوانه بقوله :

مذاهبهم في الجود مذهب سنة وإن خالفوني في اعتقاد التشيع

وقد كان لإغداق الفاطميين الهبات على عمارة ، مما جعله يتأسف على سقوط دولتهم ويتذكر أيامهم بالألم والحسرة ، حتى قال : ذكر الله أيامهم بحمد لا يكل نشاطه ولا يطوى بساطه ، فقد وجدت فقدهم وهنت بعدهم^(١)

صدر عمارة كتابه «النسكت العصرية» بتاريخ حياته ، وذكر أخبار الوزراء سواء أكانوا معاصرين له أم غير معاصرين . وتنحصر أهمية عمارة في معاصرتة للحوادث التي جرت بمصر في أواخر أيام الفاطميين ، فكان كشاهد عيان لهذه الحوادث . وأمدنا في كتابه هذا بمعلومات ذات غناء عن الخليفة الفائز والخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين في مصر وعن الوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة ، وأشاد بذكر هؤلاء جميعا . ولكتاباه قيمة كبرى لمن يريد معرفة الدور الذي قام به الشعراء في نشر تعاليم الفاطميين ومعرفة العوامل الحقيقية في سقوط الدولة الفاطمية .

(١) عمارة اليمني : النسكت العصرية ص ١٢٩

وقد وضع أحد الأدباء (واسمه غير معروف)
« مختارات من ديوان عمارة اليمنى ،

ورتب قوافيها على الحروف الهجائية ، وهى فى الغزل والنسيب والمدح
والهجاء والعتاب والرثاء ، ومعها عدة رسائل نثرية للمؤلف فى الشوق والعتاب
والمدح والشكر والشكاية والمفاجأة ، كتبها جوابا عن بعض أصدقائه إليه .
وهى موجودة بدار الكتب الملكية بالقاهرة .

عمل عمارة بعد سقوط الفاطميين ، على إعادة الحكم إليهم ، إذ اعتبر
الأيوبيين معتصبين للعرش الفاطمى ، وبلغ من تحقير هذا الشاعر لشأن
صلاح الدين أنه كان يطلق عليه لقب « الملوك الصغير » . واستطاع عمارة
فى سبيل الوصول إلى أغراضه أن يضم إلى حركته كثيرآ ممن جمع بينهم الحقد
على الدولة الأيوبية ومن تأثرت مواردهم المالية نتيجة قيامها . فجمع حوله
كثيرآ من السودانيين ، وبعض التركان الخافدين ، وبعضاً من قواد صلاح الدين
الحاسدين له لوصوله إلى الوزارة ، بل أكثر من ذلك أن المتآمرين ضد
صلاح الدين فاضوا عمورى ملك بيت المقدس ، وراشد الدين سنان رئيس
الإسماعيلية الحشيشية ، لإرسال حملات إلى مصر ضد الأيوبيين . وانضم كبار
موظفى الدولة إلى حركة عمارة اليمنى أمثال عبد الجبار بن اسماعيل داعى الدعوة ،
وابن كامل قاضى القضاة ، وعبد الصمد الكتائب ، وجماعة من بنى رزيق من
أسرة شاور والعوريس ناظر الديوان (١) .

(١) المقرئزى : كتاب السلوك ج ١ ص ٥٤

ومما زاد في خطورة هذه الحركة ، اتفاق عمارة اليمنى مع ملك صقلية النورماندى على مهاجمة الشواطىء المصرية فى الوقت الذى تقوم فيه الثورة ضد الأيوبيين فى القاهرة ، فأرسل ملك صقلية أسطولاً كبيراً مكوناً من ٢٨٢ قطعة وحاصر الاسكندرية بالمجانيق والدبابات لمدة ثلاثة أيام ، استبسلت فيها حامية الاسكندرية وقاومت بكل شجاعة ، ولكنها أوشكت على التسليم ، لولا أن صلاح الدين أعلن أنه سيمدها بالعتاد والذخيرة ، فأوجس الأعداء خيفة ، ورفعوا الحصار وهربوا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة فى سفنهم . وكذلك لم يبر ملك بيت المقدس بوعده فى إرسال حملته ، لما علم بمصير حملة ملك صقلية وبقضاء صلاح الدين على مدبرى المؤامرة . ذلك أن أخبار هذه المؤامرة وصلت إلى صلاح الدين عن طريق زين العابدين على بن نجما الذى ظل يشترك مع المتآمرين حتى عرف خطتهم كاملة ، وعندئذ نقل تفاصيلها إلى صلاح الدين .

بذلك فشلت حركة عمارة اليمنى ، واستطاع صلاح الدين أن يقبض عليه وعلى باقى زعماء الحركة الذين ساعدوه . فاعترف بعضهم ، وبرروا عملهم هذا بما نالهم من قطع أرزاقهم بإقصائهم عن مناصبهم ، فصلب صلاح الدين أكثر المتآمرين ، وقتل عمارة اليمنى فى رمضان سنة ٥٦٩ هـ (إبريل ١١٧٤ م)^(١) .

(١) ابن واصل : مفرج الكروب (مخطوط) ص ٤٨ .

٥ — القاضي الفاضل (٥٩٦ هـ)

هو الوزير مجير الدين أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي ابن القاضي السعيد أبي محمد محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد ابن أبي المفرج بن أحمد اللخمي .

ولد بمدينة عسقلان في ١٥ جمادى الثانية سنة ٥٢٩ هـ ، وهو مصري الدار وعرف باسم القاضي الفاضل ، وشغل منصب الوزارة في عهد سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب . وكان والده قاضيا بمدينة بيسان .

وله ديوان يعرف باسم « ديوان القاضي الفاضل »

مأخوذ بالتصوير الشمسي عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة المعهد العلمي بمدينة دمياط ، وموجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٤٨٥٩

وقد استفاد من هذا الكتاب ، أبو شامة في كتابه « الروضتين في أخبار الدولتين » (دولة نور الدين ودولة صلاح الدين)

وقد وضع الإمام جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري ، المولود في مصر في شهر ربيع الأول سنة ٦٨٦ هـ والمتوفى بالقاهرة في شهر صفر سنة ٧٦٨ هـ ، كتابا أسماه

« الفاضل ، من كلام القاضي الفاضل »

وهو عبارة عن مختارات ، في المراسلات والمكاتبات ، من إنشاء القاضي الفاضل . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٨٢ ، مأخوذ بالتصوير الشمسي عن النسخة الأصلية المحفوظة في المتحف البريطاني بلندن .

٦ — عماد الدين الاصفهاني (٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م) :

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي الرجاء حامد بن محمد بن عبد الله بن علي
الكتاب ، الملقب بابن أخي العزيز .

« خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر »

وهو مخطوط في ستة أجزاء تقع في ستة مجلدات ، محفوظة بدار الكتب
برقم ٤٢٥٥ ، مأخوذة عن نسخة خطية محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس
برقم ٣٣٢٦ — ٣٣٣١ .

ولد عماد الدين بأصفهان سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) ، وكان فقيها شافعي
المذهب ، تفقه بالمدرسة النظامية ببغداد وتخرج فيها ، وأتقن المجادلة وفنون
الأدب ، واتصل بخدمة الوزير عون الدولة بن هبيرة ، فأحسن إليه وقربه
وشمله بعطفه . فلما توفى الوزير رحل عماد الدين إلى دمشق ، فوصلها سنة ٥٥٢ هـ
(١١٦٥ م) ، وهناك عهد إليه بإدارة البريد . وفي سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) ،
فوض إليه التدريس بالمدرسة في دمشق . فلما توفى نور الدين ذهب إلى الموصل
حيث مرض بها مرضاً شديداً ، وبقى فيها حتى سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) . ولما
عاد إلى دمشق ، رحل إلى حلب واتصل بخدمة صلاح الدين ، فحاز ثقته ،
ولما توفى صلاح الدين عاد إلى دمشق ، وكرس بقية حياته للأدب حتى
توفى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) ^(١) .

وكتابه « خريدة القصر » يحوى تراجم مستفيضة للشعراء ورجال الأدب

(١) ياقوت . ارشاد الأديب ج ٨ ص ٨١ . ابن خلكان . وفيات الأعيان

الذين عاشوا في عهده . وما يجعل لهذه التراجم أهمية خاصة أن عماد الدين قابل معظم هؤلاء الشعراء والأدباء وأخذ عنهم تاريخ حياتهم وشيئا كثيرا من شعرهم . ويقع الجزء الخاص بتاريخ مصر في مجلدين .

قال عماد الدين في صور مخطوطه « آثرت أن أأثر من ماثر أهل العصر ما يخلد آثارهم ويحدد منارهم ، وكنت طالعت كتابي يتيمة الدهر ، ودمية القصر للشعالبي والباخرزي ، وما وجدت بعدهما من حدث نفسه أن يبلغ غايتهما ، فصنفت هذا الكتاب وألفته ، ورسمت هذا الوشى وفوقته . »

وهذه المجلدات الستة الموجودة من هذا المخطوط ، والمحفوظة بدار الكتب المصرية هي :

مجلد يحتوى على محاسن شعراء العراق : بغداد وواسط والبصرة ، وينتهى إلى أثناء ترجمة الحريري صاحب المقامات .

ومجلد آخر — يحتوى على محاسن شعراء أهل مصر ، وهو ناقص من أوله ، وأول ما فيه قبيل الكلام على أبي الحسن العسكري المصري . ومجلدان آخران متتابعان يحتويان على محاسن شعراء الشام وفلسطين والموصل والحجاز واليمن .

والمجلدان الأخيران : في محاسن شعراء صقلية وجماعة من شعراء القيروان وأفريقية وجماعة من المغرب وردوا الشام وجماعة منهم ذكرهم السمعاني في جملة أصحاب الحديث وجماعة منهم وردوا مصر .

ويبحث عماد الدين في كتابه حالة الشعراء الذين عاشوا في عهد الخلفاء الفاطميين : المستعلى ، والأمير ، والحافظ ، والظافر ، والفائز ، والعاقد . ولكتابيه قيمة كبيرة في بحث أثر الشعراء في الشطر الأخير من أيام الدولة الفاطمية .

الباب الخامس

مصادر الرحالة والجغرافيين

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفها

اليقوبى والاصطخرى — المسعودى — المقدسى — ابن حوقل — البيرونى —
ناصر خسرو — البكرى — الإدريسى — السمعانى — أسامة بن منقذ —
ابن جبير — ياقوت — عبد اللطيف البغدادي — ابن بطوطة .

١ - ٢ اليقوبى (٢٩٢ هـ = ٨٩٥ م)

والاصطخرى (من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجرى)

وضع احمد بن أبى يعقوب بن جعفر اليقوبى :

(١) كتاب البلدان ، طبعة دى غوية De Goeji (ليدن ١٨٩٢ م) .

(ب) تاريخ اليقوبى ، جزءان ، طبعة هوتسما Houtsma (ليدن ١٨٦٠ م)
ومطبعة الغربى (النجف ١٣٥١ م) .

قام اليقوبى برحلات طويلة فى أرمينية وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب .
ويعد كتابه « تاريخ البلدان » من أهم المؤلفات التى وضعها الرحالة ، لمن يريد

أن يقف على أوصاف وأخبار الممالك التي زارها اليعقوبي ، لأنه دون في كتابه ما شاهده بنفسه ، فقد قال : « إني عنيت في شبابي ، وعند احتيال سني وحدة ذهني ، بعلم أخبار البلدان والمسافة ما بين كل بلد وبلد ، لأنني سافرت حديث السن ، واتصلت بأخباري ودام تغربي ، . وقد ذكر في هذا الكتاب أسماء البلاد المصرية والأجناد والجسور ، مبيناً من تغلب على كل إقليم من أقاليم العرب ومن فتحه من قواد الإسلام ومقدار خراجه .

أما تاريخ اليعقوبي ، فهو من أقدم الكتب التي تناولت التاريخ على العموم من آدم إلى ظهور الإسلام ، ومن ظهوره إلى زمن المعتمد على الله الخليفة العباسي (٥٢٩٢هـ) .

ووضع أبو القاسم ابراهيم الاصطخرى الفارسي كتاب
« مسالك الممالك (ليدن ١٨٧٠ - ١٨٩٣م - المجلد الأول من المكتبة
الجغرافية) .

وهو يحوي وصفا دقيقا لكل جزء من أجزاء العالم الإسلامي ، وأشهر مدنه ، ووضح ما أثبتته في كتابه بالخرائط ، واعتمد فيما دونه على رحلاته في الممالك الإسلامية . وفصل فيه الكلام على تلك الممالك بأن قسمها إلى عشرين إقليما ، بين ما اشتمل عليه كل إقليم من المدن والبحار والأنهار ، فتكلم على بلاد العرب ، وبلاد المغرب ، ومصر والشام والجزيرة والعراق وفارس والهند إلى بلاد ما وراء النهر .

٣ - المسعودى (٥٣٤٦ = ٩٥٦ م)

أبو الحسن على بن الحسين بن على الحسينى الشافعى

(١) « مروج الذهب ومعادن الجوهر » جزءان

(القاهرة ١٣٠٣ هـ = ١٨٨٢ م)

(ب) « كتاب التنبية والإشراف » طبعة دى غويه Ee Goeje (المجلد الثامن

من المكتبة الجغرافية - ليدن ١٨٩٣ م) . ويقع فى ٥٠٠ صفحة .

(ح) « أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثن وعجائب البلدان »

(مخطوط بدار السكتب الملكية المصرية ، وبالمكتبة الأهلية بباريس)

وينسب المسعودى إلى عبد الله بن مسعود ، أحد أصحاب الرسول عليه السلام ، ولذا عرف باسم « المسعودى » . نشأ فى بغداد ، وزار كل أرجاء آسيا تقريبا ، وقضى أواخر أيامه فى سورية ومصر فى أواخر عهد الرشيد .

وكان المسعودى لا يفتقر فى أثناء أسفاره عن الاستقصاء والبحث ، فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليه أحد ، ووضع كثير من الكتب ، كان أهمها ما وضعه فى التاريخ .

وأهم كتبه « مروج الذهب » وهو عبارة عن دراسة تاريخية وجغرافية معا ، وهو ليس تاريخا متصل الحلقات بعضه ببعض ، ولكنه عبارة عن مجموعة حوادث وأخبار ، ويتكلم عن الفرق الدينية والخلافة ويصف الحيوانات

والمناظر الغربية ، وهو مبني على مارآه من البلاد أثناء رحلاته الخاصة . (١)
وصف في الجزء الأول منه الخليقة ، وقصص الأنبياء ، والبحار والأرضين
وما فيهما من العجائب ، وتواريخ الأمم القديمة من الفرس واليونان والرومان
والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم وأطوال الشهور والتقويم ،
وتكلم على الدولة العربية منذ ظهور النبي عليه الصلاة والسلام إلى مقتل عثمان .
وتناول في الجزء الثاني تاريخ الإسلام من خلافة علي إلى سنة ٣٤٥ هـ .
ولأهمية هذا الكتاب طبع مراراً ، ونقله المستشرقون إلى اللغتين الفرنسية
(باريس ١٨٧٢ في ٩ مجلدات) والإنجليزية (الجزء الأول - لندن ١٨٤١) .

أما كتاب « التنبيه والإشراف » فقد ذكر فيه « الأفلاك وهيئاتها
والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها وأقسام الأزمنة والنواحي والآفات
وتأثيرها على السكان وحدود الأقاليم السبعة والعروض والأطوال ومصاب
الأنهار ، وملوك الفرس ، والروم وأخبارهم ، وجوامع تواريخ العالم والأنبياء
ومعرفة السنين القمرية والشمسية ، وسيرة النبي ، وظهور الإسلام ، وسير
الخلفاء وأعمالهم ومناقبهم إلى سنة ٣٤٥ هـ » .

وتكلم في كتابه « أخبار الزمان » على هيئة الأرض ومدنها وجبالها
وأنهارها ومعادنها ، والأبنية العظيمة المقامة ، وتقسيم الأقاليم ، وتباين الناس .
ولم يفته في هذا الكتاب سير الملوك القدماء وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام . ووصل في سرد الحوادث التاريخية إلى سنة ٣٣٢ هـ ، وهي السنة التي
ألف فيها كتابه « مروج الذهب » .

٤ — المقدسي (٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م) :

شمس الدين أبو عبد الله محمد

« أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم »

(طبعة دي غوية De Goejie — المجلد الثاني

من المكتبة الجغرافية — ليدن ١٨٧٠ — ١٨٩٣ م)

وهو من الناحيتين الجغرافية والتاريخية . قال المقدسي يصف محاسن كتابه :
« وماتم لي جمعه إلا بعد جولاتي في البلدان ، ودخولي أقاليم الإسلام ، ولقائي
العلماء ، وخدمتي الملوك ، ومجالستي القضاة ، ودرسي على الفقهاء ، واختلافي
إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديث ، ومخالطة الزهاد والمتصوفين ، وحضور
مجالس القصاص والمذكرين ، مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل
أحد ، والتفطن في هذه الأسباب بفهم قوي حتى عرفتها ، ومساحة الأقاليم
بالقراستح حتى أتقنتها ، ودوراني على التخوم حتى حررتها » .

وكان المقدسي يعتمد في كل مايكتبه على ما يشاهده بنفسه في أسفاره ،
وشاد بذكر مبلغ ما أفاده من رحلاته ، فقال : « خطبت على المنابر ، وأذنت
على المآذن ، وأمت في المساجد ، وأكلمت مع الصوفية الهرائس ؛ ومع
الخانقائيين ^(١) الثرائد ، ومع النواتي العصائد » .

(١) هم الذين يقيمون في الخانقاه (أو الخونقاه أو الخونكاه) ، وهي كلمة فارسية
معناها بيت ، وقد اتخذ في مصر لإيواء فقراء الصوفية القادمين من البلاد الشرقية .
وبلغ الصوفية أوج عزهم في أيام صلاح الدين الأيوبي وخلفائه ، كما يشهد بذلك العدد
الوافر من البيوت التي شيدت لهم والتي تعرف باسم الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة
راجع : مصر والحضارة الإسلامية للدكتور زكي محمد حسن ص ١٧ .

٥ - ابن حوقل (عاش في القرن الرابع الهجري)

أبو القاسم احمد البغدادي

« المسالك والممالك »

(المجلد الثاني من المكتبة الجغرافية - ليدن ١٨٧٠ - ١٨٩٣ م)

كان ابن حوقل من الرحالة الذين جابوا الأمصار الإسلامية، واستمروا في تجوالهم ثلاثين عاماً. غادر بغداد سنة ٣٣١ هـ، وطاف العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، عدا الصحراء الكبرى التي لم يشاهد سوى جزء يسير منها. ووصف ابن حوقل مدينة بلرم عاصمة صقلية، ووصف أقدم وصف إسلامي لهذه المدينة، ودون في مشاهداته كثيرة مساجد صقلية وكثرة المعلمين بها.

وقال ابن حوقل في مقدمة كتابه « المسالك والممالك » :

« قد عملت هذا الكتاب على صفة أشكال الأرض ومقدارها بالطول والعرض، وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران، من جميع بلاد الإسلام، بتفصيل مدنها وتقسيم ما يفرد بالأعمال المجموعة إليها، ولم أقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض، لأن الصور الهندسية وإن كانت صحيحة فكثيرة التخطيط، وقد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويراً وشكلاً يحكي موضع ذلك الإقليم، ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن والبقاع وما في أضعافها من المدن والأصقاع، وما فيها من القوانين والارتفاع، وما فيها من الأنهار والبحار، وما يحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم على وجوه الأموال والجبايات والأعشار والخراجات، والمسافات في الطرقات.»

وقد اعتمد ابن حوقل في تأليفه لكتابه على كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة ، وقيل إن كتاب ابن حوقل عبارة عن مراجعة لهذا الكتاب وإضافة بعض الحقائق التاريخية الجغرافية إليه .

وقد طبع مؤلف ابن خرداذبة في المجلد السادس ضمن مجموعة المكتبة الجغرافية (ليدن ١٨٧٠ - ١٨٩٣ م) . وفيه ذكر الممالك الإسلامية ، والمسافة بين كل منها ، وما فيها من البحار والأنهار والطرق ، ومقدار الخراج المفروض على أهلها ، ثم بين أسماء ملوك كل منها بألقابهم .

ويقول الأستاذ الدكتور زكي محمد حسن : « واتصل ابن حوقل بالفاطميين . وقد ذهب المستشرق الهولندي دوزي Dozy إلى أن هذا الرحالة ، كان يتجسس ويعمل لحساب الفاطميين في الأندلس ، فإنهم كانوا في البداية يتطلعون إلى الاستيلاء على تلك البلاد ، ولعلمهم كانوا يسعون إلى جمع المعلومات عنها . وقد أشار دوزي إلى ما كتبه ابن حوقل في الخط من شأن الفرسان الأندلسيين ، وشرح ما كانت عليه البلاد من ضعف ، ليحث الخليفة الفاطمي على أن يقدم على غزوها (١) .

ومن أبداع ما دونه ابن حوقل ، وصفه لمدينة الفسطاط كما شهدها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وأواخر القرن العاشر الميلادي ، فقد ذكر أنها مدينة عامرة بالأسواق والمتاجر والبساتين ، وأن معظم مبانيها كانت من الطوب . ثم قال : الفسطاط مدينة حسنة ، ينقسم النيل لديها ، وهي كبيرة نحو ثلث بغداد ، ومقدارها فرسخ ، على غاية العمارة والطيبة واللذة ، ذات رحاب في مجالسها ، وأسواق عظام ، ومتاجر فخام . ولها ظاهر أنيق ، وبساتين خضرة ، ومنتزهات على ممر الأيام خضرة .

٦ - البيروني (٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م)

أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي

« الآثار الباقية ، عن القرون الخالية » (ليبسك ١٨٧٨ م)

البيروني من سكان بيرون Bernn أحد أحياء جنوة ويطلق على الحي والبلدة معاً اسم خوارزم . وهو من مشاهير الرحالة المسلمين ، فقد كان يعرف عدة لغات كال يونانية والهندية ، مما ساعده على نقل كثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية ، ومعظم كتابته في الأعياد والمذاهب الدينية .

وقد بين « في الآثار الباقية » التواريخ التي تستعملها الأمم على اختلافها ، والشهور التي تستعمل في التواريخ عند كل أمة مع ذكر أسماؤها ، وأسماء أيام الأسبوع ، واستخراج التواريخ بعضها من بعض ، وبيان تواريخ الملوك الأقدمين وغيرهم ممن اتصلت بنا أخبارهم ، وهم من آدم إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، وأسماء ملوك بني إسرائيل ، وآشور ، وبابل ، وكلدان ، وملوك البطالسة في مصر ، وملوك الروم قبل ظهور النصرانية وبعدها ، وملوك القسطنطينية ، وأنواع الملوك وألقابها ، وأنواع الألقاب الصادرة عن حضرة الخلافة ، وذكر أعياد الأمم القديمة وأعياد النصارى وصيامهم ، وأعياد العرب في الجاهلية ، والتطورات التي حدثت بعد ظهور الإسلام .

ونشر هذا الكتاب سنة ١٨٧٨ م ، مع مقدمة وملاحظات باللغة الألمانية للمستشرق الألماني سنحو . وترجمه أدوارد سخاو Edward Schau إلى اللغة الإنجليزية (لندن ١٨٩٧ م) .

٧ - ناصر خسرو (٤٨١ هـ = ١٠٨٨ م)

« سفر نامه » ، أو « زاد المسافر »

طبع المسيو Schefer متنه بالفارسية وترجمته بالفرنسية مع الحواشي
والتعليقات باسم :

Rélation du Voyage de Nasiri Khosrau en Syrie, en Palestine
en Egypte, en Arabie et en Perse.

(Persian Texte and Translation by Charles Schefer-Paris, 1881).

كان ناصر خسرو وزيراً في خراسان ، ثم اعتزل الوزارة وحبج بيت الله ،
واعتنق مذهب الإسماعيلية وهو مذهب الفاطميين ، واعتبر الفاطميين الأئمة
حقاً . وجاب كثيراً من البلاد الإسلامية ، وخاصة : الشام وفلسطين ومصر
والحجاز . وأودع كتابه « سفر نامه » كل مشاهداته في تلك البلاد . وكانت
زيارته لمصر في أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) ،
فقد وصل إلى القاهرة في ٧ صفر سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) ، وبقي فيها
مدة سنتين ، إذ استمرت إقامته فيها إلى يوم الثلاثاء ١٤ ذى الحجة
سنة ٤٤١ هـ (١٠٥٠ م) .

وجاءت كتابة ناصر خسرو عن مصر في ذلك العصر أحسن ما في كتابه .
فقد اعتبر القاهرة المركز الرئيسي للمذهب الذي يدين بعقائده ، ووصف ثروة
البلاط الفاطمي وأهله ، وما كانت عليه الفسطاط والقاهرة من عظمة ورقى ،
وأوضح أن القاهرة وقت زيارته : كانت كعبة العلم والأدب ، مزدحمة
بالحوانيت ، أهلة بالسكان ، تملؤها القصور الشاهقة ، وبها المناظر والحمامات
وبين أن الفسطاط إذ ذاك كانت مدينة عظيمة ، رغم أنها لم تكن عاصمة

الديار المصرية ، وأعجب باستتباب الأمن والنظام في البلاد . ويعد كتابه من أهم ما كتب عن تاريخ الفاطميين أيام المستنصر .

وقد أطنب الرحالة ناصر خسرو في وصف الصناعة المصرية في العصر الفاطمي ، فقال : إنه لم يجد أثناء زيارته للبلاد المصرية ما يحاكيها ولا يداينها في جميع الأقطار التي شاهدها في أسفاره . وخص من بين هذه الصناعات : صناعة الخزف والزجاج والسفن .

واستلفت ناصر خسرو أن التجار كانوا يبيعون سلعهم بأثمان محددة ، وأنهم اتصفوا بالأمانة ، وكان يشهر كل من ارتكب منهم غشا ، أو زيفا في تجارته ، فيطاف به في الشوارع بين اللعنات ودق الأجراس . ولم يشك أحد من سلب أو نهب ، حتى كان التجار لا يخفون بإغلاق حوانيتهم في الليل . وأبدع ناصر خسرو في وصف الإحتفال بوفاء النيل أو جبر الخليج ، الذي كان من أعظم الإحتفالات التي كانت تقام في مصر في كل عام ، فذكر أنه كان يحتفل به بحضور الخليفة المستنصر ، وفي ركبه عشرة آلاف فارس يمتطون الخيول المطهمة الملجة ، ويلبسون الدروع المحلاة بالذهب والأحجار الكريمة . ويل هؤلاء صفوف من الجمال عليها هودج مزركشة ، تقودها طائفة من جنود الخليفة ، تسير في صفوف منظمة^(١).

وقد نشر الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب كتابا باللغة الفرنسية عن

Nasir Hosraw

ناصر خسرو بعنوان :

Son Voyage, sa persée, sa philosophie et sa poésie
(Le Caire M C M X L).

كما نشر عنه أيضا كتاب « خوان الإخوان » تأليف ناصر خسرو علوى « بسعى واهتمام وتصحيح » الدكتور يحيى الخشاب ، بانضمام مقدمة وجهار فهرست (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٤٠ م)

(١) راجع سفرنامه لناصر خسرو

٨ - البكري (٤٨٧ هـ = ١٠٩٧ م)

الفقيه الحافظ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن أبي مصعب

(١) « المغرب ، في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ،

(طبعة دي سلين De Slane — باريس ١٩١١ م)

(ب) « معجم ما استعجم » (طبعة جوتنجن ١٨٧٦-١٨٧٧ م والقاهرة ١٩٤٥)

ينسب البكري إلى أبي بكر الصديق . وبكتابه معلومات جلية الشأن عن شمالي أفريقيه وهو يعد جزء من أجزاء كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبه الفارسي ، الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وهو من أقدم الكتب الجغرافية التي ظهرت باللغة العربية . ويشتمل كتابه على ذكر المدن والقرى من مصر إلى برقة ، وعلى بيان الطرق إلى الواحات ، ومن طرابلس إلى قابس ، ومنها إلى القيروان . ثم فصل الكلام على إفريقيه وبلادها وحدودها وغرائبها ، وذكر مدينة تلمسان وما والاها إلى المغرب ، وتكلم على بلاد السودان ومدنها المشهورة واتصال بعضها ببعض والمسافات بينها وسير أهلها ، ونبذة عن تاريخ البربر .

أما كتابه « معجم ما استعجم » فقد ذكر فيه جملة ما ورد في الأحاديث والأخبار ، والتواريخ والأشعار من المنازل والديار ، والقرى والأمصار ، والجبال والآثار ، والمياه والدارات والآبار . وقام بنشره الأستاذ مصطفى السقا ، ووصف المعجم وأوضح قيمته العلمية في هذه العبارة : « وهو معجم لغوى جغرافى ، يصف جزيرة العرب ، ويتقرى ماها من المعالم والمشاهد والبلدان والمعاهد والآثار والمحافد والمناهل والنوارد ، ويتتبع هجرة القبائل العربية من أوطانها واضطرابها في أعطائها وترددتها بين مصايفها ومرابعها بمباديها ومحاضرها وبذكر أيامها ووقائعها وأنسابها وعشائرها » .

٩ - الإدريسي (٥٦٠ هـ) :

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشريف
« كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » (روما ١٥٩٢ م)

ولد الإدريسي في سبته سنة ٥٤٩٣ هـ ، ودرس في جامعة قرطبة ، وجاب
الأندلس وشمالي إفريقيا وآسيا الصغرى ، وقيل إنه زار فرنسا وإنجلترا ، ونزل
ضييفا في بلاط ملك صقلية حيث كانت لا تزال متأثرة بالمدينة الإسلامية .
واختاره ملكها روجر Roger ليضع له كتابا في وصف الأقاليم المعروفة
إذ ذاك ، وقام بما عهد إليه ، مستعينا بما أفاده من رحلاته الخاصة ، وامتاز
كتابه بغزارة المادة ودقتها ووضوحها .

أوضح الإدريسي في كتابه « نزهة المشتاق » صورة الأرض وهيئتها ومقدار
المسكون منها ، وذكر البحار ومبائها وما تنهى إليه وما يلي سواحلها من
البلاد والأمم ، وقسمها إلى أقاليم سبعة وذكروا تحتوى عليه من البلاد والأمم
والعجائب والمسالك والطرق ومقدار فراسخها وأميالها ومجاري بحارها ،
ورسم خريطة لكل إقليم مبينا فيها ما يشتمل عليه من المدن والسكر . وما
يدل على أهمية الكتاب أنه ترجم في القرن السابع عشر الميلادي إلى اللغة
اللاتينية ، كما أن علماء الغرب شهدوا بأنه لا يوجد كتاب آخر يماثل كتاب
الإدريسي من حيث قيمته الجغرافية وتفصيله الكلام على كثير من ممالك العالم .

وقد اختصره مؤلف ، لم يعرف اسمه بعد ، ووضع كتابا اسمه « المغرب
وأرض السودان ومصر والأندلس » ، ضمنه القول عن هذه الأقطار الأربعة :
ملوكها ، دياناتها ، أزياء أهلها وأخلاقهم ، بحارها وأنهارها ، جزائرها ،
معادنها ، حيواناتها . وقد طبع في ليدن سنة ١٨٦٤ م .

وجاءت شهرة الإدريسي ، لاعن طريق كتبه ، بل لرسمه خريطة للعالم في العصر الذي عاش فيه . وقد أظهر هذا العمل الدقيق الذي قام به الإدريسي ، أن العرب كانوا على علم بممالك أوروبا المختلفة ومنها السويد والنرويج وألمانيا وإنجلترا وغيرها . ومن المحتمل أن تسكون معلومات الإدريسي عن أوروبا جاءت نتيجة اتصال المسلمين بأوروبا في العصور الوسطى . ولاشك أن جميع الممالك التي ذكرها الإدريسي كانت ممثلة على تلك الستور الحريرية التي كانت بقصر الفاطميين .

وقد قام كنياد ملر Conrad Miller بطبع خريطة الإدريسي باسم
Mappae Arabicae, drawn after Idrisi (Stuttgart, 1926 - 1927).

وبمناسبة الكلام على خريطة الإدريسي ، لايفوتنا أن نذكر ذلك المؤلف
الجليل الذي وضعه سمو المغفور له الأمير عمر طوسون ، وهو .

« La Géographie de L'Égypte à L'Époque Arabe » I.ere 1-2 parties.
(Memoires de La Société Royale de Géographie d'Égypte, t. VII.
1ère, 2ème parties - Le Caire, 1926 - 1928).

وهو من الكتب القيمة ، لما حواه من المعلومات النفسية والمصورات التي
ازدان بها ، بماله أعظم الأثر في توضيح أقسام مصر الإدارية في مختلف العصور .
ورغم هذه الشهرة الواسعة التي تمتع بها الإدريسي ، فقد ذكر الأستاذ
الدكتور زكي محمد حسن أن سيرة الإدريسي لا يزال يكتبها الغموض ، وفي ذلك
يقول : « وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن مرجع هذا أن المؤلفين العرب
كانوا يتجاهلون وجوده لإسرافه في مدح رجار وإنصافه المسيحيين في صقلية
إلى أبعد حد ، في وقت كان المسيحيون فيه يشنون على المسلمين الحروب الصليبية
الشعواء أو يعملون على طردهم من الأندلس » (١) .

(١) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٦٧ .

١٠ - السمعاني (٥٦٢ هـ = ١٠٦٦ - ١١٦٧ م)

القاضي أبو سعيد عبد الحكيم بن أبي بكر

« كتاب الأنساب »

ولد السمعاني في مرو سنة ٥٠٦ هـ ، وقام برحلات في إيران والعراق
والشام والحجاز وغيرها من بلدان الشرق الأدنى .

وكتابه الأنساب ، جليل الفائدة من ناحيتي النسب والجغرافية واختصره ،
في كتاب طبعته لجنة إحياء ذكرى جب سنة ١٩٢٢ م .

(Gibb Memorial Series, No. XX. - London, 1912).

وتبين قيمة كتابه مما أورده السمعاني في صدر مؤلفه :

« لما اتفق الإجماع مع شيخنا وإمامنا أبي شجاع عمر بن أبي الحسين
البسطامي .. فكان يجتني على نظم مجموع في الأنساب وكل نسبة إلى قبيلة
أو بطن أو ولاء أو بلد أو قرية أو حرفة أو لقب لبعض أجداده ... فشرعت
في جمعه بسمرقند في سنة خمسين وخمسمائة . وكنت أكتب الحكايات والجرح
والتعديل بأسانيدها ثم خذفت الأسانيد لكيلا يطول . وملت إلى الاختصار
ليسهل على الفقهاء حفظها ولا يصعب على الحفاظ ضبطها وأوردت النسبة على
حروف المعجم وراعى فيها الحرف الثاني والثالث إلى آخر الحروف ، وابتدأت
بالألف الممدودة ، وأذكر نسب الرجل الذي أذكره في الترجمة وسيرته وما قال
الناس فيه وإسناده وأذكر شيوخه ومن حدث أو روى عنه ومولده وزمانه
إن كان بلغني ذلك » . وجمع هذا الكتاب بضعة الآف من التراجم .

١١ - أسامة بن منقذ (٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م)

أبو المظفر بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر الملقب بمؤيد الدولة مجد الدين .

« كتاب الاعتبار » أو « حياة أسامة »

Analogie de textes Arabes, inedits par Ousamaet sur Ousama,
ed. by Derenbourg (Paris, 1893).

كان أسامة من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر في الشام ، ويعد من شجعانهم وعلماهم الذين اشتهروا بمؤلفاتهم العديدة التي وضعوها في الأدب . رحل عن بغداد كمعظم شعراء عصره يريد مصر ، فأقام فيها منذ سنة ٥٤٩ هـ رغبة في صلات الخلفاء الفاطميين . ثم عاد إلى الشام . ومعلوماته التي ضمنها كتابه جليلة الشأن ، لأنه شاهد بنفسه حوادث مصر في ذلك العصر .

قام أسامة بعدة رحلات في مصر والشام وبلاد الجزيرة وبلاد العرب ، وكان لهذه الرحلات أعظم الشأن في وصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وفي بيان العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في الشرق الأدنى في القرن السادس الهجري . ووصف في « كتاب الاعتبار » ما شاهدته في مصر من الأحداث فيما بين سنتي ٥٣٩ و ٥٤١ هـ فتحدث عن وصوله إليها في عصر الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله وعمما وقع له فيها من الفتن بسبب ثورات الجند ، والنزاع القائم بين الخلفاء والوزراء . ولتفاصيل هذه الأخبار شأن تاريخي كبير ، لأن أسامة ساهم في بعض تلك الأحداث وقام بمهمات سياسية لطائفة من الأمراء (١) .

وقد وضع الأستاذ محمد احمد حسين كتابا بعنوان « أسامة بن منقذ »

(القاهرة ١٩٤٦ م) .

(١) الدكتور زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٩٨

١٢ - ابن جبير (٦١٤ هـ = ١٢١٧ م)

أبو الحسن محمد بن أحمد السكتاني

« رحلة ابن جبير » (ليدن ١٨٥٢ م)

ولد ابن جبير في مدينة بلنسية سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) ، ودرس على علماء عصره في سبتة وغرناطة ، ودخل خدمة أبي سعيد بن عبدالمؤمن صاحب غرناطة . ثم بدأ رحلاته ، فخرج من ثغر سبتة الواقع على شاطئ مراکش في مواجهة جبل طارق ، وسارت السفينة محاذية لشاطئ الأندلس ، واتجهت شرقا مارة بجزائر البليار ، ووصل إلى سردانية ، وأقلعت به السفينة بعد ذلك إلى صقلية ، وبعد شهر من بدء رحلته استقر به المقام في الاسكندرية في عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، الذي امتدحه ابن جبير .

وصف ابن جبير مدينة الاسكندرية وصفا دقيقا ، فذكر آثارها وعمارتها ومنارها ومدارسها ومساجدها ، وشاهد فيها دخول الأسرى الصليبيين الذين وقعوا في يد المسلمين فقد رأهم « راكبين على الجمال ووجوههم إلى أذنانها وحولمهم الطبول والأبواق » . ثم أقام في القاهرة عدة أيام ، وزار مشهد الحسين والقرافة وضريح الإمام الشافعي والمدرسة الناصرية التي شيدها السلطان صلاح الدين ومارستان القاهرة والقلعة والسور والقناطر التي أقامها السلطان عند بدء الصحراء الغربية .

زار ابن جبير بعد ذلك مدينة قوص في الوجه القبلي ووصف أسواقها

وتجارتها ، ومنها سافر إلى ثغر عيذاب (١) بطريق الصحراء الذي ذاعت شهرته في عالم التجارة في العصور الوسطى وأشار إلى رواج تجارة الفلفل والتوابل . على أن الجزء الأساسي في رحلة ابن جبير هو وصف مكة والمسجد الحرام ومناسك الحج وزيارة المدينة المنورة .

وعاد ابن جبير ، مارا بطريق نجد قاصداً الكوفة ، وعبر الفبرات عند مدينة الحلة ، ووصل إلى بغداد ووصف مدارسها ومساجدها وأسواقها وحماماتها وقصورها ، ولكنها لم تعجبه لأنه لم يجدها على النحو الذي تصوره . وانتقل إلى الموصل مارا بسر من رأى وتكريت ، ثم واصل الرحلة بين مؤن الشام المختلفة وتحدث عن عادات أهلها ، وزار عكا أهم ثغور الصليبيين ، ورسد السفينة بعد ذلك عند مدينة مسينة في صقلية ، وزار بالرمة عاصمة البلاد وغيرها من مدن الجزيرة ووصف عمراتها . وأقلع من صقلية إلى ثغر قرطاجنة في الأندلس ، ومنها إلى غرناطة فوصلها في ٢٢ المحرم سنة ٥٨١ هـ بعد أن غاب عنها نحو سنتين وثلاثة أشهر (٢) .

وقام ابن جبير برحلة ثانية سنة ٥٨٥ هـ إلى الشرق ، حين سمع باستيلاء صلاح الدين الأيوبي على بيت المقدس . وترك ابن جبير المقام في غرناطة وانتقل إلى بلاد المغرب حيث أقام ما يقرب من عشرين عاماً ، رحل بعدها إلى المشرق سنة ٦١٤ هـ ، واستقر في الاسكندرية وتوفي بها بعد أن دون في كتابه أخباراً على أعظم جانب من الأهمية في دراسة التاريخ الإسلامي .

(١) عيذاب - بليدة على ضفة بحر القلزم (البحر الأحمر الآن) كانت من أشهر الموانئ التي تأتي إليها سفن اليمن والحبشة والهند . وكانت في الماضي طريق الحج المصري ، تسير إليها الركاب عن طريق قبرص ثم يركبون البحر إلى جدة ، وهي ذات شأن عظيم للحجاج ، ويبدأ منها طريق القوافل إلى أسوان وإدفو وقوص (نقلا عن رحلة ابن جبير - طبعة دي غويا ص ٦٥ وما بعدها) .

(٢) الدكتور زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٧٠-٨٨

١٣ - ياقوت (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م)

شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي البغدادي .

« معجم البلدان ، في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار
والسهل والوعر من كل مكان » .

١٢ جزءاً (القاهرة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٦ م)

« إرشاد الأريب ، إلى معرفة الأديب » ، أو « معجم الأدباء » ،
أو « طبقات الأدباء » ، ٧ أجزاء (القاهرة ١٩٢٥ - ١٩٢٧ م)

عرف ياقوت باسم : « ياقوت الحموي » ، وباسم « ياقوت الرومي » أيضاً
لأنه كان من أهالي الدولة الرومانية الشرقية . وكان رقيقاً لأحد أهالي بغداد .
فغنى بتربيته . وبعث به في تجارته لبلاد المشرق ، وخاصة إلى سواحل
الخليج الفارسي . ويظهر أن مولاه أعتقه سنة ٥٩٦ هـ ، على أثر مشادة قامت
بينهما . فبدأ يكتسب من صناعة النسيج ، وكانت صناعة رائجة في ذلك الوقت .
وعاش من بيع الكتب ونسخها ، وأخذ يعمل في التأليف ، فوضع كتابيه
المشهورين ^(١) ، بعد أن جاب إيران وبلاد العرب ، وآسيا الصغرى ،
ومصر والشام .

وفي كتاب « معجم البلدان » أوضح ياقوت الأرض وهيئتها ،
والاصطلاحات في معنى الإقليم واشتقاقه ، والبلاد المفتوحة في الإسلام ،

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٧٧

ثم ذكر أسماء البلاد والجبال والأصقاع والأودية والقرى والأمصار والبحار والأنهار .

وقد اختصر كتاب « معجم البلدان » لياقوت ، رجل عاش في القرن الثامن الهجري ، وسماه : « مرصد الاطلاع ، على أسماء الأماكن والبقاع » . ثم اختصره عبد المؤمن بن عبدالحق ، المتوفى سنة ٧٣٩ هـ . (١٣٣٨ م) في أربعة أجزاء ، ونشره Juynboll في مدينة ليدن Leyden سنة ١٨٥٣ م . ورتب « ياقوت » معجمه على حسب حروف الهجاء ، وفرغ من تأليفه سنة ٥٢١ هـ ، وامتاز بدقته واتساعه وجمعه بين الجغرافية والتاريخ والأدب .

وقد جمع ياقوت في « إرشاد الأريب » ما وقف عليه من أخبار النحويين واللغويين ، والنسابين والقراء المشهورين ، والمؤرخين ، والوراقين المعروفين والكتّاب ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة ، وكل من صنّف في الأدب تصنيفاً ، أو جمع فيه تأليفاً ، متعرضاً لإثبات الوفيات وتعيين المواليد والأوقات . ورتب فيه الأعلام على حروف المعجم وأفرد في آخر كل حرف فصلاً . الموجود منه الأجزاء : الأول ، والثاني ، والقسم الأول من الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع .

وقد كتب الأستاذ مرجليوث Margoliouth مقدمة لهذا الكتاب ، جاءت في آخر الجزء الأول منه ، ووضع له فهرساً لأسماء الرجال ، وآخر لأسماء الكتّاب التي أخذت منها التراجم والأسماء المذكورة في الكتاب .

١٤ - عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩ هـ = ١٢٣١ م)

موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف

« الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ،

ولد عبد اللطيف^(١) في بغداد سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) ، ودرس الطب والفلسفة وعلوم اللغة ، وزار مصر والشام والعراق ، واتصل بصلاح الدين الأيوبي ، وقدم مصر ثانية بعد وفاته ، واشتغل بالتدريس في الأزهر .

ووصف في كتابه « الإفادة والاعتبار » رحلته إلى مصر ، فقد وصف فيه ما في تلك البلاد من الآثار القديمة والوسيلة وما تختص به من المناخ ، عدا النبات والحيوان ، ووصف القحط الذي انتاب مصر في تلك الفترة . وكان وصفه دقيقاً ، وأثبت إعجابه بكل ما شاهده في القاهرة وخاصة بالأهرام وأبي الهول والمسلات والمعابد ومنارة الاسكندرية وعمود السوارى .

ويفيدنا هذا الكتاب كذلك في أنه تصدى لذكر مكتبة الاسكندرية^(٢) ونسبة احتراقها إلى عمرو بن العاص . وأيده في روايته رجل توفي بعده بأكثر من خمسين سنة ، وهو المؤرخ أبو الفرج الملقب المتوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) في كتابه المسمى « مختصر تاريخ الدول » وهو ثلاثة أجزاء (اكسفورد ١٦٧٣ م) . وكان عبد اللطيف أول من نسب حريق المكتبة إلى عمرو ، إذ روى أنه

(١) تجد تاريخ حياة عبد اللطيف البغدادي مفصلة في ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٥ .

(٢) أسس هذه المكتبة بطليموس الأول ، وكانت تشغل جزءا كبيرا من السرايوم ، حيث يوجد هيكل سيرابيس القريب من عمود السوارى .

سمع عن مكتبة كانت قائمة في الاسكندرية ، وأن هذه المكتبة لم يعد لها وجود ، وذكر أن الذي أحرقها هو عمرو بن العاص ، بناء على ما سمعه من الأقوال المتواترة والأحاديث التي كان يرددتها العامة إذ ذاك . على أنه ثبت أن ذلك الحريق حدث في سنة ٤٨ ق . م فإنه حين قامت حرب الاسكندرية بين يوليوس قيصر وأهل الاسكندرية أشعل قيصر النيران في السفن الموجودة بالميناء الشرقي ، لكي لا تقع في قبضة العدو وارتفع اللهب بشدة حتى امتد لرصيف الميناء ، وأحرق المكتبة الكبرى . ولم يتعرض لأمر ذلك الحريق أقدم المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ مصر في العصور الوسطى أمثال اليعقوبي والبلاذري وابن عبد الحكم والطبري والسكندی ، ومن أخذ عنهم كابن الأثير والمقرئزي وأبي المحاسن والسيوطي ، دون أن يتعرضوا لها ، مع أن تاريخهم عن مصر يعد من أهم المصادر التي يعتمد عليها .

زار عبد اللطيف البغدادي مصر بين سنتي ٥٩٥ و ٥٩٨ هـ (١١٩٨ و ١٢٠١ م) ، وكان من أهم ما دونه أحوال مصر أثناء المجاعة التي انتابتها في عهد السلطان العادل الأول الأيوبي (٥٩٦ - ٦١٥ هـ = ١٢٠٠ - ١٢١٨ م) ، فقد ذكر أن تلك الحالة أعادت إلى الأذهان ذكرى الشدة العظمى التي وقعت في عصر المستنصر الفاطمي ، إذ انتشر القحط حتى هرب الناس من مصر إلى الشام وغيرها فماتوا في الطريق من التعب والجوع ، وانعدمت الحبوب ، واشتد الغلاء ونذرت الحيوانات ، وخلت قرى بأكملها من سكانها ، وكثر الموت حتى عجز الناس عن دفن موتاهم وأصبحت جثث الموتى تلتقي في الشوارع حتى امتلأت بها الطرقات . وبذل العادل جهوداً كبيرة لمقاومة هذه المجاعة ، حتى كان يخرج بنفسه أثناء الليل ويوزع الأموال على الفقراء والمساكين .

وكان عبد اللطيف البغدادي دقيقاً في وصف ما تناوله من الموضوعات ، حتى يمكن القول إنه أعطانا صورة واضحة عن حالة مصر في عصر الأيوبيين ، وخاصة في عهد صلاح الدين الأيوبي والعزيم عماد الدين والعاقل سيف الدين .

١٥ - ابن بطوطة (٧٧٩ هـ = ١٣٣٧ م) :

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الوائى الطنجى

« رحلة ابن بطوطة » المسماة

« تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار »

٤ أجزاء (القاهرة ١٩٣٨ م)

وترجمه إلى اللغة الفرنسية ديڤريميرى Defrémery وسانجنييتى Sanguinetti

(باريس ١٨٥٣ - ١٨٥٨ و ١٨٦٩ - ١٨٧٩ م) .

صدر ابن بطوطة كتابه « تحفة النظار » بمقدمة جاء فيها « الحمد لله الذى ذلل الأرض لعباده ليسلكوا فيها سبلا فجاجا . وجعل منها وإليها تاراتهم الثلاث نباتا وإعادة وإخراجا . رحاها بقدرته فكانت مهادا للعباد ، وأرساها بالأعلام الراسيات والأطواد ، ورفع فوقها سمك السماء بغير عماد ، وأطلع الكواكب هداية فى ظلمات البر والبحر ، وجعل القمر نوراً والشمس سراجا ، ثم أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد الممات ، وأنبت فيها من كل الثمرات ، وفطر أقطارها بصنوف النبات ، وفجر البحرين عذبا فراتا ، وملحا أجاجا ، وأكمل على خلقه بتذليل مطايا الإنعام ، وتسخير المنشآت كالأعلام » (١) .

ثم قال « كان خروجى من طنجة مسقط رأسى فى يوم الخميس الثانى من شهر رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله الحرام

(١) مقدمة رحلة ابن بطوطة ص ٢ ، وهى تدلنا على حبه وغرامه بالأسفار .

وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، منفردا عن رفيق آنس
بصحبته وركب أكون في جمالته ، لباعث على النفس شديد العزائم ، وشوق إلى
تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم ، فحزمت أمرى على هجر الأحباب من
الأناث والذكور ، وفارقت وطنى مفارقة الطيور للوكور ، وكان والدى
بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا ، ولقيت كما لقيت من الفراق نصبا ، وسنى
يومئذ ثنتان وعشرون سنة . قال ابن جزى : أخبرنى أبو عبدالله بمدينة غرناطة
أن مولده بطنجة في يوم الإثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث
وسبعمائة ، (١) .

وبعد خروجه من موطنه طنجة فى مرا كس ، جاب بلاد المغرب ومصر (٢)
وفلسطين والشام والحجاز والعراق ، ومنها إلى بلاد اليمن فالقسطنطينية فخورزم
ومنها إلى الهند فالصين فبلاد جاوه ثم عاد إلى الصين فالهند فبغداد فالقاهرة
فتمونس فالسودان ومنها عاد إلى بلاده ، ووصف كل البلاد التى شاهدها فى
عبارة شائقة ، وفرغ من تدوين مشاهداته عن رحلاته فى ٣ ذى الحجة سنة ٥٧٥٦هـ .

ومن أبداع ما جاء فى هذا الكتاب ، ووصف ابن بطوطة لما شاهده من أزياء القضاة
فى مصر ، فقد ذكر أن قاضى الإسكندرية عماد الدين السكندى كان يلبس عمامة تخالف
غيرها من العمامم المعتاد لابسها إذ ذاك ، وقال : لم أرى مشارق الأرض ومغارها
عمامة أعظم منها ، رأيت يوم ما قاعدا فى صدر محراب ، وقد كادت عمامته أن
تملأ المحراب . (٣) .

(١) مقدمة رحلة ابن بطوطة ص ٤ - ٥

(٢) كانت زيارة ابن بطوطة مصر سنة ٧٢٦هـ ، فى عهد السلطان الناصر محمد

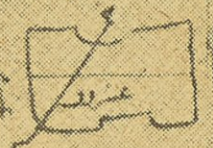
ابن قلاوون ، أعظم سلاطين المماليك البحريه

(٣) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٠

العشر اذا من نصف دايره وورده عليه ان كان اكثر من
 نصف دايره فمبلغ تعد الزاوية والنقصان هو كبر
 العوس ومعرفة قطر الدايه ان تضرب نصف دايه العوس
 سله وتقسيم على السهم وتراد ما يخرج على السهم فمبلغ هو
 النظر المطلوب المطبوع
 واحدا لارض المطله هي التي يكون من الارض كل جانب
 عشر في العرضين والقطر عشرون والوسط خمسة
 والطريق سبعا مساجتها ان جمع الطولان بمعدل عشرين
 ونصف الوسط فيكون عشرة وجمع الجمع فيكون ثلاثين
 فيوجد رتبه وهو ستمه ويقرب فيضرب في القطر
 وهو عشرون فيكون ثمانه وخمسون وهو كسرها
 وهما $\frac{1}{2}$ منها

دوائر الاضلاع
 الى العشره دوائر

الاضلاع هي الاشكال التي تحيط كل واحد منها



»

صفحة من مخطوط «قوانين الدواوين» لابن ماتي (قبل نشره)

البَابُ السَّادِسُ

المخطوطات

إلى نهاية القرن الثامن الهجري

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

-
- المسبحي والقضاعي - ابن الجوزي - ابن واصل - بيارس الدوادار -
النويري وابن شاهنشاه - الجزري والذهبي - العمرى - المقرئ -
النويري الاسكندري - بكتوت الرماح - ابن أرنبغا الزردكاش -
الأشرفي - القز محمد بن منكلى - الحسامى .
-

١-٢ المسبحي (٤٢٠ هـ) والقضاعي (٤٥٤ هـ)

وضع الأمير المختار عز الملك المسبحي كتابه المعروف باسم :

« تاريخ مصر »

تولى المسبحي القيس والبهنسا من أعمال الصعيد . ثم تقلد ديوان الترتيب -
أو ديوان الرواتب الذى تنظم فيه الرواتب وتدفع لمستحقيها - فى عهد الخليفة
الحاكم الفاطمى (٣٨٦ - ٤١١ هـ) ، وقد تزيأ بزى الأجناد .

ويقع كتابه هذا فى ٢٦٠٠٠ صحيفة ، وقيل فى ١٣٠٠٠ ورقة (١) .
تناول فيه الكلام على تاريخ مصر ، وبه معلومات ذات غناء عن الصدر
الأول من أيام الفاطميين . إلا أن هذا الكتاب قد ضاع ، ولا يوجد منه إلا

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٥٣

الجزء الأربعون بمكتبة الإسكوريال بالأندلس ، وهو واحد من جملة تصانيفه التي بلغت الثلاثين ولم يعد لها الآن وجود ، اللهم إلا بين ثنايا الكتب التي كتبها من جاء بعد المسيحي من المؤرخين . فقد نقل عنه ابن منجب وابن ميسر وابن خلكان والمقرزى وأبي المحاسن والسيوطي . ومما يؤسف له أشد الأسف ضياع مؤلفات المسيحي .

أما القضاء ، ذلك الفقيه الضليع ، فقد عاش في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي . وهو ثقة في تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين وكان من النابغين في الكتابة حتى صار من كتاب البلاط ، وتقلد ديوان المراسلات والإنشاء في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر^(١) . وعهد إلى القضاء أن يكتب العلامة ، وكانت العلامة أو الإشارة التي يذيل بها الأوراق الرسمية لإعطائها الصفة الرسمية ، تشمل هذه الكلمات : « الحمد لله شكر النعمته » .

وقد وضع القضاء عن تاريخ مصر كتابه :

« عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف » . وهو مختصر كتابه المسهب « الإنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين »

وهو مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٩١ . ثم اختصره رجل من الأتراك مجهول الاسم ، سرد فيه الحوادث حتى سنة ٩٢٦هـ (١٥١٩ - ١٥٢٠م) وهذا المختصر يوجد كذلك بالمكتبة الأهلية بباريس .

وقد نقل عن القضاء المؤرخون الذين جاءوا بعده أمثال القلقشندي والمقرزى وأبي المحاسن والسيوطي . وعدد ابن خلكان مؤلفات القضاء^(٢) فذكر من بينها ثلاثين كتابا ، أهمها : « مناقب الإمام الشافعي » وكتاب « تواريخ الخلفاء » وكتاب « خطط مصر » ، ويظهر أن المقرزى نقل هذا الكتاب برمته وأودعه في كتابه المعروف بهذا الاسم ، والمسمى « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .

(١) ابن منجب : كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٥ - ٤٧

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان > ٥ ص ٥٨٥

٣ - ابن الجوزى (٥٥٩٧ هـ) :

أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد سبط^(١) .

« مرآة الزمان » وهو مخطوط

(أ) بدار الكتب الملكية بالقاهرة تحت رقم ٥٥١

(ب) بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقمي ١٥٠٥ و ١٥٠٦

(ج) ومكتبة بودليان Bodleian بأكسفورد ، مجموعة بوكوك

Pocock, Oxford, or. 370.

وله كتاب آخر منشور يعرف باسم « سيرة عمر بن الخطاب » ، وكتاب ثالث مطبوع أيضا هو « الحق والمغفلين » ويحوى الكثير من النوادر والطرف والملاح التي حدثت للأدباء .

وكان ابن الجوزى من المتحيزين لمذهب الشيعة ، مذهب الفاطميين ، مما حدا ببعض المؤرخين السنين إلى عدم الأخذ بأقواله ، وكان « علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ . صنف في فنون عديدة ... فكتبه أكثر من أن تعد ، وكتب بخطه شيئا كثيرا ، والناس يغالون في ذلك ، حتى يقولون إنه جمعت السكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره ، وقسمت السكراريس على المدة . فكان ما خص كل يوم تسع كراريس ، وهذا شيء عظيم لا يكاد يعقله العقل . »
وقد أكمل الشيخ قطب الدين اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ (١٣٨٤ م)

كتاب مرآة الزمان لابن الجوزى ، وأسماء : « الذيل على مرآة الزمان » وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة . وقد ضاع معظم أجزاء هذا المخطوط ، ولم يبق منه إلا الجزء الخامس عشر والسابع عشر ، وعثر رجال دار الكتب المصرية على الجزء السابع عشر مدفونا بجامع قايتباي وذلك سنة ١٨٨٢ م . وربما كان هذا هو السبب في ضياع بعض أوراقه وتمزيق البعض الآخر ، مما يجعل القارئ يلقى صعوبة كبيرة في قراءة هذا الكتاب .

٤ - ابن واصل (٦٩٧ هـ = ١٢٦٧ - ١٢٦٨ م)

القاضي جمال الدين محمد بن سالم الحموي ، الشافعي .

« مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » جزءان ، وهو مخطوط

(أ) بدار الكتب المصرية رقم ٥٣١٩ تاريخ .

(ب) وبمكتبة جامعة فؤاد الأول رقم ٢٤٠٥٠ .

(ح) وبالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٧٠٢ .

ولد جمال الدين بن واصل في حماه سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٨ م) ، وفي تلك المدينة قضى أيام طفولته ، حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن . ولما ترعرع صحبه والده إلى المسجد ومدارس المدينة ومجالسها العلمية ، ثم صحبه بعد ذلك في رحلاته خارج حماه . وبذا أتاحت له الفرصة أن يتعرف إلى علماء عصره ويتصل بالأحداث السياسية المحيطة به ، ولذا تمكن - فيما بعد - من أن يصف مادونه في كتابه « مفرج الكروب » وصف من شاهد تلك الحوادث وشارك فيها ، فكثيرا ما أشار في كتابه إلى الزمان والمكان وإلى اتصاله بالشخص الذي يعرض له بالحديث ، ولا غرو فقد تنقل بين حماة والمعرة والكرك وحلب .

حضر ابن واصل مجالس صاحب حماة ، وهي مجالس علم ومجالس حكم ، إذ أن والده كان يتولى في ذلك الوقت منصب القضاء في حماه ، ثم تولى ذلك المنصب في المعرة ، فانتقل معه إليها ابنه جمال الدين ، حيث قضى وقته في الدراسة وطلب العلم في تلك المدينة التي نبغ فيها الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري

والتي كانت من أهم المراكز العلمية . ثم عاد جمال الدين مع أبيه إلى حماة ، وبعد عودتهما بقليل ، وصل إلى والده خطاب من الملك الناصر داود يستدعيه إليه للإقامة معه في السكرك ، فرحل إليها ، وأشار جمال الدين إلى ذلك عند استعراضه حوادث سنة ٦٢٩ هـ بقوله : « فوجدنا إحسانا كثيرا وتفضيلا زائدا وشاهدنا مدكا ذا فضل ماهر وعلم زاخر » .

وبعد سنة من إقامة ابن واصل مع أبيه في السكرك . خرج السلطان الكامل من مصر سنة ٦٢٩ هـ ، متجها إلى آمد ، فمر في طريقه بالسكرك . وخرج الناصر داود لاستقباله . كما خرج جمال الدين ووالده للقاء الكامل ، وحين غادر الكامل السكرك بصحبة الناصر داود ، خرج جمال الدين ووالده في خدمة الملك الناصر ، وبعد أن فتح الكامل آمد وعاد إلى مصر سنة ٦٣٠ هـ ، عاد الناصر إلى السكرك . على أن ابن واصل بعد أن عاد إلى موطنه حماة ، ذهب إلى دمشق سنة ٦٣٥ هـ واشتغل بطلب العلم . وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة الأيوبية على وشك الانهيار ، كان جمال الدين يتنقل مع معسكر السلطان الصالح نجم الدين أيوب أنى ذهب ، وذلك لأنه كان من المنتمين إلى ذلك السلطان ، فقد كتب قصيدة في رثاء السلطان الكامل عند موته وتهنئة الصالح أيوب عند اعتلائه العرش ، كما كان صديقا حميما لأستادار^(١) السلطان أيوب وقائد جيشه الأمير - سام الدين بن أبي علي .

(١) الأستادار : هو أكبر موظفي القصر السلطاني ، ويشرف على البيوت أو الإدارات السلطانية من الحوائج خاناه والشراب خاناه والطست خاناه والفراش خاناه ورجال الحاشية . وهذا الاسم يتركب من كلمتين فارسيتين : أولاهما أستاذ ومعناها السيد أو الكبير ، وثانيهما دار ومعناها ممسك . وبذلك يكون المقصود من كلمة أستاذار : الذي يتولى قبض المال . وقد يكتب هذا الاسم « أستاذ الدار » باعتبار أن المقصود من اللفظ العربي هو حقيقة الدار ، وأن أستاذ بمعنى السيد أو الكبير . القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ . الخالدي : المقصد ص ١٢٦ .

وعكف جمال الدين على دراسة التاريخ أثناء إقامته في حلب ، وعنى بالعلوم العقلية والفلسفية ، ولذا وضع وهو في مقتبل عمره عدة كتب في المنطق ورسالة في علم الهيئة وكتابا في الطب .

على أن أهم مؤلفاته جميعا « هو « مفرج الكروب » . وقد عاصر ابن واصل سقوط دولة الأيوبيين ، وقيام دولة المماليك ، وشاهد بنفسه شجرة الدر ، وأطلق عليها اسم « شجر الدر »^(١) . ولذا كان لهذا المؤلف أهمية خاصة في دراسة عصر الأيوبيين ونشأة المماليك وتأسيس دولتهم في مصر .

ابتدأ ابن واصل كتابه من سنة ٥٣٠ هـ ، ووصل في كتابته في هذا المخطوط إلى سنة ٦٦١ هـ وهي السنة التي أرسله فيها السلطان الظاهر بيبرس رسولا من قبله إلى جزيرة صقلية ، وواصل أحد تلاميذه الكتابة بعد ذلك حتى سنة ٦٨٠ هـ .

وهذا المخطوط قسمان :

القسم الأول ، يتناول فيه ابن واصل الكلام من سنة ٥٣٠ هـ حتى سنة ٦٣٢ هـ والقسم الثاني ، يحوى الفترة الواقعة في التاريخ المصرى في العصور الوسطى من سنة ٦٣٢ هـ إلى سنة ٦٨٠ هـ . والظاهر أن ابن واصل سمي كتابه بإسمين لأن القسم الثانى مكتوب بإسم « تاريخ الواصلين فى أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين » .

(١) كانت شجرة الدر أرمينية ، بعثها الخليفة المستعصم بالله العباسى من بغداد إلى نجم الدين أيوب فى القاهرة ، فولدت له ابنه خليلا وأصبحت أم ولد فى حريمه . ولما اعتلى أيوب عرش السلطنة الأيوبية فى مصر ، ارتفع شأن شجرة الدر ، ثم أعتقها أيوب وتزوجها . وقامت بدور هام فى حوادث انتقال السلطنة من أيدي الأيوبيين إلى أيدي أمراء المماليك . وكانت تلك السيدة أول سلطنة علي مصر من غير الأيوبيين .

٥ — بيمبرسى الروادار (٧٢٥ هـ = ١٣٢٥ م)

« زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » .

يقع هذا الكتاب في أحد عشر مجلداً ، موجودة بالمتحف البريطاني بلندن ،
فقد بعضها ، ولا يوجد منها سوى أربعة أجزاء هي :

الجزء الرابع (١٣١ - ٢٥٢ هـ) الجزء الخامس (٢٥٣ - ٣٢٢ هـ)

الجزء السادس (٣٢٣ - ٣٩٩ هـ) الجزء التاسع (٦٥٦ - ٧٠٩ هـ)

ولا يوجد في مصر من هذه الأجزاء سوى التاسع ، وهو مخطوط محفوظ
بمكتبة جامعة فؤاد الأول (رقم ٢٤٠٢٨) . ويبدأ بالكلام على سلطنة الظاهر
بيبرس وينتهي إلى أوائل سلطنة الناصر محمد الثالثة ، أى يشمل تاريخ مصر
السياسى فى الفترة الواقعة بين سنتى ٦٥٦ هـ و ٧٠٩ هـ .

وهو مخطوط على جانب عظيم من الأهمية ، لأن مؤلفه يكتب كشاهد
عيان . ولكنه يكتب عن السلطان الناصر محمد ، متأثراً بما أسبغ عليه هو
والده قلاوون من نعم : فقد قلده السلطان قلاوون ولاية السكر ، وكانت
أحد الأقسام الإدارية الكبرى التابعة لمصر فى دولة المماليك ، ثم عين فى
مفتتح سلطنة الناصر محمد بن قلاوون فى ديوان الإنشاء ، ولقب منذ ذلك الحين
بالدوادار^(١) ، وظل يترقى حتى وصل فى عهده إلى وظيفة نائب السلطنة .

وبما نلاحظه على هذا الكتاب أن مؤلفه يتكلف السجع فى كثير من عباراته
وهذا الجزء الموجود ينقص منه بعض صفحات فى مواضع مختلفة تقطع على
القارىء سلسلة تفكيره .

(١) الدوادار: اسم مركب من لفظين : أحدهما عربى وهو الدوا ، والثانى دار
ومعناها ممسك . فيكون المعنى ممسك الدواة . وحذفت الهاء آخر كلمة استقلا .
ووظيفته تقديم القصص إلى السلطان وتبليغ الرسائل إليه . القلقشندي :
صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٦٢

ويبدأ هذا الجزء من صفحة ٢٩ ا وينتهي بصفحة ٢٦٥ ب . وهو يقع في ٤٨٧ صفحة ، كل صفحة عبارة عن قسمين ، كل قسم منها يعد صفحة قائمة بذاتها لها رقم ، والوصول إلى عدد صفحات المخطوط قمت بتنميرها ، لأن أرقام الصفحات بالمخطوط غير واضحة . أما عدد أوراقه فتبلغ ٢٤٩ ورقة . وكان بيبرس الدوادار مؤلف هذا المخطوط من ممالك السلطان قلاوون مؤسس بيت قلاوون الوراى في دولة المماليك ، ولذا كشف لنا عن صفات قلاوون المتينة وطيب شمائله فقال :

« إنه كان حلما ، عفيفا عن سفك الدماء ، مقتصرا في العقاب كارها للأذى ، لا جرم أن الله جازاه في ذريته وحاشبته بالحسن ، ورفع قدر عتقائه وألزامه وربط ذكر ممالكه وخدامه وصيرهم ولاية للأمور وساسة للجمهور وقادة للعساكر ونوابا للمالك واتاهم من سداد الرأى والتتام الأهواء والمحافضة على حفظ البيت مالم يؤته واحداً من العالمين . ولقد مرت بتواريخ الأمم وسير ملوك العرب والعجم ، فلم أقف على أن أحداً في كوفاتهم ولا سلك في السداد مثل أنجابهم ، وكان ذلك بحسن نية الشهيد^(١) ، والمرجو لبيته الحفظ والتأييد ولا نصاره وأعوانه العون والتسديد »^(٢) .

وأشار بيبرس الدوادار في موضع آخر إلى أن قلاوون لم يطفر بممالكه إلى المناصب العالية ، تدرجوا في المراتب والوظائف ، مراعيًا مواهب كل منهم وخبرته ، فقال « ونقل [قلاوون] أوليائه على التدريج نقلا يدل على رصانة عقله . . . فانتقلوا إلى الزيادات على تعاقب السنين وأخذوا فيما أخذوا أخيار المئين ، فكانوا بالإمرة مدربين ، وفي التدبير مجربين »^(٣) . وفي ذلك دليل على مبلغ تقديره لبيت قلاوون .

(١) الأرجح أن استعمال كلمة « شهيد » هنا لا تفيد الإشارة إلى موت السلطان في سبيل الدفاع عن الإسلام ، إذ أنها استعملت للملك والسلطين في الكتب التاريخية بمثابة المرحوم .

(٢) بيبرس الدوادار . زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ٧٥ — ٨٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

٦ - ٧ - النويرى وابن سالفنساہ (٧٣٢ هـ = ١٣٣٢ م)

ولد شهاب أحمد بن عبد الوهاب النويرى سنة ٦٧٧ هـ (١٢٨٠ م) فى
أخميم بصعيد مصر ، ومثله مثل أبى الفداء صاحب « المختصر فى أخبار البشر » ،
فقد اشترك فى حروب المماليك اشتركا فعليا ، ووصف كثيرا من وقائعهم .

وضع النويرى كتاب « نهاية الأدب فى فنون الأدب » ، ويمتاز بالوثائق التى
يثبت بها وجهه نظره فيما أدلى به من آراء . وهو دائرة معارف جليلة الشأن
تقع فى ٣٠ جزءا ، نشرت دار الكتب ١٤ جزءا منها ، ويمكن الإطلاع على
مالم ينشر ضمن المخطوط الموجود فى دار الكتب المصرية (رقم ٦٤٩ معارف
عامة) وهو مخطوط أيضا بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٥٧٦

وتكلم أبو المحاسن عن النويرى ، فقال : « كان النويرى فقيها فاضلا ،
مؤرخا بارعا ، وله مشاركة جيدة فى علوم كثيرة . قيل إنه كتب صحيح
البخارى ثمانى مرات ، وكان يبيع كل نسخة من البخارى بخطه بألف درهم .
وكان يكتب فى كل يوم ثلاث كراريس ، وتاريخه سماه : منتهى (يقصد نهاية)
الأرب فى علوم (يقصد فنون) الأدب فى ثلاثين مجلدا ، رأيتُه وانتقيته ونقلت
بعض شىء من هذا التاريخ » . (١)

و « نهاية الأرب » كتاب تاريخى أدبى ، وضعه النويرى فى عهد السلطان
الناصر محمد بن قلاوون ، من أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية . وقد جاء
فى خمسة أقسام :

(١) النجوم الزاهرة (مخطوط) ج ٤ القسم الثانى ص ٣٢٥ .

الأول — في السماء والآثار العلوية والأرضية والعالم السفلي .

الثاني — في الإنسان وما يتعلق به .

الثالث — في الحيوان الصامت .

الرابع — في النبات والطب .

الخامس — في التاريخ .

ووضع الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن عمر الأيوبي صاحب حماه
كتاب « التبر المسبوك في تواريخ الملوك » .

وهو مخطوط بدارالكتب ، ويبدأ من سلطنة شمس الملوك دقاق السلاجوقي
المتوفى سنة ٤٩٩ هـ وينتهي إلى سلطنة الملك الأشرف جقمق الذي توفى الملك
سنة ٧٤٤ هـ ، ويشمل تاريخ دولة المماليك البحرية والبرجية .

وذكر عن كل سلطان : تاريخ توليه وسنة وفاته والحوادث التي وقعت
في عصره ، على أنه لا يسهب في المسائل التي يتكلم عنها ، بل يتناولها باختصار .
ويوجد في آخره أسماء الخلفاء الفاطميين بالمغرب ومصر .

وقد توفى النويرى وابن شاهنشاه في سنة واحدة هي سنة ٧٣٢ هـ .

٨ - ٩ - الجزري (٧٣٩ هـ = ١٣٣٨ م)

والذهبي (٧٤٨ هـ = ١٣٤٧-١٣٤٨ م)

ولد الإمام شمس الدين الجزري في ١٠ ربيع الأول سنة ٦٥٨ هـ وضع كتابه « تاريخ الجزري » وهو مخطوط رقم ٩٩٥ بدار الكتب المصرية وهو عبارة عن تاريخ كبير في الحوادث والوفيات وتراجم الرجال من مختلف الأقطار والبقاع ، رتبته على السنين على نسق تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي (١)

ويوجد من هذا المخطوط ، الجزء الأخير فقط ، ويبتدىء من ٨ المحرم سنة ٧٢٦ هـ إلى سنة ٧٣٩ هـ ، أي مدة ١٣ سنة . ويقع في ثلاثة مجلدات تحوى تاريخ الشام والعراق ومصر والحبشة :

المجلد الأول - من صفحة ١ - ٢٠١

المجلد الثانى - من صفحة ٢٠٢ - ٤٠٣

المجلد الثالث - من صفحة ٤٠٤ - ٦١٤

وهذه المجلدات مأخوذة بالتصوير الشمسى من الجزء المخطوط ، بخط عبد الله بن سعيد البيرى الدمشقى الشافعى . وفرغ الجزري من كتابته في ٢ رمضان سنة ٧٣٩ هـ .

وهذا المخطوط موجود برقم ١٠٢٧ بمكتبة كوبريلى زاده بالآستانة ، نسخها ابن المشدد من النسخة الأصلية .

(١) هذا الوصف مأخوذ من الكتاب نفسه

وفي آخر المخطوط ترجمة للمؤلف ، كتبها القاسم بن محمد البرازيلي ،
وكانت بينهما « مودة كبيرة ومحبة وافرة وصحبة أكيدة ،
ولهذا المخطوط تكملة ، ألفها السخاوي ، وأسمائها :
« الذيل على طبقات القراء » .

ووضع شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي كتاب « تاريخ الإسلام » (١) ،
وهو مخطوط

(١) بمكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٤٦ تاريخ .

(ب) بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٥٨١

(ج) بمكتبة بودليان بأكسفورد تحت رقم ٣٠٤

Bodelian, Laud. Or. 304

ولهذا المخطوط تكملة ، ألفها السخاوي ، وأسمائها :

« وجيز الكلام في ذيل تاريخ دول الإسلام »

(١) راجع ما كتبناه عن مخطوط « تاريخ الجزرى »

١٠ - العمري (٧٤٩ هـ)

القاضي شهاب الدين أبي العباسي أحمد بن يحيى

« مسالك الأبصار في ممالك الأمصار »

ولد العمري في الثالث من شوال سنة ٧٠٠ هـ . وشغل وظيفة ناظر ديوان الإنشاء في مصر والشام . واضطلع هو وأسرته بمهام هذا الديوان فترة طويلة في دولة المماليك ، وهو أحد أفذاذ الكتاب الذين ضربوا في الأدب بسهم ، وكان له القدر المعلى في تحرير التفاوض (١) التي يمنحها الخلفاء للسلطين بتقليدهم أمور البلاد . ولم تخرج رياسة ديوان الإنشاء عن أسرة ابن فضل الله إلا في القليل النادر ، على الرغم من عصر المماليك كان زاهراً برجال العلم والأدب وازدان بالعلماء والأدباء ، مما يدل على مكانة بيت العمري لدى سلطين الممالك ، فقد كان صاحب ديوان الإنشاء يلقي إليه السلطين بأسرارهم « ويخصونه بخفايا أمورهم ويطلعونه على ما لا يطلعون عليه أولادهم ولا أخص الأخصاء من الأمراء والوزراء (٢) .

و « مسالك الأبصار » مخطوط بمكتبة دارالكتبة المصرية (رقم ٢٥٦٨)

(١) جرت العادة في دولة المماليك منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس ، أن يمنح الخليفة كل سلطان يعتلى العرش ، تفويضاً يجعل حكمه في نظر الشعب شرعياً ، ويتم ذلك في حفل يجمع الأمراء والقضاة وكبار رجال الدولة ، ثم يحمل ذلك التفويض على رأس الوزير في موكب علني يطوف أرجاء مدينة القاهرة ، مما يدل على تلهف السلطان بحصوله عليه . ولكن منح الخلفاء عهدود التفاوض للسلطين لم يمنع وقوع حوادث الاغتصاب المتكررة في عصر دولة المماليك ، وبذلك فقدت تلك التفاوض قيمتها بتوالي حوادث الاغتصاب من السلطين المفوضين من الخليفة شرعياً .

(٢) الخالدي : المقصد ص ١٢ . أنظر ما كتبه ديمومبين Demombynes

عن ابن فضل الله العمري ومؤلفاته في كتابه Le Syrie A L'Epoque de Mamlouks, pp. III-IV. في القسم الذي كتبه بعنوان Les Auteurs Arabes.

ويقع في عشرين جزءاً . وهو عبارة عن دائرة معارف تاريخية جغرافية أدبية . وهذا المخطوط جليل الفائدة لأنه يشمل نواحي التاريخ المختلفة للأمم الإسلامية إلى سنة ٧٤٣ هـ (١) ، ابتداءه مؤلفه بأقاليم المشرق واختتمه بأقاليم المغرب . ورتب ما بعد الهجرة على السنين ، كل عشر سنين دفعة واحدة .

ويواجه الباحث صعوبة كبرى في معرفة الأجزاء التي وردت بها تلك المعلومات لضخامة الكتاب وعدم وجود الفهارس التي تبين ما يشتمل عليه كل جزء من المعلومات التي يمكن الاستفادة منها . بيد أنه يتضح أن المجلد الثالث من الجزء الثالث عشر ذو قيمة خاصة لما احتواه من المعلومات الدقيقة التي تجلو لنا كثيراً من الغموض المخيم في المصادر الأخرى . ويشتمل « مسالك الأبصار » على أخبار الأمم البائدة وأموال الملوك السابقين والأقاليم وما فيها من الممالك وما اصطاحت عليه كل مملكة في معاملتها وجنودها وطوائف العلماء .

وقد قام المرحوم أحمد زكي باشا بنشر الجزء الأول من هذا المخطوط ، فصححه ووضع حواشي مفيدة ، لما ورد فيه من المعلومات (دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م) . ويكفي لبيان قيمة هذا الكتاب ما ذكره ناشره أحمد زكي باشا في مقدمة الجزء الأول منه من أنه « لا يحتاج إلى التعريف به ولا بمؤلفه ، فقد استفاد منه في القرون الوسطى كل أكابر العلماء في الشرق : من عرب وفرنس وترك » .

وكثيراً ما يشير القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » إلى ابن فضل الله العمرى ويأخذ منه فقرات كاملة ، ولكنه ينسبها إليه ، مراعيًا الأمانة التاريخية كما أن القلقشندي نقل عن ابن فضل الله العمرى كثيراً من الوثائق .

(١) انظر ما كتبه ديمبين Demombynes عن ابن فضل الله العمرى ومؤلفاته في كتابه La Syrie A L'Epoque de Mamlouks, pp. III - IV. في القسم الذي كتبه بعنوان Les Auters Arabes:

١٢ - المقرئ (المتوفى في نيف وسبعين وسبعمائة للهجرة) :

شهاب الدين احمد بن محمد المقرئ

(١) « الجمان ، من مختصر أخبار الزمان ،

(مخطوط بدار الكتب الملكية بالقاهرة)

(ب) « نثر الجمان ، في تراجم الأعيان ،

(مخطوط بدار الكتب الملكية بالقاهرة)

ولد المقرئ في مدينة فاس ، ورتب كتابه « الجمان » في ثلاثة فصول :

الأول - من مبدأ الخليفة إلى مولد النبي عليه الصلاة والسلام ، وأتى فيه على قصص الأنبياء والحوادث التي وقعت في تلك الفترة من التاريخ الإسلامي

والثاني - عن الرسول والبعثة النبوية

والثالث - عن عهد الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين إلى الدولة الفاطمية بمصر وأفريقية وعن بلاد الأندلس

أما « نثر الجمان » فهو تاريخ عام عن الأنبياء والملوك والأمراء والقضاة ، من بدء الخليفة إلى زمن المؤلف . ولكن لا يوجد منه سوى ثلاثة مجلدات :

الأول - من سنة ٥٣٣هـ إلى سنة ٥٦٧هـ

والثاني - من سنة ٦٢٣هـ إلى سنة ٦٨٩هـ

والثالث - من سنة ٧٠١هـ إلى سنة ٧٤٥هـ

١٢ - النويرى الاسكندرى ^(١) (٧٧٥ هـ = ١٣٧٣ م) :

محمد بن قاسم بن محمد بن الاسكندرى

« كتاب الإمام ، بما جرت به الأحكام والأمور المقضية ، فى وقعة الاسكندرية ، فى سنة سبع وستين وسبعمائة وعودها إلى حالتها المرضية » .

(مخطوط برلين ، رقم ١٨٩٥ . ودار الكتب المصرية رقم ١٤٤٩) .

ذكر فيه النويرى آداب الحروب ومكايدها ، وتكلم على انتصار المسلمين على صاحب قبرص بطرابلس الشام بعد هجومه على الاسكندرية واستيلائه عليها فى محرم سنة ٧٦٧ هـ ^(٢) . وذكر الحوادث التى توالى بعد تلك الواقعة : فتكلم على وصول السلطان شعبان بن حسين بن الناصر محمد إلى الاسكندرية لجعلها مقراً للملك وذلك سنة ٥٧٦٩ هـ ، وتكلم على ولاية أيديمر لشغل الاسكندرية من قبل السلطان شعبان ، ثم على ولاية صلاح الدين أبى عرام على الثغر بعد خلع أيديمر .

وقد ورد فى كتاب الإمام الذى ألفه النويرى الإسكندرانى ما بين سنة ١٣٦٥ - ١٣٦٧ م ، فى تأبين السلطان الناصر محمد والإشادة بذكوره ما يلى :

« نعود إلى محاسن السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون . كان رحمه الله عادلاً فى رعيته ، محسناً فى قصبته ، أبطل المظالم ، وكف أيدي

(١) هو غير النويرى صاحب الموسوعة التاريخية «نهاية الأرب فى فنون الأدب» والمتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) .

(٢) يقصد المؤلف هذه الواقعة ، وقد أثبتتها فى عنوان كتابه .

كل ظالم ، وكان هيكلنا حسنا على ظهر فرسه ، كبير الوجه ، أحمر اللون ،
ذو لحية كبيرة ، وقد وخطه المشيب ، فليل في المعنى :

فقد الوجود بل الوجود لفقده متحسراً أضحي شبيهه الحائر
يبكي عليك بأدمع كيوأقت حمر ولؤلؤ بعضها كجواهر
زار الثرى فأضاً الثرى من نوره وأجابه أهلاً بنعم الزائر
فغدا به القبر الذى قد حله روضاً يفوح كنشر مسك عاطر
وكأنه قد حل فيه روضة بمطورة قد نمت بأزاهر
سقى لترب حل فيها جسمه قد عطرت منه بجسم طاهر
كم حجة قد حجها مبرورة كم وقعة شهدت له ببصائر
فى شقحب حز الرؤوس بسيفه قهراً ونصراً من عزيز ناصر
قد مده بالعز منه أولاً فضلاً ويُسَمُّ فضله فى الآخر (١)

ويقوم الأستاذ إيتين كومب Etienne Combe المستشرق السويسرى
المعروف مدير مكتبة جامعة فاروق الأول والأستاذ الزائر بكلية الآداب
بالاسكندرية ، بنشر هذا المخطوط ، مع ترجمة فرنسية وتحشية واسعة
النطاق .

١٣ - ١٨ - مخطوطات التاريخ الحربى ^(١)

وهناك مصادر خطية ، تعتبر أصلية ، فى دراسة النظم الحربية ، فى العصور الوسطى الإسلامية ، وتمدنا بمعلومات جديدة ، تلقى ضوءا على أنواع السلاح والعتاد الحربى والسفن الحربية والبحرية ، التى عرفت فى ذلك العصر ، ومنها مخطوطات :

بكتوت الرماح : فوازندار الملك الظاهر (٧١١ هـ = ١٣١١ م)

« نهاية السؤل والأمنية ، فى تعليم الفروسية »

وهو مخطوط بالمتحف البريطانى رقم ٣٦٣١ Orient . ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية .

ابن أرتبغا الزردى - B (٧٦٧ هـ = ١٤٦٢ - ١٤٦٣ م)

« الأنيق فى المجانيق »

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٧٠٥ فنون حربية .

(١) لفت نظرنا الى هذه المخطوطات حضرة الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية؛ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فاروق الأول ؛ فقد نقل كل ما يتعلق بها فى صور فتوغرافية خاصة .

(٢) الحازندار : بمثابة مدير مخازن البيوت (الإيرادات) السلطانية ؛ ويختار عادة من بين كبار الأمراء

الإسرفي (٧٧٠ هـ = ١٣٦٨ م) : طبيبغا البلقميشي اليوناني .

« كتاب غنية الطلاب ، في معرفة الرمي والنشاب »

وهو مخطوط في كمبردج رقم ١٧٨ 2 q — ٢٤٠

القز محمد بن منطلي (٧٧٨ = ٣٢٦ م)

« الأحكام المملوكية ، والضوابط الناموسية »

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٧٠٥ فنون حريرية

الحسامي (٧٨٠ هـ = ١٣٧٩ م) : محمد أحمد بن لاجين الطرابلسي

« كتاب الفروسية برسم الجهاد » :

وهو مخطوط بمكتبة برلين رقم ٥٨٨ .

والباب الأول منه في « ركوب الخيل والنزول بالرمح »

والباب الثاني في « المناصب الحربية » وتشمل « الطعن الحجازي ، والطعن

الروماني ، والسكرد الصغير والكبير ، والناوود الصغير والكبير ، والمقابلة

والمقلوبة ، والمجادلة والمنصوبة ، والمغارقة والملازقة ، والمخارجة والمضايقة ،

والسكر والفر ، والهزل والجد ، والأخذ والرد ، والطلوع والنزول . . وهي

من صنوف الأوضاع والحركات المختلفة في حومة القتال .

والباب الثالث في « الحروب وعلم الفروسية » .

(المؤلف مجهول الاسم)

« كتاب الفروسية »

وهو مخطوط بالمكتبة الأهلية في باريس .

ومادته تشبهه في جملتها ماورد في كتاب الفروسية برسم الجهاد .

الباب السابع

مصادر الأقدمين المنشورة

إلى نهاية القرن الثامن الهجرى

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفها

ابن عبد الحكم - الطبرى وعريب بن سعد ومسكويه وأبو شجاع
وابن الأثير - سعيد بن البطريق - ابن الداية - البلوى - الكندى -
ابن زولاق - البغدادى والموردى وابن حزم والطوسى والشهر ستانى -
أبو هلال الصائىء وابن منجب الصيرفى وابن القلانسى - أبو صلاح الأرمى -
ابن ممتى - ابن شداد وأبو شامة - ابن ميسر - ابن أبى أصيبعة
والمراكشى ومفضل بن أبى الفضائل - ابن حلكان - ابن طباطبا -
أبو الفدا - العمرى - الكتبى

تعد مصادر الأقدمين ، أهم أنواع المصادر للباحث فى التاريخ المصرى
الوسيط . فهى الواسطة بين الماضى والحاضر ، وعن طريقها يمكن الوصول إلى
المعلومات التى دونها مؤرخون معظمهم من المعاصرين لهذه الحوادث . ولذا تلزم
العناية بدراسة قبل غيرها من المصادر التاريخية الحديثة أو مصادر الآثار أو
الأدب . وقد عنيت جهد الاستطاعة بحصرها والتنويه بأهمية كل منها . وسواء
كانت تلك المصادر ، منشورة أو مخطوطة ، فإن الالتجاء إليها فى سبيل البحث
التاريخى الدقيق ، من أزم الأمور لدراسة التاريخ على أسس سليمة .

١ - ابن عبد الحكم (٢٥٧ هـ) :

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن
أعين بن الليث بن رافع المالكي القرشي المصري .
« فتوح مصر والمغرب »

وهو من أقدم الكتب التي كتبت في تاريخ مصر الإسلامية . وكان ابن
عبد الحكم معاصر لأحمد بن طولون . وكان فقيها متضلعا في الشريعة الإسلامية .
وقد أثار سخط ابن طولون عليه ، حين رفض الموافقة على قرار الجمعية التي
عقدتها ابن طولون لخلع ولي عهد الدولة العباسية .

ويحوى هذا الكتاب أخبار الأنبياء والصحابة والتابعين وغيرهم ممن لهم
شأن في فتوح مصر والمغرب ، وبيان إقطاعاتهم وجيوشهم والإصلاحات
التي تمت على أيديهم .

وقد طبع الجزء الخاص بمصر « مجلس المعارف الفرنسية الخاص
بالعاديات الشرقية » بإشراف هنري ماسيه Henri Massé سنة ١٩١٤ . وقد
استعان الناشر بمخطوطات هذا الكتاب الموجودة بمكتبة المتحف البريطاني
بلندن رقم ٥٢٠ ، والمكتبة الأهلية بباريس رقمي ١٦٨٦ و ١٦٨٧ ومكتبة
المعهد العلمي بليدن رقم ٩٦٢ . وهذا المخطوط الأخير ناقص خال من أسماء
الرواة الذين يروى عنهم المؤلف . وقد نشر توري Charles Torrey كتاب
« فتوح مصر » بمدينة ليدن سنة ١٩٢٠ وأودعه ما نشره هنري ماسيه في كتاب
« فتوح مصر » الذي نشره سنة ١٩١٤ . وقد صدر توري هذا الكتاب بمقدمة

تقع في ٢٤ صفحة ، ثم نشر كتاب أخبار مصر قبل الفتح في ٤٤ صفحة ، وأخبار
الفتح تقع بين صفحتي ٤٥ و ١٨٣ (وهو نفس ما نشره هنري ماسيه) . ثم زاد
عليه أيضاً أخبار فتح أفريقية (صفحة ١٨٣ — ٢٠٤) وفتح الأندلس
(ص ٢٠٤ — ٢٢٥) .

ومن الكتب الحديثة في تلك الفترة من تاريخ مصر ، وتمائل في الأهمية
ما كتبه ابن عبد الحكم :

BUTLER, A.

١ — بنلر

(a) The Arab Conquest of Egypt (Oxford, 1902)

ترجمه من الانجليزية إلى العربية الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك
(القاهرة ١٩٣٣) .

(b) Babylon of Egypt (Oxford, 1914) .

GIBBON

٢ — جيبون

The History of the Decline and Fall of the Roman Empire.
7 Vols. ed. by T. B. Bury.

٣ — مسن ابراهيم مسن

عمرو بن العاص (القاهرة ١٩٢٣)

٤ — محمود عكوش

مصر في عهد الإسلام أو فتح العرب لمصر
(القاهرة ١٩٤١)

٢ — ٦ الطبري ، وعرب بن سعد ، وسكويه ،

وأبو سجع ، وابن الأثير :

ولد أبو جعفر بين جرير بن يزيد الطبري في طبرستان الواقعة جنوب بحر قزوين سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٨ م) ورحل في حداثة سنه إلى بغداد وتلقى العلم بها ثم عهد إليه عميد الله بن يحيى وزير المتوكل العباسي تعليم ابنه ، فظل يباشر هذه المهمة إلى أن اعتزل هذا الوزير الحكم . فسافر الطبري إلى الشام وفلسطين ومصر . وقضى في رحلته زهاء خمس عشرة سنة ، ثم عاد إلى بغداد ، وقضى بقية حياته في التعليم والتأليف . وعكف الطبري على كتابة التاريخ ، فكان مثالا للعالم المنكب على عمله ، وكان يكتب في اليوم الواحد ما لا يقل عن أربعين صحيفة .

ويعد كتابه « تاريخ الأمم والملوك » أقدم وأهم المراجع التي يعتمد عليها في دراسة التاريخ الإسلامي عامة ، ويمتاز بدقة ماورد فيه من المعلومات الكثيرة وبالذقة في تحرى تلك المعلومات ، مما يدل على ما تصف به هذا المؤلف من علم غزير . طبعة دي غويه ، ليدن ١٨٨١ م de Goëgi . وطبع كذلك بالمطبعة الحسينية ويقع في ١٣ جزءا .

ويكتب الطبري « تاريخه » سنة فسنه ، وهذا يسمى بالسنوات . ويبتدىء هذا التاريخ من خلق الإنسان : فيتكلم عن آدم والجنة كما ورد في الكتب الدينية ، ثم يسرد الأخبار الخاصة بالدولة الرومانية ، ويصف العرب في الجاهلية وفي صدر الاسلام ، ويتكلم عن البعثة النبوية ، فالخلافة وامتدادها وينتهي بها إلى سنة ٣٠٢ هـ (٩١٥ م) ، مع أنه توفي في بغداد سنة ٣١٠ هـ .

(١) اقرأ تاريخ حياة الطبري وأهميته العلمية في

Nicholson : Literary History of the Arabs, pp. 349 — 352.

والكتاب كما تركه مؤلفه غير موجود ، إذ أنه للأسف سرق ، ونقل في عدة كتب أخرى . ولأهميته ساح بعض علماء الهولنديين على الممالك الإسلامية واستخرجوا من المؤلفات المملوكة المسروقة التي نقلت عنه نسخة أقرب ما تكون إلى الحقيقة .

وقد عمد بعض المؤرخين إلى إكمال كتاب « تاريخ الأمم والملوك » للطبري

١ — أكمل هذا الكتاب إلى سنة ٣١٠ هـ ، عريب بن سعد القرطبي ، المتوفى سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ — ٩٧٧ م) والذي شغل منصب الكتابة في بلاط الحاكم الثاني في قرطبة (٣٥٠ — ٣٦٦ هـ = ٩٦١ — ٩٧٦ م) ، وأطلق على كتابه .

« صلة تاريخ الطبري » (طبعة دي غوية — ليدن ١٨٩٧ م)

وهو ذيل لتاريخ الطبري ، ابتدأه من سنة ٢٩١ هـ وانتهى فيه إلى سنة ٣٢٠ هـ . وتنحصر أهمية هذا الكتاب في أنه أحاط بتاريخ شمال إفريقيا ومصر ، في الوقت الذي لم يهتم فيه الطبري بأن يمدنا بشيء ذي غناء عن تاريخ هذه البلاد^(١) .

٢ — وتناول مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، الحوادث التي أعقبت ما دونه الطبري في تاريخه ، وينتهي إلى سنة ٣٧٢ هـ . ووضع من أجل ذلك كتابه : « تجارب الأمم وتعاقب الهمم »

وهو من أهم الكتب العلمية ، فقد كان لمسكويه ضلع كبير في الحوادث الهامة التي تناولها في كتابه ، مما يجعل لمعلوماته قيمة كبيرة ، كما أن المناصب التي تقلدها كانت تلتقي على عاتقه كثيراً من المسئولية إذ مكنته من الوقوف على أسرار الدولة^(٢) .

Encyclopaedia of Islam (١)

(٢) الدكتور حسن إبراهيم حسن . الفاطميون في مصر ص ٩ حاشية ١ .

وابتدأ مسكويه كتابه « تجارب الأمم » بما نقل إليه من الأخبار بعد الطوفان ، ثم سيرة الرسول عليه السلام ، وتاريخ الخلفاء الراشدين والولاة والملوك والسلاطين إلى أوائل سنة ٣٧٢ هـ ، ورتبه على السنين الهجرية ، ويقع في ثلاثة مجلدات (القاهرة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م) ، عن بتصحيحها المستشرق الإنجليزي أمدروز Amedroz ، ووضع لها فهرسين لأسماء الرجال والأماكن وقد اختلف المؤرخون في صحة ثبوت لقب مسكويه له أو لأبيه .

٣ - ووصل ظهير الدين محمد بن الحسين الروذراورى الأصل ، الأهوازى المولد ، المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ، وزير الخليفة العباسى المقتدى (٤٧٦ - ٤٨٧ هـ) المعروف بأبى شجاع ، تاريخ مسكويه بتاريخه ، وعرف كتابه باسم

« ذيل تجارب الأمم »

وتناول فيه الكلام على المدة الواقعة بين سنتي ٣٧٢ هـ و ٣٨٩ هـ ، ورتبه على السنين .

٤ - وكتب ابن الأثير ، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٨ م) كتاب « الكامل فى التاريخ » (بولاق ١٢٣٨ م)

وجاء فى ١٢ جزءا ، يبدأ فيه من خلق الإنسان ، ووصل إلى سنة ٦٣٠ هـ أى لما بعد الطبرى بثلاثمائة سنة . كتبه بطريقة السنويات على نسق الطبرى .

ولابن الأثير كتاب آخر يعرف باسم

« أسد الغابة فى معرفة الصحابة » وهو خمسة أجزاء (القاهرة ١٢٨٠ هـ)

٧ - سعيد بن بطريق (٥٣٢٨ = ٩٤٠ م)

« نظم جوهر » المعروف باسم

« التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق »

كان سعيد بن بطريق معروفا عند الأفرنج باسم أوتيوخا Eutychius ، وهو من أهل القسطنطينية ، وكان بطريقاً للقبط ، وكتب كثيراً عن تاريخ مصر ، وأمدنا بمعلومات تعتبر أصلية عن تاريخ العالم منذ بدء الخليقة ، وعن تاريخ البطارقة والسكنائس ، وشمل كتابه الحوادث التاريخية إلى زمن الرسول عليه السلام وزمن الهجرة ، وعهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين إلى سنة ٣٢٦ هـ في خلافة الرازي العباسي . إلا أن لغته يعيها الركاكة ، وتوفي ابن بطريق سنة ٣٢٨ هـ .

وبعد وفاته ، أتم عمله يحيى بن سعيد الأنطاكي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) فأخرج كتاباً سماه « تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي » . وهو رجل موطنه أنطاكية ، ولكنه مصري المولد ، وقضى في الديار المصرية مدة تراوح بين خمسة وثلاثين وأربعين سنة ، وذلك جعل لكتابه قيمة خاصة .

وكتاب « تاريخ يحيى بن سعيد » هو ذيل لكتاب « نظم الجوهر » جمع فيه يحيى بطارقة الإسكندرية وبيت المقدس وأنطاكية والقسطنطينية والخلفاء والملوك والسلاطين وسيرهم . ويتناول الفترة من سنة ٣٢٦ هـ إلى سنة ٤٤٥ هـ .

٨ - ابن الداية (حوالى سنة ٥٣٣ = ٩٤١ م)

أبو جعفر أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم

(١) « سيرة ابن طولون »

(ب) المكافأة

كان ابن الداية عراقى الأصل ، وعرف بذلك الاسم لأن أباه كان ولد داية ابراهيم ابن الخليفة المهدي العباسى . ولد فى مصر لأن أباه كان قد رحل إليها بعد وفاة مولاه ابراهيم ، وسنة ولادته غير معروفة تماما ، وكان أحد كتاب الدولة الطولونية فى مصر .

ووضع ابن الداية كثيرا من الكتب ، فقدت كلها إلا كتابين : سيرة ابن طولون ، والمكافأة . ذلك أن الكتاب الأول وصل إلى رجل مغربى هو على بن موسى المغربى (المتوفى سنة ٧٦٣ هـ = ١٢٧٥ م) فنشره وضمنه كتابه « المغرب فى حلى المغرب » وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية ، وهى النسخة التى قام بنشرها فلرز Vollers (برلين ١٨٩٤ م)

أما الكتاب الثانى وهو « المكافأة » فقد أشرفت وزارة المعارف على طبعه ونشره سنة ١٩٤١ بالمطبعة الأميرية ، وصححه وضبطه الأستاذان أحمد أمين بك وعلى الجارم بك ، ويحتوى على ٧١ قصة من القصص التى حدثت فى مصر والعراق وغيرهما من البلدان الإسلامية . ولهذه القصص أهمية خاصة ، إذ هى تعطينا صورة واضحة للحياة الاجتماعيه والاقتصادية فى مصر فى عصر الدولة الطولونية . وقسمت القصص لثلاثة أقسام : أولها يشمل إحدى وثلاثين قصة حول حسن الصنيع والمكافأة على الجميل ، وثانيها ويشمل إحدى وعشرين قصة على المكافأة على القبيح ، وثالثها ويشمل تسع عشرة قصة على « حسن العقبي » . وهذه القصص كلها تدعو إلى الخير وتنفر من الشر .

٩ — البلوى : (١) (لم تعرف سنة وفاته) :

أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المدني .

« كتاب سيرة ابن طولون »

(نشرته المكتبة العربية بدمشق - ١٣٥٨ هـ و ١٩٣٩ م) .

نشأ البلوى في مصر لأن أجداده رحلوا إليها . ولم تعرف بالضبط السنة التي توفي فيها ، وإن كان من المتفق عليه أنه وضع كتابه حوالي سنة ٣١٢ هـ أي بعد انقراض الدولة الطولونية (سنة ٢٩٢ هـ) بحوالي عشرين عاما ، واعتمد البلوى على ما كتبه ابن الدايه . وقام بنشر مخطوط البلوى ، الأستاذ محمد كرد علي بك وزير معارف سوريا الأسبق .

ويحوى الكتاب وثائق على أعظم جانب من الأهمية ، منها الرسائل المتبادلة بين أحمد بن طولون والموفق طليحة ولي عهد الخلافة العباسية وبين ابن طولون وولده العباس وبقية أولاده وقواده .

وقد ذكر الأستاذ كرد علي ناشر المخطوط أن في نشره « إحياء مادة جديدة في تاريخ مصر والشام ، ولونا طريفا من أدب عصره الجميل ، فيه حلاوة وطلاوة ، ولأن فيه ألفاظا فصيحة ومعربة في شئون الحياة كانت مألوفة في زمن المؤلف ونحن في حاجة إليها اليوم . دع ما هناك من قصص واقعية تدل على كياسة ابن طولون وسياسته ، وتفيد القارئ من حكمته وحنكته ، فيها

(١) عرف باسم «البلوى» نسبة إلى قبيلة بلي ، التي ينتمي إليها والتي ينتهي نسبها إلى قحطان . وكان لأفرادها يد بيضاء في فتوح مصر والشام ، ومنهم الصحابة والتابعون والعلماء والفصحاء ، ومنهم عبد الله هذا ، نزل أجداده وادي النيل ، فنشأ مصريا يحب مصر .

متعة للنفس وسلاوى ، وصورة صادقة من صور ذاك المجتمع ، وذيله بحواشئ قيمة ووضع عناوين للقصص والفصول ، لتدل عليها وترشد إلى مضمونها ، كما عمل له فهارس مختلفة .

وفصل البلوى الكلام عن نشأة ابن طولون وأخبار حروبه وما كان بينه وبين ولده العباس وذكر كل عجيبة من أبناء ذكائه ودقة ملاحظته وقوة فراسته وحسن سياسته وعدله ورحمته ومفاخره ومكارمه . ويؤخذ على البلوى غلوه في الدفاع عن مساوىء ابن طولون ، ومحاولته تبرير أعماله التي ارتكبها في شطط وإفراط ، كما أنه أسرف في ذكر القصص الغريبة والحوادث العجيبة التي يستحيل على العقل تصديقها .

وقد كتب الأستاذ محمد كرد على بك ناشر المخطوط في « مدخل الكتاب » أو مقدمته بعنوان « أحمد بن طولون بتصوير البلوى » ما يلي : « صور البلوى أحمد بن طولون صورة جميلة ، وخلع عليه من الثناء ثوبا فضفاضاً . صور ذكائه وقوة ملاحظته ورسم فراسته وسياسته ، وعدله ورحمته ، وصدقاته ومكارمه ، معجبا بكل ما أتاه ، عاذراً له على ما قدمت يداه ، لم ينقده في شيء مما قص من أخباره . ونسب كل ما وقع له من موت عدو ، وتبديل في مجرى أحوال الدولة ، أو غير ذلك من المصادفات ، إلى الإقبال الذي عرف به طالعاه ، والحظ الذي حسن قبيحه وأصلح رديئه . والبلوى يعتقد بالإقبال كثيراً ، يقيم للطالع والنجوم والمنامات والكرامات ، وزنا على ما كان أهل عصره ، (١)

وكان هذا المخطوط قبل نشره يوجد في دار الكتب الظاهرية في دمشق . يقول الأستاذ محمد كرد على بك أن « أصل هذا الكتاب من مخطوطات

(١) مقدمة سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٨ .

دار الكتب الظاهرية بدمشق ، سجل في قسم التاريخ تحت رقم ٢٤٢ ، وكان
مدشوتا فجمع و جلد في أوائل هذا القرن ، وهو مما وقفه محمد بن علي بن أحمد
ابن طولون الصالحى الدمشقى (١) المشهور المتوفى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة
على خزانة المدرسة العمرية بصاحلية دمشق ، وكتب عليه بخطه أنه ابتاعه بتسعة
قروش .

وهذا الكتاب الذى يشير إليه الأستاذ كرد على بك يعرف باسم
« حور العيون فى تاريخ ابن طولون » وهو عبارة عن تلخيص مع زيادات
لسيرة أحمد بن طولون الذى ألفه البلوى ونشره كرد على بك . ولا بن طولون
هذا كتاب آخر لم ينشر بعد ، يعرف باسم « العقود اللؤلؤية فى الدولة الطولونية »

ومن البحوث الحديثه فى تاريخ ابن طولون ما كتبه باللغة الفرنسية
الأستاذ الدكتور زكى محمد حسن وما كتبه باللغة الانجليزية كوربت Corbett

الأول بعنوان : (Les Tulunides (Paris 1933)

والثانى بعنوان :

The Life and Works of of Ahmad ibn Tulun (Journal of the
Royal Asiatic Society, 1891).

(١) ولد محمد بن طولون الدمشقى سنة ٨٨٠ هـ بدمشق ، وتعلم على شيوخها
وأعجب به السيوطى ، وأطلق عليه « سيوطى الشام » ، وله عدة مؤلفات أخرى منها
« الثغر البسام ، فى ذكر من ولى قضاء الشام »

و « إعلام الورى ، بمن ولى من الأتراك بدمشق الكبرى » .

و « سلك الجمان ، فيما وقع لى من تراجم ملوك بنى عثمان » .

١٠ - الكندي (٥٣٥٠ = ٩٦١ م) :

أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف بن معاوية بن كندة .
« كتاب ولاية مصر ، ومن ولي الصلاة ومن ولي الحرب والشرطة ،
منذ فتحت مصر إلى زماننا » .

وقد نشر باسم « كتاب الولاية وكتاب القضاة » ، طبع مهذبا ومصححا
بقلم رفن جست ، بمطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .
كان أبو يعقوب الكندي مصري المولد والدار ، ولد سنة ٢٨٣ هـ .
وكان من أعلم الناس بالبلد وأهله وأعماله وثورته « وله مصنفات فيه وفي
غيره من صنوف الأخبار والأنساب ، وكان من جملة أهل العلم بالحديث
والنسب ، عالما بكتب الحديث ، صحيح الكتابة ، نسابه عالم بعلوم العرب .
وصل الكندي في كتابه « ولاية مصر » إلى سنة ٣٣٥ هـ ، وكان يشتمل
على من ولي الصلاة والشرطة والحرب ومن جمع له الصلاة والخراج .

ومن الكتب الحديثه التي تناولت تلك الفترة من تاريخ مصر « مصر في
فجر الإسلام — من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية سنة ٢٥٤ هـ »
(القاهرة ١٩٤٧) للأستاذة سيدة اسماعيل كاشف .

ولما توفي توفي الكندي سنة ٣٦٠ هـ أتم كتابه ابن زولاق المصري الجنس
المتوفي سنة ٣٨٧ هـ في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، ووصل في كتابه إلى
سنة ٣٨٦ هـ أي قبل وفاته بسنة واحدة .

وأى بعد الكندي وابن زولاق ، المؤرخ ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٣ هـ
(١٣٤٦ م) وأتم الكتاب إلى سنة وفاته ، وسمى كتابه « رفع الإصر عن قضاة مصر »^(١) .

وقد نشر هذه الكتب الثلاثة مع بعضها روثن جست Rhuvon Guest
وأعطاها اسم واحد هو « كتاب الولاية والقضاة » لأبي عمر الكندي . وبذلك
يكون الكتاب كله قد نسب إلى الكندي ، على الرغم من أنه لم يكتب فيه إلا
القسم الأول الذي وصل فيه إلى سنة ٣٣٥ هـ^(٢) .

(١) سبقت الإشارة الى ذلك الكتاب في المخطوطات

(٢) راجع الكندي : كتاب الولاية والقضاة ص ٢٩٣ - ٢٩٨ .

١١ - ابن زولاق (٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م)

أبو محمد الحسن بن ابراهيم

(أ) فضائل مصر وأخبارها وخواصها .

(ب) العيون الدعج^(١) في حلى دولة بني طنج .

(ج) أخبار سيبويه المصرى .

وضع ابن زولاق كتاب « فضائل مصر وأخبارها وخواصها » وهو مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس (رقم ١٨١٧) . استقصى فيه مؤلفه خطط القسطنطينية والعسكر والقطائع . وهو أول مؤرخ لخطط القاهرة المعزية ، إذ أنه شهد قيامها قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة . وانتهى في هذا الكتاب بسنة ٣٨٦ هـ أى قبل وفاته بسنة . وقد أكمل هذا المخطوط أحد الأتراك ابتداءً من سنة ٣٨٧ هـ ومات تلاها من السنين . ويظهر أنه أدخل على الكتاب الذى وضعه ابن زولاق معلومات استقهاها من المؤرخين المتأخرين أمثال القضاعى وأبى الفرج بن الجوزى وسبط بن الجوزى والذهبي .

أما كتابه « العيون الدعج » ، فهو عبارة عن سيرة محمد بن طنج الإخشيد كتبه بأمر أبى على بن الإخشيد . وأمدنا فى الوقت نفسه بمعلومات صحيحة عن تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين إلى سنة ٣٨٦ هـ . ومؤلفه من أهم مؤرخى مصر الإسلاميه ، وهو حجه لا يستهان به فى تاريخ مصر : لأنه كان مصرى الجنس ، وعاش بين أهل مصر ، ولأن شهرته قد ذاعت لسعه إطلاعه

في مادة التاريخ . وقد نقل معظم هذا الكتاب (المخطوط بالمكتبة الأهلية في باريس رقم ١٨١٧) في كتاب « المغرب في حلي المغرب » لابن سعيد الأندلسي (علي بن موسى المغربي) المتوفى بدمشق سنة ٦٧٣ هـ (١) (١٢٧٥ م) وهو مطبوع في ليدن ١٨٩٨-١٨٩٩ م ؛ وجامع لمحاسن أخبار أهل المشرق والمغرب ومدنها الشهيرة .

ولابن زولاق عدة مؤلفات أخرى في تاريخ مصر ؛ منها : سيرة كافور وسيرة جوهر الصقلي ؛ وسيرة المعز ، وسيرة ابنه العزيز (٢) . على أنه قد تلاشى معظم هذه الكتب ولا يعرف عنها شيء ، إلا ما أخذه منها غيره من الكتاب الذين جاءوا بعده . وقد عاصر ابن زولاق الإخشيديين والفاطميين ، وامتدت حياته في الدولة الفاطمية إلى سنة ٣٨٦ هـ

وخلف ابن زولاق كتابه « أخبار سيديويه (٣) المصري » (القاهرة ١٩٣٣ م) . ولد سيديويه بمصر سنة ٢٨٤ هـ ، وكان أديباً وشاعراً وواعظاً ، وأنقن النحو حتى لقب سيديويه بإمام الصناعة في المشرق . وقد ترجم ابن زولاق في هذا الكتاب حياة سيديويه المصري (أبو بكر محمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي الصيرفي) واستقصى فيه نوادره وفكاهاته التي شاعت بين المصريين في زمانه . ويظهر أن شهرة سيديويه قد ذاعت في مصر وانتشرت ، ولكن أحداً لم يعن بتقييد أخباره ، حتى جاء ابن زولاق فألف هذا الكتاب ، وفيه يقول : لو كان بالعراق ، لجمع كلامه ونقلت ألفاظه ، ولو عرف المصريون قدره ، لجمعوا له أكثر مما حفظوه ، وسئلت أن أجمع من كلامه ما أقدر

(١) الكتي : فوات الوفيات ج ١ ص ١١٢

(٢) عدد ياقوت : إرشاد الأريب ج ٣ ص ٧ أسماء الكتب التي وضعها ابن زولاق

(٣) معناه بالفارسية : رائحة التفاح

عليه بما حفظته عنه ، وما بلغني عنه ، فعملت كتابي هذا بصفته ما كان
لحسنه . (١)

وكان سيبويه المصرى « طرفة مصر فى عصره ، علما وأدبا ، وفكاهة
وجنوناً ، كان يقوم فيهم مقام العالم والواعظ والأديب ، ومقام الجريدة
السيارة الناقلة للاذعة » (٢)

ولسيبويه مع كافور نوادير مستملحة . وفى ذلك يقول ابن زولاق :
« نزل كافور يوماً لصلاة الجمعة فى مواكبها ، فسمع صياحاً عند مسجد الريح ،
فقال : أى شىء هذا ؟ فقالوا : سيبويه ، فقال : استروه عنى بالدرق وهو
يصيح : أبا المسك مدح الفظ خزى فى السعير ، لا أعتق الله منك قلامة ظفر
ثم التفت إلى الناس فقال : حصلنا على خصى وصبي وامرأة : يعنى بالخصى
كافورا ، وبالصبي على بن الإخشيد ، وبالمرأة أمه » (٣)

ومات سيبويه المصرى فى شهر صفر سنة ٣٥٨ هـ ، قبل دخول جوهر
الصلقى ، قائد المعز لدين الله الفاطمى ، مصر بستة أشهر . فلما ذكرت أمامه
أخباره ونواديره قال : « لو أدركته لأهديته إلى مولانا المعز صلوات الله عليه » (٤)
ومن المكتب التى كتبت عن عصر الإخشيديين ، كتاب « سيرة الإخشيد »
لمحمد بن موسى بن المأمون الهاشمى ، ولسكننا لا نعرف عن هذا الكتاب
إلا اسمه ووصفه . وضع فى عهد الإخشيد ، وملاه مؤلفه مديحاً وإطراءً لحالة
مصر فى عهده ، رغبة منه فى التقرب إلى هذا الأمير ، إلا أن الإخشيد لما تصفح
هذا الكتاب لم يفقه ما انطوى عليه من المعائب . هذا إلى أن الكتاب لم يتعرض
للكلام على بيت الإخشيد وسياسته وحرابه وثروته وحضارة مصر فى عهده .

(١) ابن زولاق : كتاب أخبار سيبويه المصرى ص ١٧ .

(٢) الأستاذ الدكتور أحمد أمين بك : مجلة الرسالة ١٩٣٢ .

(٣) ابن زولاق : كتاب أخبار سيبويه المصرى ص ٣٢ .

(٤) ابن زولاق : نفس المصدر ص ١٧ .

١٢ - ١٦ البغدادي و الماوردي و ابن مزرم و الطوسي و الشهرستاني

وهم أشهر كتاب الممل و النحل و النظم .

كتب البغدادي (المنصور عبد القاهر بن طاهر المتوفى سنة ٤٢٦ هـ
(١٠٣٧ م) كتابه « الفرق بين الفرق » (القاهرة ١٢٢٨ هـ = ١٩١٠ م)

و كتب الماوردي^(١) (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري
— الفقيه الشافعي البغدادي) المتوفى سنة ٤٥٠ هـ (١٥٠٨ م) كتاب « الأحكام
السلطانية و الولايات الدينية » (القاهرة ١٢٩٨ هـ و لندن ١٩٠١ م) . وهو أول
كتاب وضع باللغة العربية عن نظم الحكم في الإسلام . على أن الغموض الذي
يحيط بأسلوب الماوردي ، لمما يزيد في قيمة ما كتبه المتأخرون عن هذا الموضوع
أمثال ابن طباطبا و ابن خلدون و القلقشندي و المقرئ و غيره . و للماوردي
كتاب « قوانين الوزارة » وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، و يبحث
في قوانين الوزارة و معناها و اشتقاقها و ما يتبعها من تقليد و عزل و ما يجب على
من يتولاها من الدفاع عن المملكة و الملك و الرعية .

و وضع ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد) المتوفى في سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م)
كتاب « الفصل في الممل و الأهواء و النحل » ، وجاء في ثلاثة أجزاء (القاهرة
١٢١٧ هـ) .

كذلك كتب الطوسي (محمد بن الحسن) المتوفى سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ —
١٠٦٧ م) كتابه « فهرست كتب الشيعة » (كلكتا ١٨٥٥)
و وضع الشهرستاني^(٢) (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

(١) كان الماوردي يبيع ماء الورد ، ولذا عرف بهذا اللقب . ياقوت : إرشاد
الأديب ج ٥ ص ١٠٧

(٢) تجد تاريخ حياة الشهرستاني في ابن خلكان . وفي الأعيان ج ١ ص

(١١٥٣ م) كتابه المعروف باسم (الملل والنحل) وجاء في خمسة أجزاء
(القاهرة ١٣١٧ هـ) .

ووضع المؤلف — الدكتور على ابراهيم حسن بالاشتراك مع الدكتور
حسن ابراهيم حسن ، كتاب « النظم الإسلامية » في ٣٨٤ صفحة (القاهرة ١٩٣٩)
وفيه بحث مؤلفاه نظام الرق والنظم السياسية والإدارية والمالية والحربية
والقضائية في مصر الإسلامية في العصور الوسطى وعند المسلمين في مختلف
العصور . وما جاء في المقدمة التي صدر بها المؤلفان هذا الكتاب ، يتضح
معنى « النظم » ويحدد المقصود من دراستها : « موضوع النظم الإسلامية
موضوع طريف لم يتصد لبحثه إلا القليل من الفقهاء والمؤرخين ، مع ما له
من أهمية وخطر . على أن الموضوع ليس في الواقع بجديد ؛ فقد بحثه بعض
فقهاء المسلمين الأقدمين بحثاً مستفيضاً (١) . . . والنظم جمع نظام ، وهي كلمة
تطلق على كل شيء يراعى فيه الترتيب والانسجام . وهي — بهذا الاعتبار —
تشبه العقد من حيث انتظام أحجاره بعضها مع بعض . ونظم أية دولة تتكون
من مجموعات القوانين والمبادئ والتقاليد التي تقوم عليها الحياة في هذه الدولة .
ومن هذه النظم : النظام السياسي ، والنظام الإداري ، والنظام المالي ، والنظام
القضائي ، وهناك نظم أخرى كاللحج والصلاة والصوم ، ونظريات الفرق
الدينية التي ظهرت في الإسلام ، وهي تتصل في الواقع بالدين أكثر من اتصالها
بالتاريخ ، وهناك نوع آخر من النظم هو النظم الاجتماعية التي تعنى بدراسة
حالة الشعوب ، كنظام الرق لما كان له من أثر كبير في حياة المجتمع الإسلامي (٢) .
وقد ترجم هذا الكتاب أخيراً مولاي علم الله صاحب صديقي إلى اللغة
الأردية ، لغة بلاد الهند الرسمية ، ونشرته ندوة المصنفين المعروفة في دهلي .

(١) ورد ذكر هؤلاء في الصفحة السابقة

(٢) مقدمة كتاب النظم الإسلامية للدكتورين حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم

١٧ - ١٩ أبو هلال الصابي . وابن منجب الصيرفي .

وابن الفلانسى

وضع أبو هلال الصابي المتوفى سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م)

« كتاب تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء »

وقد جعله مؤلفه ذيلًا على « كتاب الوزراء والكتاب » لأبى الحسن عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري المتوفى سنة ٣٣١ هـ ونشره الأساتذة مصطفى السقا و ابراهيم الاييارى وعبد الحفيظ شلبي (القاهرة ١٩٣٨ م) .
وكتاب الوزراء يشتمل على أخبار الوزراء والكتاب مع الخلفاء والأمراء من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر الخليفة المأمون العباسى .

وكتاب « تحفة الأمراء » جمع فيه أبو هلال أخبار الوزراء إلى عهده وذكر أخبارهم وشرح أحوالهم وأعمالهم إلى نهاية عهدهم بالوزارة . طبعه ه . ف . أمدروز H. F. Amedroz وذيله بفهرس لأسماء الرجال وفهرس لأسماء الأماكن وصدره بنبذة عن تاريخ مؤلفه أبى هلال ومؤلفاته . ولم يظهر منه إلا جزء واحد ذيل به أمدروز « كتاب الوزراء » للجهشياري ونقله عنه الأستاذ مرجليوث Margoliouth . وقد تتبع هذا الكتاب التعديلات التى أدخلت على نظام الوزارة .

ووضع أمين الدولة تاج الرياسة ابن منجب الصيرفي المتوفى سنة ٦٤١ هـ (١١٤٧ م)
كتاب « الإشارة إلى من نال الوزارة »

طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة ١٩٢٤ .
ولسكتابه قيمة خاصة في بحث تاريخ الفاطميين ، لأن ابن منجب كان من
أعيان زمانه ومن البارزين من المؤرخين . وتقلد ديوان الرسائل في عهد الخليفة
الأمير الفاطمي من سنة ٤٩٥ هـ ، وظل فيه إلى سنة ٥٣٦ هـ كما كان متصلا
بالبلاط الفاطمي اتصالا مباشراً . وقد أورد ياقوت سيرة ابن منجب ، وأفرد
له ابن ميسر ترجمة خاصة .

وقد ضمن ابن منجب كتابه تراجم وزراء الدولة الفاطمية من عهد الخليفة
العزیز بالله الذي ولى عرش الخلافة الفاطمية في سنة ٢٦٦ هـ إلى عهد الأمر بأحكام
الله (٤٩٥ - ٥٢٥ هـ) مبتدئاً بالوزير يعقوب بن كلس ومنتهاً بالوزير نظام
الدين أبي عبد الله محمد بن أبي شجاع الأمرى .

ووضع ابن القلانسي المتوفى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م)
كتاب « تاريخ ابن القلانسي » المعروف باسم :
« ذيل تاريخ دمشق » (بيروت ١٩٠٨ م)

وهذا الكتاب بمثابة ذيل على تاريخ دمشق لابن عساكر وهو مصحوب
بشذرات من تواريخ ابن الفارقي وسبط بن الجوزي والذهبي .

ويمكن عد « تاريخ ابن القلانسي » من المصادر الأصلية منذ ابتداء القرن
السادس الهجري . رتبته مؤلفه علي السنين ، ونشر في مجلد واحد مع مقدمة
وملاحظات باللغة الإنجليزية للمستشرق الانجليزي آمدروز .

٢٠ - أبو صالح الأرمني : (٦٠٥ - ٦٠٦ هـ = ١٢٠٨ م)

« تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني ، المعروف باسم

« كنائس وأديرة مصر ،

طبعة Evettes في أكسفورد سنة ١٨٩٥ م وقرن نصه العربي بترجمة

إنجليزية .

وفي هذا الكتاب يكتب المؤلف تاريخ الكنائس والأديرة المصرية وأحياء
النصارى وتاريخ القديسين والبطاركة وبعض أعمال الدولة الأيوبية وإقطاعاتها
وخراجها . ويحوى معلومات ظريفة عن حالة مصر الاجتماعية في عصر
الفاطميين وخاصة علاقة المسيحيين بالمسلمين وأوضح أن قوامها كان العطف
والرعاية . والكتاب مملوء بأمثلة كثيرة عن الخيرات التي أغدقها الخلفاء
الفاطيون والموظفون الكبار من المسلمين على القبط .

وأبو صالح أرمني الجنس من أرمينيا ، وكتابه عبارة عن تاريخ الأرمن
بالقاهرة وغيرها من بلاد القطر المصري من وقت استيلاء الغزاة الأكراد على
مصر سنة ٥٦٤ هـ ، وتاريخ كنائسهم ومعابدهم وقساوستهم وذكر من وفد
إلى كنائسهم وأقام بها أو رحل عنها .

زار أبو صالح مصر بعد سقوط الفاطميين بقليل ، وشاهد أديرتها وكنائسها
ووقف على أخبار الدولة الفاطمية في أواخر أيامها عن طريق ما سمعه من

الرهبان والقسس ، ورآه هو بنفسه في زيارته من الكنائس والأديرة في
القاهرة وضواحيها . (١)

* * *

ويمثل هذا الكتاب في القيمة التاريخية ، « كتاب الديارات » لأبي الحسن
علي بن محمد الشابشتي (١) ، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) وقيل في سنة ٥٣٩ .
والشابشتي اسم ديلبي يشبه النسبة ، وهو حاجب وشكير بن زيار الديلي ،
ويحتمل أن يكون أبو الحسن علي الشابشتي من أبناء هذا الرجل ، فنسب إليه
وبقي النسب في ولده . وهو معاصر للخليفة العزيز بالله الفاطمي ، وكان أمينا
لخزائمه ، وسميرا له ، وجليسا يطالع للعزيز كتب السيرة والحديث والتفسير .

وهذا الكتاب بحث موضوع الديارات في العراق والشام وفلسطين ومصر
وبلاد النوبة . وهو لا يزال مخطوطا لم ينشر بعد ، وموجود في مكتبة برلين
(Barlin, we.4100) . إلا أن الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية أستاذ
تاريخ القرون الوسطى بجامعة فاروق الأول ، نشر الجزء الخاص بمصر .
وقد زعم إيفتس Evetts في مقدمته لكتاب ابن صالح أن كتاب الديارات
للشابشتي قد ضاع ، ولا يعرف لدينا إلا عن طريق العبارات التي اقتبسها منه
غيره من الكتاب .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٢٦ .

(٢) الشابشتي : كلمة فارسية ، لأن آباءه وأجداده من بلاد فارس .

٢١ - ابن ممانى (٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م) :

أسعد بن المهذب بن أبى ملىح .

« قوانين الدواوين » (القاهرة ١٩٤٣)

نشره وعلق عليه الأستاذ الدكتور عزيز سوربال عطية ، طبعته الجمعية الزراعية الملكية ، بإشارة المغفور له الأمير عمر طوسون . وبذل الناشر فى تحرى أصول المخطوط الذى وضعه ابن ممانى وإثبات نصوص النسخ المتعددة جهوداً كبيرة حتى وفق لنشر تلك الوثيقة التاريخية التى تعد من أهم الوثائق عن أصول الزراعة ونظم الدواوين المصرية فى عصر الدولة الأيوبية .

وقبل نشر هذا الكتاب ، كان قد طبع جزء صغير منه فى مطبعة الوطن فى رجب سنة ١٢٩٩ هـ ، وورد فى صفحة ٣٩ من هذا الجزء بيان مشتملاته على النحو الآتى : بيان مهمات الحكام ، ومصطلحات الدواوين ، وعوائد السابقين فى الزراعات وخراج الجهات ، وغير ذلك مما يزيد المؤرخ الجديد فى معرفة الفرق بين ما كان وما اصطالحوا عليه مصححاً على أصله .

وفى المخطوط المنشور تفصيل الكلام على النظام الإدارى فى مصر فى دولة الأيوبيين ، وفصل عن الحبس الجيوشى ، ويتناول فيه الكلام على النواحي التى خصص إيرادها للجيش السلطانية وما يزرع بديار مصر من مختلف المحاصيل ، وفصل عن القواعد الشرعية المتعلقة بإقطاعات الجند .

وتعرض المؤلف لجغرافية القطر المصرى فى العهد الأيوبى وتكلم عن مصر ونهر النيل ، فذكر « أعمالها ، وتفاصيل نواحيها ، وتحقق أسماء ضياعها ، وكفورها ، وجزائرها ، وكل ما يقع عليه اسم الديوان منها » (١) . ثم ذكر « خليجانها وترعها وجسورها » (٢) .

(١) راجع الباب الثالث من كتاب قوانين الدواوين .

(٢) راجع الباب الخامس من كتاب قوانين الدواوين .

وتصدى المؤلف إلى كثير من المسائل الخاصة بأنظمة الحكم في بني أيوب ، وخاصة وظائف الدولة الهامة واختصاص كل منها ودواوين الدولة ودور الحكومة وموارد الدولة المالية (١) . ثم أفاض في الكلام على شئون البلاد الزراعية فذكر أنواع الأراضى المختلفة ، والفصول الزراعية ، وأنظمة الري وأنواع المزروعات وأوقات غرسها وحصادها ، والبساتين وأوقات تقليم الأشجار . يقول الدكتور عزيز سوريال عطية ، ناشر المخطوط ، في مقدمته التى صدره بها :

« غير أن ما ذكرناه ليس كل شيء فى هذا المؤلف . فالكتاب - على صغر حجمه نسبيا - زاخر بمختلف الأبحاث والموضوعات . ولما كان مصنفه من أصل قبلى ، فقد استطاع أن يجمع إلى جانب فقه المسلمين علم الأقباط فى شتى المسائل التى اختلفوا بها دون غيرهم من طوائف الأمة المصرية وطبقاتها . مثال ذلك ما جاء فى الباب السابع عن أصول مساحة الأرض وبعض القضايا الهندسية التى يمكننا اليوم إثباتها بأحدث الطرق العلمية . وبالكتاب أيضا ملاحظات جمّة عن السنة القبطية وعلاقتها بالزراعة المصرية .

« وقيمة الكتاب ليس مقصورة على سعة اطلاع المؤلف وغزارة علمه وحدة ذهنه ، وإنما ترجع كذلك إلى مكانته الخاصة بالمجتمع المصرى ومركزه السامى فى حكومة البلاد . فابن ممانى تقلب فى كثير من دواوين الحكومة ، وانتهى به الأمر إلى تقلد الوزارة نفسها ، وبذلك أصبح كل ما يكتبه ذا صبغة خاصة تجعله وثيقة رسمية صدرت عن قلم أحد وزراء الدولة المسؤولين .

« كتاب قوانين الدواوين إذن من وثائق الطراز الأول . وهو على اختصاره وعدم إمعانه فى استعراض المسائل مفصلة كل التفصيل ، يحمل

كثيراً من الصفات التي امتاز بها ذلك النوع المعروف من الموسوعات العظيمة التي ظهرت في العصور الوسطى الإسلامية .

« بيد أن جنوح المؤلف إلى المبالغة في الاختصار والإقلال من العبارة جعل بعض أجزاء الكتاب غير واضح تمام الوضوح ، وإنما لانبالغ إذا قلنا ان كتاب قوانين الدواوين من أعقد الكتب العربية في القرون الوسطى . » (١)

وقد وصف ياقوت حياة ابن ممتا في هذه العبارة :

« هو أحد الرؤساء الأعيان الجله ، والكتاب الكبراء المنزلة ، وعن تصرف في الأعمال ، وولى رياسة الديوان ، وله أدب بارع ، وخاطر وقاد مسارع ، وقد صنف في الأدب وعرف ، ومات بمدينة حلب في ثامن عشرى جمادى الأولى سنة ٦٠٦ هـ (١٨ نوفمبر سنة ١٢٠٩ م) . وأصله من نصارى أسيوط بليدة بصعيد مصر ، قدموا مصر وخدموا وتقدموا وولوا الولايات . وهو مع ذلك من أهل بيت في الكتابة عريق ، وهو كالمستولى على الديار المصرية ليس على يده يد . » (٢)

وقال ابن خلكان في « وفيات الأعيان » عن ابن ممتا إنه « القاضى الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبو سعيد مذهب بن مينا بن زكريا بن ابى قدامة بن أبى ملىح ممتا المصرى الكاتب الشاعر ، كان ناظر الدواوين المصرية ، وفيه فضائل ، وله مصنفات عديدة ، ونظم سيرة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، ونظم كتاب كليله ودمنة ، وله ديوان شعر رأته بخط ولده ونقلت عنه مقاطيع . » (٣)

(١) مقدمة قوانين كتاب الدواوين بقلم الاستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية

ص ٦ - ٧

(٢) ياقوت : إرشاد الأديب . 2. Gibb Memorial Series, VI.

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٩٩-١٠١ طبعة دى سلين .

٢٢ - ٢٣ ابن شداد (٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م)

وأبو شامة (٦٦٥ هـ = ١٢٦٧ - ١٢٦٨ م)

وضع القاضي بهاء الدين بن شداد، كتاب
« النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية »

ويعتمد عليه في دراسة تاريخ صلاح الدين الأيوبي ، لأنه أدق وأنفس ما كتبه عن حياة هذا السلطان ، تناول فيه مولده وخصائصه وشمائله ووقائعه وفتوحاته . وقد كتب ابن خليكان في كتاب « وفيات الأعيان » عن ابن شداد ، فقال إنه قابله ، وكان قد طعن في السن ، واستمد منه المعلومات الخاصة بحياته وتصانيفه . ومنها نعلم أن ابن شداد اتصل بخدمة صلاح الدين : فكان قاضي العسكر ثم تقلد الوزارة ومنصب قاضي القضاة معا في عهد السلطان الظاهر بن صلاح الدين حينما تقلد ولاية حلب

أما أبو شامة (١) فقد وضع كتاب

« الروضتين في أخبار الدولتين » جزءان (القاهرة ١٢٨٧ هـ)

وأبو شامة شافعي من أهالي دمشق ، ويقصد هنا بالدولتين : دولة نور الدين ودولة صلاح الدين ، أي أن الكتاب يتناول الكلام عن الفترة الواقعة منذ وفاة عماد الدين زنكي سنة ٥٤١ هـ حتى أواخر سنة ٥٨٩ هـ وهي السنة التي توفي

(١) سمي كذلك لوجود علامة سوداء في وجهه .

فيها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أى لمدة ٤٨ سنة ، رتبها على
السنين الهجرية .

وهذا الكتاب عبارة عن سفر مطول ، استمده مؤلفه من المصادر
والوثائق الرسمية التى ألفها رجال مشهورون لهم صفة رسمية فى الدولة ،
من أمثال : القاضى الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ ، وعماد الدين الأصبهاني المتوفى
سنة ٥٩٧ هـ وكلاهما تقلد الوزارة فى عهد صلاح الدين . وأخذ أيضاً عن يحيى
ابن طيِّ الشيعى المذهب الذى كان كان يقيم فى حلب ببلاد الشام وينتصر كثيراً
لعلى والمتوفى سنة ٦٣٠ هـ . ومن المحتمل أن يكون انتشار العقائد السنية فى
بلاد الشام فى ذلك الوقت ، هو السبب فى أنه لم يصل إلينا من مؤلفات هذا
المؤرخ إلا القليل . كما أخذ عن ابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ وصاحب
كتاب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » . وأخذ كذلك عن كتابى
« الفتح القدسى » و « البرق الشامى » لعماد الدين الأصبهاني ، أما فى الكتاب
الأول وهو « الفتح القدسى » فإن الحقائق التاريخية قد اختفت لكثرة ماورد
فيه من الاستعارات والتشبيهات ، فلما جاء أبو شامة وأراد أن يأخذ عن هذا
الكتاب قرأه بإمعان ولفظن إلى ما فيه من نقص وعيوب ، وحذف تلك
العبارات المجازية التى جعلت أسلوبه محوطاً بالإبهام والغموض ، وبذا سهل فهم
ما فى هذا الكتاب من حقائق تاريخية .

ووضع أبو شامة كتاب « الذيل على الروضتين »

وهو مخطوط فى بلدية الاسكندرية رقم ٣٥٥٣ ، ويقع فى ثلاثة أجزاء ،
وقد طبع حديثاً بعنوان « تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجرى » .
وكان أبو شامة موجوداً بدمشق أثناء الاحتلال المغولى لها سنة ٦٥٨ هـ
(١٢٦٠ م) . وقد وصف هذا الغزو مفصلاً فى كتابه هذا ، وختمه بقوله :
« الحمد لله الذى عافانا عما ابتلى به غيرنا » .

٢٤ - ابن ميسر (٦٦٧ = ١٢٧٥ م) : محمد بن علي بن يوسف بن جالب
« أخبار مصر » ، من مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات
الشرقية بمصر ، عن بتصحيحه هنري ماسيه وطبع سنة ١٩١٩ بالقاهرة .
ولم يظهر من هذا الكتاب إلا الجزء الثاني ، ويشمل الكلام على تاريخ
مصر مبتدأً بسنة ٤٣٩ هـ وهي السنة التي زار فيها ناصر خسرو مصر ، وينتهي
بسنة ٥٥٥ هـ وهي السنة التي انتهى فيها حكم الخليفة الفائز من خلفاء العصر
الفاطمي الثاني في مصر ، ولم يتناول الكلام على العاضد آخر خلفاء الفاطميين
فقد جاء في نهاية الجزء المطبوع منه العبارة التالية :

« آخر المنتقى من الجزء الثاني من تاريخ مصر لابن ميسر ، وتم على أحمد بن علي
المقرئ في مساء يوم السبت لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة
وثمانمائة ... وتأخرت دولة العاضد وهو آخرهم والله أعلم لم يذكرها المؤلف » .
ويظهر أن الجزء الأول كان يتناول الكلام على عصر الخليفة الفاطمي
المعز منذ أن اعتلى الخلافة بالمغرب سنة ٢٤١ هـ ثم تناول عهد خلافته في مصر
وعهد من جاء بعده من الخلفاء الفاطميين حتى سنة ٤٣٨ هـ

ولهذا الكتاب تتممة ، فقد جاء في نهاية الجزء الثاني المنشور من « أخبار مصر »
لابن ميسر العبارة التالية : « محمد بن علي بن يوسف بن شاهنشاه الشيخ الإمام
تاج الدين أبو عبد الله المصري المؤرخ ، كان فاضلاً بارعاً وله تصانيف مفيدة
حسنه ومشاركة في فنون من العلوم وهو مصنف تاريخ القضاة وله تأريخ كبير
ذيل به على تأريخ المسيحي » (١) .

وفي آخر هذا الجزء عدة جداول : جدول بأسماء الخلفاء مبتدئة من عهد
المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٤١ هـ ومنتهية بحكم الخليفة الفائز (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ) ،
وجداول بأهم الحوادث المذكورة في « أخبار مصر » منذ سنة ٣٤١ هـ إلى سنة ٥٥٣ هـ ،
وجداول بالاصطلاحات الإدارية ، وجدول بالمعابد والآثار والخطط ، وكلها
من عمل الناشر هنري ماسيه .

(١) ورد في هذا الكتاب أن ابن ميسر توفي في ١٨ المحرم سنة ٦٦٨ هـ ، ودفن
في جبل المقطم ، وأن له كتاباً آخر يعرف باسم « قضاة مصر » .

٢٥ - ٢٧ ابن أبي أصيبعة (٥٦٦٧ = ١٢٧٠ م)

والمراكتى (٥٦٦٩ = ١٢٧٠ - ١٢٧١ م)

ومفضل بن أبي الفاضل (٥٦٧٢ = ١٢٧٣ م)

وضع ابن أبي أصيبعة كتاب « عيون الأنباء في أخبار الأطباء ،
جزءان (القاهرة ١٢٩٩ - ١٣٠٠ هـ) . ويبحث هذا الكتاب عن الحكماء
الذين كانوا يافريقيه ومصر ويتكلم استطرادا عما يتعلق بالفاطميين .
أما عن البيطرة فتراجع البيانات الخاصة بذلك في كتاب البيطرة المعروف
باسم «كامل الصناعتين» لأبي بكر بن بدر البيطار في اصطبل الناصر محمد .
أما المراكتى فقد وضع كتاب « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » .
طبعة ر . دوزى Dozy الطبعة الثانية (ليدن ١٨٨١ م) وترجمه وشرحه
فاينان E. Faynan (الجزائر ١٨٩٣ م)

ولد عبد الواحد بن علي في مراكتى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) ثم عاش بعد ذلك
في الأندلس ومصر . على أن سنة وفاته والمكان الذى وقعت فيه هذه الوفاة ، أمران
يجهلهما التاريخ ، وقد كتب المراكتى كتابه عن « تاريخ الموحدين » وهو ما يسمى
« المعجب في تلخيص أخبار المغرب » في سنة ٦٢١ هـ . وما نقله لنا المقرئ (١) عن
المراكتى حادثة وقعت له في سنة ٦٦٩ هـ فلا بد أن تكون وفاته في هذه السنة
أو بعدها (٢) .

وكتب مفضل بن أبي الفضائل كتاب ،

« النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ،

وقد ترجمه ونشره بلوشيه باللغة الفرنسية :

Texte Arabe publié et Traduit en Français par Blochet,
Paris, 1911, 1920.

وقد انتهى ابن أبي الفضائل من كتابه سنة ٧٣٥ هـ وعاش في مصر في عصر

الناصر محمد (٦٩٣ - ٧٤١ هـ) أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية .

(١) المقرئ نفح الطيب ج ١ ص ٥٥ .

(٢) الدكتور حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ص ١٧ حاشية ٤

انظر لفظ عبد الواحد المراكتى في دائرة المعارف الإسلامية .

٢٨ - ابن خلدون (٦٨١ هـ = ١٢٨١ م)

شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي البرمكي

« وفيات الأعيان ، وأنبياء أبناء الزمان » جزءان

ترجمه إلى اللغة الإنجليزية دي سلين (باريس ١٨٤٢ - ١٨٤٨) .

ولد ابن خلدون في مدينة إربل قرب الموصل بالعراق سنة ٦٠٨ هـ ،

وكان قاضيا ، فقهيا ، سنيا على المذهب الشافعي . ويعد ما كتبه من تراجم في

كتابه « وفيات الأعيان » ، أحسن ما كتب في هذا الصدد . وتبين لنا قيمة

هذا الكتاب ، مما كتبه مؤلفه ابن خلدون ، في صدر كتابه ، قال :

« هذا مختصر في علم التاريخ ، دعاني إلى جمعه أني كنت مولعا بالإطلاع

على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتاريخ وفياتهم وموالدهم . . . ولم أذكر

في هذا المختصر أحدا من الصحابة رضوان الله عليهم ولا من التابعين رضی

الله عنهم إلا جماعة يسيرة ، تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم .

وكذلك الخلفاء لم أذكر أحدا منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب ،

لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم ، أو كانوا في

زمني ولم أرهم ليطلع على حالهم من يأتي بعدي . ولم أقصر هذا المختصر على

طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء ،

بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ، ذكرت وأثبت من أقواله

بما وقفت عليه مع الإيجاز كي لا يطول الكتاب ، وأثبت وفاته ومولده إن

قدرت عليه ، ورفعت نسبه على ما ظفرت به ، (١) .

ويحوى هذا الكتاب معلومات قيمة عن أواخر أيام الفاطميين ، وانحلال

دولتهم وقيام دولة صلاح الدين الأيوبي . وفيه تراجم على جانب عظيم

من الأهمية لصلاح الدين وأسد الدين شيركوه والخليفة العاضد آخر خلفاء

الفاطميين ، ورتبه ابن خلدون على حروف المعجم .

ووضع المؤرخ ابن شاكر السكتي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ، كتاب « فوات

الوفيات » (جزءان - بولاق ١٢٩٩ م) ، تنمة لكتاب « وفيات الأعيان » .

(١) ابن خلدون : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢ - ٣

٢٩ — ابن طباطبا (وضع كتابه سنة ٥٧٠١ هـ = ١٣٠٢ م) :

محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي

، الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ،

(القاهرة ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٨ م)

وهو كتاب ممتع ، عن السياسة الإسلامية . يمتاز بسهولة أسلوبه ، وإمتاع عباراته ، ولا يوجد كتاب أصلح منه ، لأن يكون مقدمة للأدب العربي^(١) . فهو كتاب أدبي تاريخي سياسي ، صدره ببيان فضل العلم ، موضحا أن أفضل ما نظر فيه الملوك ما اشتمل على الآداب السلطانية والسير التاريخية .

وقسم كتابه قسمين : القسم الأول تسكلم فيه على ما استحسنته من سير الملوك والخلفاء والوزراء ، بينما ما يقول بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والحكم والأشعار . وتناول في القسم الثاني مشاهير الدول مبتدئا بدولة الخلفاء الراشدين ، ثم الدولة الأموية ، فالدولة العباسية ، ودولة البويهيين ، والسلاجقة والدولة الفاطمية ، وذكر مع كل خليفة وزراه ، إلى نهاية وزراء الدولة العباسية .

٣٠ - أبو الفدا^(١) (٧٣٢ هـ = ١٣٣١ م) :

الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه

«المختصر في أخبار البشر» ، ٤ أجزاء (القسطنطينية ١٢٨٦ هـ والقاهرة ١٣٢٥ هـ)
ولأهميته اختصره ابن الوردي قاضي القضاة الشافعي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ،
فجاء في مجلدين ، طبعا في القاهرة سنة ١٢٨٥ هـ .

يمتاز هذا الكتاب بأن مؤلفه اشترك بنفسه في الوقائع الحربية التي حدثت
في عصر المماليك وأهمها واقعة مرج الصفر على مقربة من حمص بين السلطان
الناصر محمد وغازان إيلخان المغول في فارس (٢) سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣ م) .
ويعتبر المؤرخ أبو الفدا شاهد عيان لرحلة الناصر محمد من السكرك حتى
وصل إلى القاهرة ، إذ أنه رافق الناصر في رحلته إلى أن دخل القاهرة ولم يعد
إلى الشام إلا بعد أن جلس على العرش وتسلم زمام سلطنته الثالثة سنة ٧٠٩ هـ .
وكان أبو الفدا قد أكرم الناصر أثناء إقامته في السكرك في الشام حين رحل
عن القاهرة واغتصب ملكه كتبغا ولاجين وبيبرس الجاشنكير ، فلما عاد
الناصر إلى ملكه ، كافأه بمنحه ولاية حماة ، وجعله - على ما رواه الکتبی صاحب
فوات الوفيات - سلطانا يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغيره ، ليس لأحد من

(١) هو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل صاحب حماه ابن السلطان الملك
الأفضل نور الدين أبي الحسن علي ابن السلطان الملك المظفر تقي الدين أبي الفتح محمود
ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن السلطان الملك المظفر تقي الدين
أبي الخطاب عمر ابن السلطان نور الدولة شاهنشاه ابن السلطان الملك الأفضل أبي
الشكر نجم الدين أيوب والد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن
شادي بن مروان الكردي الهزباني الروادي الدويني .

(٢) أبو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٤٩ - ٥١

الدولة بمصر من نائب ووزير معه حكم ، وأركبه في القاهرة بشعار الملك وأبهة السلطنة ومشى الأمراء والناس في خدمته حتى الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وقام له القاضي كريم الدين بكل ما يحتاج إليه في ذلك المهم من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيرهم ، ولقبوه الملك الصالح ثم بعد قليل لقبه الملك المؤيد ... وفي العنوان صاحب حماه ويكتب إليه السلطان أخوه محمد بن قلاوون . ويقول أبو الفدا عن رحلته مع السلطان الناصر محمد من السكر إلى القاهرة وعن تقلده حماه « وسرت أنا بمن معي من عسكر حماه يوم ١٣ رجب سنة ٧٠٩ هـ » (١) ثم يقول « وقدمت تقدمتي (في دمشق) ومن جملتها مملوكي طقزتمر ، فحصل من السلطان القبول والصدقة والمواعيد الصادقة بالتصدق على بحماه على عادة أهل وأقاربي » (٢) . ويقول « وتصدق على (وهو في مصر) وطيب خاطرى بأنه لا بد من إنجاز ما وعدني به من ملك حماه ، وإنما أخرج ذلك لما بين يديه من المهمات والأشغال المعوقة عن ذلك ، فسرنا مع قبچق من مصر متوجهين إلى الشام ووصلنا حماه في ١٥ ذي القعدة من هذه السنة » (٣) وصفه أبو المحاسن ، فقال إنه « كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ ، سمع وجمع وصنع ودرس وحدث وألف ، وكان له إطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالضبط والتحري ، وله مؤلفات عديدة مفيدة » (٤)

ولما مات أبو الفدا ، رثاه أحد طلبته ، بقوله :

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبديد غزير
ولو مزجوا ماء المدامع بالدم لكان قليلا فيك يا ابن كثير

(١) أبو الفدا : المختصر ج٤ ص ٥٦

(٢) أبو الفدا : نفس المصدر والجزء ص ٥٧

(٣) أبو الفدا : نفس المصدر والجزء ص ٥٨

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة (طبعة كاليفورنيا) ج٥ الفصل الأول ص ٢٧٢-٢٧٣

٣١ - العمري (٥٧٤٩) :

شهاب الدين أبي العباس احمد بن يحيى

« التعريف بالمصطلح الشريف »

وضع العمري - عدا كتابه « مسالك الأبصار » الذي أشرنا إليه في مصادر المخطوطات - مؤلفاً نفيساً آخر هو « التعريف بالمصطلح الشريف » وتم طبعه في القاهرة سنة ١٣١٢ هـ . وجعله على سبعة أقسام :

الأول في رتب المكاتبات .

والثاني في العهود والتقاليد والتواقيع والتفاويض والمراسيم والمناشير .

والثالث في نسخ الإيمان .

والرابع في الأمانات والدفن والهدن والمواصفات والمفاسحات .

والخامس في نطاق كل مملكة وما هو مضاف إليها من المدن والقلاع والرساتيق .

والسادس في مراكز البريد والحمام ومرآ كز هجن الثلج والمراكب

المسفرة به في البحر والمناورة والمحركات .

والسابع في أوصاف ما تدعو الحاجة إلى وصفه .

ويحوى هذا الكتاب وصفا لدولة المماليك والدول التي كانت تربطها بها

علاقات سياسية . وأورد فيه كثيراً من المعلومات الهامة عن نظم الحكم في

دولة المماليك ، وأتى بكثير من الوثائق التي نقلها عن الوصايا التي تكتب إلى

كبار رجال الحاشية السلطانية وكبار الموظفين الإداريين في العصر المملوكي .

ومن قراءة هذه الوثائق تتبين شيئاً كثيراً عن طبيعة وظائفهم وكيف كانوا

يقومون بتأديتها .

غير أنه يجب أن نلاحظ أن أمثال النويرى وابن فضل الله العمري

والققلشندي لم يكونوا في الواقع مؤرخين وإنما كانوا أدباء دونوا مادونوه

كموسوعات لا تخصص فيها ونقلوا بها كل ما يتعلق بخطط مصر عن تقدمهم

من المؤرخين الذين عنوا باستقصاء الخطط والتواريخ كابن عبد الحكم وابن

زولاق والقضاعي وغيرهم . ومؤلفات ابن فضل الله العمري غنية في مادتها .

٣٢ - الكتبي (٥٧٦٤ = ١٣٦٢ - ١٣٦٣ م)

صلاح الدين محمد بن شاكر بن احمد الحلبي

١ - « فوات الوفيات »

(جزءان - بولاق ١٢٩٩ م)

وهو ذيل أو تمة لكتاب « وفيات الأعيان » لابن خلسكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ ، ورتبه على حروف المعجم . وقد عقد ابن شاكر الكتبي موازنة بين كتابه وكتاب ابن خلسكان ، فقال : « لما وقفت على كتاب وفيات الأعيان وجدته من أحسنها وضعاً ، لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن الكثيرة . غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، ورأيت أنه قد أخل بتراجم فضلاء زمانه وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم ذلك ذهول عنهم أو لم يقع له ترجمة أحد منهم . فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكر من الأئمة الخلفاء والسادة الفضلاء ، وأذيل من وفاته إلى الآن » (١)

ب - « عيون التواريخ »

وهو مخطوط بدار الكتب الملكية المصرية بالقاهرة

وهو مرتب على السنين ويبدأ من مولد النبي عليه السلام ، ويتكلم على الخلفاء الراشدين ، وجمهور الصحابة والتابعين ، وتراجم رجال الحديث النبوي ومراتب رواته وطبقاتهم ، وتراجم الصالحين والزهاد والأعيان والشجعان والكرماء والأدباء والشعراء والمغنين ، وينتهي بسنة ٥٧٦٠ هـ .

(١) مقدمة الكتبي : وفيات الوفيات ص ١

الباب الثامن

مصادر الأقدمين المخطوطة والمنشورة

في القرن التاسع الهجرى^(١)

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

ابن خلدون - ابن دقماق - القلقشندي - المقرئزي - ابن حجر
العسقلاني - ابن الجيعان - العيني - خليل بن شاهين الظاهري -
أبو المحاسن - السخاوي - السيوطي - ابن إياس - الخالدي -

حفل القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) بأعلام مؤرخى
مصر فى العصور الوسطى . وكان لكل منهم القدر المعلى فى إظهار معالم التاريخ
المصرى الوسيط ، فبسطوا أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية
فى إسهاب ووضوح ، بما كان له أعظم الأثر فى جلاء تاريخ مصر فى تلك الفترة
الزاهرة من تاريخها .

(١) تناولت هذا الباب من ناحية بيان قيمة المصادر التى ظهرت فى هذا القرن ،
ومثيلاتها فى العصر الحديث ، دون تناول تاريخ حياة مؤلفيها ، إلا بالقدر الذى يوضح
بيئتهم وما كان لها من أثر فى تدرجهم العلمى .

١ - ابن خلدون (٥٨٠٦ هـ = ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م) :

قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر

(١) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١١٠٠ م)

(ب) العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ،
ومن عاصرهم من ذوى النفوذ الأكبر ، المعروف باسم تاريخ «ابن خلدون» .

وهو مؤرخ فيلسوف ، يرجع إليه الفضل في وضع قواعد علم العمران
أو علم الاجتماع ، وظل طول حياته يشرح أصول الأخلاق ويهdy الناس
إلى سواء السبيل ، وله أسلوبان ، كل له نعتة الخاص : أسلوب ردىء لازمه
في كتابه «المقدمة» تأثر فيه بحالة اللغة العربية في تونس والجزائر ومراكش
والأندلس ، وأسلوب جيد لازمه في مصر بعد أن تعلم وعلم في الأزهر الشريف
وبعد رحلته إلى شبه جزيرة العرب .

كتب ابن خلدون مقدمته في فضل علم التاريخ ، وتحقيق مذاهبه ، والإشارة
إلى أخطاء المؤرخين^(١) . وتعد «المقدمة» أهم كتبه ، ترجمت إلى اللغة التركية مرتين .
الأولى قام بها محمد صاحب بيري في سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣١ م) وطبعت في القاهرة
في سنة ١٢٧٥ هـ ، والثانية بقلم الصدر الأعظم جودت باشا مؤرخ الدولة
العثمانية وطبعت في الآستانة سنة ١٣٧٧ هـ . وترجمت مقدمة ابن خلدون إلى

(١) حذر ابن خلدون الكتاب من الوقوع تحت تأثير النقل عن الأقدمين ،
دون مراعاة أصول البحث التاريخي .

اللغة الفرنسية على يد البارون ده سلار أو دى سلين . وهذه التراجم محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، كما تحفظ بها أيضاً نسخة المقدمة التي صححها ابن خلدون بنفسه وكتب على كل صفحة من صفحاتها ما يفيد ذلك ، وتوجد طرتها بتوقيعه بيده ، وهي منقولة بالفتوغرافيا عن خزانة عاطف أفندي بالقسطنطينية . وتوجد في مدينة فاس نسخة من المقدمة عليها خط ابن خلدون^(١) أما كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، فتناول فيه الكلام على الملك والسلطان والصنائع والعلوم ، وهو ما تعرض له في المقدمة ثم تكلم عن تاريخ العرب منذ بدء الخليفة إلى عصره وعمن عاصره من الأمم الشهيرة مثل السريانيين والفرس وبني اسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والأفرنج والبربر ، وتحفظ بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من « العبر » أو « تاريخ خلدون » وعليها حواشي بخط الشيخ العطار .

وقد وضع الأستاذ الدكتور طه حسين بك كتاباً باللغة الفرنسية عن ابن خلدون سماه « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » ، ونقله إلى اللغة العربية الأستاذ محمد عبد الله عنان (القاهرة ١٩٢٥) .

وتوفي ابن خلدون في ٢٩ رمضان سنة ٨٠٦ هـ (١٩ مارس ١٤٠٦ م) ودفن في مقابر الصوفية عند باب النصر في القاهرة ، على مارواه السخاوى صاحب كتاب « الضوء اللامع » ،

(١) وصف المقرئى مقدمة ابن خلدون بأنها : « لم يعمل مثلها ، وإنه لعزير أن ينال مجتهد منالها ، إذ هي زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة العقول السليمة والفهوم » ، توقف على كنه الأشياء ، وتعرف حقيقة الحوادث والأبناء ، وتعبير عن حال الوجود ، وتنبئ عن أصل كل موجود » . وقد أشار الدكتور زيادة إلى « ما كان من عظيم الصلة والصدقة بين المقرئى وابن خلدون » . راجع كتابه : المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادى ص ١٥ .

٢ - ابن رصفان (٨٠٩ هـ = ٤٠٦ - ٤٠٧ م) :

صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيد مر العلاء القاهري الحنفي

(أ) الانتصار ، لواسطة عقد الأمصار

(ب) الجوهري الثمين ، في سير الملوك والسلاطين

(ج) نزهة الأنام ، في تاريخ الإسلام .

وكتاب « الانتصار » عشرة أجزاء (القاهرة ١٣٠٩ هـ) . لم يظهر إلا
الجزءان الرابع والخامس من مجموع أجزاء هذا الكتاب ، وفيهما يتكلم عن
خطط الفسطاط والاسكندرية . ويتضمن معلومات لم يذكرها المقرئ في
خطه ، ولكنه لا يتضمن كثيراً عن خطط القاهرة ، وفي هذا الكتاب ذكر
ابن دقماق مدن الوجه البحري والوجه القبلي وكورهما وأعمالهما ومساحتهما
وما في كل منها من غريب التحف والطرف ، ورتب بلاد كل كورة على
حروف المعجم .

أما الكتابان الآخران ، فكلاهما مرتب حسب السنين ، وموجودان في
دار الكتب المصرية بالقاهرة : نسخة خطية من كل ، نقلت عن مخطوط
بالمكتبة الأهلية في باريس .

٣ - القلقشندي (٥٨٢١ = ١٤٧١ م) :

الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن
الجمال بن أبي اليمن

(١) «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» ١٤ جزءاً (القاهرة ١٩١٣-١٩١٧)
(ب) «ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المشمر» جزءان - الموجود والمطبوع
منه جزء واحد .

ولد القلقشندي سنة ٧٥٦ هـ ببلدة قلقشندة من أعمال مديرية القليوبية ،
وتوجه إلى ثغر الإسكندرية ، وأقام به مدة ، وطلب العلوم الشرعية على مشهورى
العلباء فى عصره ، واشتغل بالأدب العربى ، وقرأ كثيراً من الكتب والأسفار
فى مختلف العلوم والفنون ، والتحق فى سنة ٧٨٩ هـ بديوان الإنشاء فى أوائل
عهد السلطان برقوق من سلاطين المماليك البرجية (١) .

كتب عنه المؤرخ السخاوى فقال : « هو أحمد بن علي بن أحمد بن عبد
الله الشهاب بن الجمال بن أبي اليمن القلقشندي ، ثم القاهري الشافعي ، ولد
سنة ٧٥٦ هـ ، واشتغل بالفقه والأدب وغيره ، وسمع على ابن الشيخه وكان
أحد الفضلاء ممن برع فى الفقه والأدب وغيرهما ، وكتب فى الإنشاء وناب
فى الحكم ... وعرف نسبه يمتد إلى أصل من الأصول العربية التى دخلت مصر
أيام الفتح الإسلامى وبعده ، فهو من بنى بدر بن عدى بن قزارة ، (٢) .

وضع القلقشندي عدداً من المؤلفات ، من بينها كتاب فى الفقه يعرف
باسم «الغيوث الهوامع فى شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع» ،
ووضع فى التاريخ كتاب «قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان» ،

(١) تجد تاريخ حياة القلقشندي فى افتتاحية «صبح الأعشى» ج ١٤ ص ٨-٢٠

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ج ١

و «نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب» وهو الكتاب الموجود الآن بدار الكتب .
على أن أهم مؤلفات القلقشندي هو كتابه «صبح الأعشى في صناعة
الإنشاء» ، الذي فرغ من تأليفه سنة ٨١٤ هـ وجاء في أربعة عشر جزءاً ،
وطبعته دار الكتب المصرية (١٩١٣ - ١٩١٧) . وقد جاء سبب تأليفه هذا
الكتاب في مقدمة كتاب «ضوء الصبح المسفر» في هذه العبارة : « إنه
لما لحق بديوان الإنشاء أنشأ مقامة بناها على أنه لا بد للإنسان من حرفة يتكسب
بها وأن أليق صناعة بأهل العلم الكتابة ، وأن أفضل الكتابة كتابة الإنشاء ،
وأنه جمع في تلك المقامة من أصول هذه الصناعة وقوانينها ما لم تتسع له بطون
المؤلفات الكبار في هذا الباب ، ثم سئل أن يشرحها فكان شرحها في صبح
الأعشى» (١) .

ومن أهم الموضوعات التي أفاض القلقشندي القول فيها «ديوان الإنشاء»
فقد تكلم عن الأدوار التي مر بها هذا الديوان منذ عهد النبي صلى الله عليه
وسلم حتى دولة المماليك إلى زمنه (٨٢١ هـ) ، وأفرد لذلك الجزء من الأول
والثاني . وذلك من حيث العناية بأمر هذا الديوان وبيان الصفات التي يجب
أن تتوافر في صاحبه والمهام التي كان يضطلع بها كما تكلم على معاونيه بما لم يترك
هناك زيادة لمستزيد . ويلاحظ أن مادونه القلقشندي عن ديوان الإنشاء
وما أثبتته ابن ممتي في «قوانين الدواوين» ، والخالدي في «المقصد الرفيع المنشا
الهادي لديوان الإنشاء» و خليل بن شاهين الظاهري في «زبدة كشف الممالك
وبيان الطرق والمسالك» . كل ذلك يسهل مهمة التعرض لشرح خصائص
هذا الديوان .

(١) مقدمة كتاب «ضوء الصبح المسفر» ص د ، وهو الكتاب الذي وضعه
القلقشندي كمختصر لموسوعته «صبح الأعشى» . ويظهر أنه وضعه في جزئين ،
ولكن ظهر منه الجزء الأول ، ولم يعثر للآن على الجزء الثاني .

وفي الجزء الثالث كلام مسهب عن الفاطميين ومذهبهم ومواسمهم وأعيادهم ومواكبهم وعاداتهم ونظم الحكيم عندهم . كما يمدنا بمعلومات هامة عن الوظائف والموظفين ، والطبقات التي كان يتكون منها الجيش ، وعن نظام البريد ، والقضاء ، ومظاهر الأبهة والجلال التي أحاط بها خلفاء الفاطميين أنفسهم .

وأوضح في الجزء الرابع اختصاصات موظفي البلاط السلطاني ، والحاشية السلطانية ، والموظفين الإداريين في دولة المماليك .

وأثر هذا المؤلف واضح فيما أورده من الوثائق التي توضح كيف كان يقلد كبار الموظفين ووظائفهم ، وما دونه من الكتب والرسائل التي تبودلت بين أمراء مصر وخلفائها وسلاطينها وبين غيرهم من الأمراء والملوك . ولا سيما أنه استمد مادته من مصادر عاش مؤلفوها في العصر الذي كتبوا فيه مما يرفع من شأنها في تحقيق النظم السياسية والإدارية والمالية والحربية والقضائية . وليس من اليسير الاهتداء إلى تلك الوثائق ، لعدم اهتمام القلقشندي بوضع عناوين تسهل مهمة الباحث في الكشف عن هذه الوثائق وما تشتمل عليه من الموضوعات . وتقع معظم هذه الرسائل في الجزأين السابع والثامن من صبح الأعشى . ولمعلوماته أهمية خاصة لأنها مستمدة من كتب آلت إلى الضياع . ويمتاز أسلوبه بشيء كثير من الوضوح والدقة والإتقان وحسن التنسيق . ويجب أن يلاحظ أن القلقشندي لم يكن مؤرخاً بالمعنى المفهوم من هذا الوصف ، ولكنه كان أديباً دون مادونه في صبح الأعشى على اعتبار أنه موسوعة لا تخصص فيها ، وكتابه من أهم المصادر في دراسة تاريخها مصر الإسلامية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية .

ومما هو جدير بالملاحظة أن من يريد دراسة ما كتبه القلقشندي في « صبح الأعشى » دراسة واسعة ويتفهم ما فيه ، لا بد أن يبدأ بقراءة كتابه « ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر » الذي لا بد أن يكون قد راعى

في وضعه أن يعطى القارىء صورة مختصرة لما أورده بإسهاب في « صبح
الأعشى ». وهذا الكتاب الأخير طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م)
ويقع في ٤٨٢ صفحة . ويلاحظ أن هذا الكتاب كان النهاية الصغرى في المعرفة
لكتاب صبح الأعشى ويعطى صورة لما كان عليه الأمر في دولة المماليك
زمن القلقشندي

وبما يدل على قيمة ما كتبه القلقشندي أن ثلاثة من كبار المؤرخين
الأجانب ، عمدوا إلى ترجمة أجزاء مما أورده في صبح الأعشى :

Gaudefroy - Demombynes

١ - جودفروي ديمبين

في كتابه « La Syrie A L'Epoque des Mamelouks d'après les
Auteurs Arabes » (Paris, 1923) .

ترجم ما ورد في الجزء الرابع من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي خاصا
بنيابات الشام . وصدره بمقدمة تاريخية وافية ، بلغت المائة صفحة ، بين فيها نظام
الحكم عند المماليك ، وتكلم على الوظائف الإدارية والمالية والقضائية وعلى
موظفي الحاشية والبلاط السلطاني ، ثم أفاض في الكلام على الإقطاعات
وتطوراتها في العصور المختلفة . وذيل المؤلف جميع ما كتبه بقلبه وما ترجمه
عن القلقشندي بجواش جديدة بعناية الباحثين في نظم الحكم أيام المماليك .
وهو موجود بمكتبة جامعة فؤاد الأول تحت رقم ١٦٢٣٥ .

وقد وصف المؤلف كتابه بأنه : وصف جغرافي ، اقتصادي ، إداري ،
تسبقه مقدمة عن التنظيم الحكومي .

Description Géographiques, Economiques et Administrative précédé
d'une Introduction sur L'organisation Gouvernementale.

ونسب إلى فان برشم فضل تشجيعه على إخراج هذه الترجمة ، ومدته بنصائح ،

فقال في مقدمته :

En Commencant cette Contribution a l'étude de La Syrie, J'y avit été encouragé par Van Berchem, et Je comptais sur ses conseils pour la mise en oeuvre des documents qu'elle contient.

ويحوى هذا الكتاب :

- A— Preface : pp. III — XVIII. (20 pages)
B— Introduction : pp. XIX — CXIX. (101 pages)
C— La Syrie : pp. 1 — 238.
D— Le Berid : pp. 239 — 26.

Michel Bernard

٢ — ميشيل برنارد

ترجم ما ورد في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي عن موارد الدولة المالية في مصر والإقطاعات ، وأشار المؤلف إلى ذلك في مقدمة كتابه المسمى

L'Organisation Financière de L'Egypte Sous les Sultans Mamlouks d'après qalqachandi (Le Caire, 1925)
(Extrait de Bulletin de L'institut d'Egypte, t. VII. Session 1924 — 1925)

Wiistenfeld, F. Von

٣ — وستنفلد

في كتابه (Geschichte der Fatimiden Chalifen (Gottingen, 1881)

اقتصر فيما كتبه على النظام الإداري والحربي في مصر في عصر الفاطميين على ترجمة ما في كتاب « صبح الأعشى » للقلقشندي ، خاصاً بهذين الموضوعين . ووقعت هذه الترجمة في كتابه ما بين صفحة ١١٧ و صفحة ٢٢٢ . وبهذه المناسبة ، نذكر أن ما كتبه في هذا الكتاب عن نسب الفاطميين ، يعد من أمتع ما كتب .

وتوفي القلقشندي في ليلة السبت ١٠ جمادى الآخرة سنة ٨٢١ هـ عن

خمس وستين سنة . (١)

٤ — المقرئزى (١) (٨٤٥ — ١٤٤١ م) :

تقى الدين ابو العباس احمد بن على بن عبد القادر الحسينى .

(ا) المواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار .

(ب) جواهر الأسفاط ، فى أخبار مدينة الفسطاط .

(ح) اتعاظ الحنفا ، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء .

(د) السلوك ، لمعرفة دول الملوك .

(هـ) التاريخ الكبير المقفى .

(و) إغاثة الأمة ، بكشف الغمة .

* * *

١ — وضع المقرئزى كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وهو المعروف باسم « الخطط » . بدأه بذكر الأرض ، ثم تكلم عن موضع مصر من الأقاليم وحدودها وجهاتها وبحارها وجبالها وأنهارها ، ووصف المدن المصرية مثل الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد وأسوان والفيوم ، والآثار المصرية القديمة والوسيطه ، وعن بدراسة تاريخ مصر السياسى والاقتصادى والفكرى والنظم الحكومية والمذاهب الدينية ، وسير الولاة والخلفاء والسلاطين ، وأحوال مصر الاجتماعية إذ تكلم عن المواسم والمواكب والملابس .

وكتاب « الخطط » مطبوع فى المطبعة الأميرية ببولاق . وهذه الطبعة — على ماورد فيها من أخطاء — أهم بكثير من الطبعة التى طبعتها مطبعة النيل ،

(١) سمي بهذا الإسم لأن جده لأبيه يكنى بالمقرئزى ، نسبة إلى مقرئز من أعمال

بعلبك فى سورية .

وجاءت في أربعة أجزاء . ولذا أشير على الباحث باستخدام طبعة بولاق .

ونظراً لأهمية « الخطط » تصدى بعض كتاب القرن الحادى عشر الهجرى لاختصارها ، فقد اختصرها « احمد الحنفى البوح » فى مجلد واحد يقع فى ١٢٤ صفحة ، لا يوجد فى دار الكتب المصرية ، ولكن توجد نسخة خطية منه فى ليدن بهولندا وفى نسخة ثانية فى باريس ، وأطلق عليها اسم « الروضة البهية تلخيص كتاب المواعظ والاعتبار المقريزية » وهى تلخص نحو ربع كتاب « الخطط » . ولخصها أيضاً أحد كتاب ذلك القرن ، شمس الدين محمد بن أبى السرور البكرى الصديقى ، المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ ، فى مجلد واحد ، يقع فى نحو ثلاثمائة صحيفة ، وأطلق عليه « قطف الأزهار من الخطط والآثار » ، وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٤٥٧ جغرافية .

وسار رافيس Paul Ravisse على هدى خطط المقريزى فى بحثه الذى وضعه بعنوان :

Essai sur l'Histoire, la Topographie du Caire d'après Makrizi
(Memoires publiés par les membres de la Mission Archeologie
Francaise au Caire, Tome III — Paris, 1887) .

Gaston Wiet وانشر جاستون فيسيت :

جانباً من الجزء الأول من خطط المقريزى (طبعة بولاق) فى أربعة مجلدات فى المعهد الفرنسى للعاديات الشرقية فى القاهرة (١٩١١ - ١٩٢٤ م) . غير أنه لم يتم منه إلا ما يوازى ربع هذا الجزء .

ومن الخطط التى ظهرت حديثاً :

« الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة »
وضعها على مبارك باشا (بن سليمان بن ابراهيم الروحى) المولود فى مدينة
برنبال سنة ١٢٣٩ هـ والمتوفى سنة ١٣١١ هـ . تناول فيها الكلام على موضع

القاهرة قبل وصول جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذي
تم على يده فتح مصر وتحويلها من ولاية إخشيدية خاضعة للخلافة العباسية
إلى خلافة فاطمية مستقلة ، ثم تناول ما طرأ على القاهرة من التغيرات والتقلبات
بتوالي العصور . وتكلم على تاريخ الدول التي حكمت مصر منذ عصر الفاطميين
مفصلاً الكلام على مدينة القاهرة وما بها من المساجد والمدارس والشوارع
والحارات والأزقة والدروب ، وعلى مدينة الإسكندرية وحوادثها الخاصة
بها وحالتها في الأزمان السابقة وفي عصر المؤلف . ورتب البلاد والقرى على
حروف المعجم ، وطبعت « الخطط التوفيقية » (بولاق ١٣٠٦ هـ) ، فجاءت
في عشرين جزءاً ، في خمسة مجلدات ، تبلغ نحو ألفي صفحة .

ووضع محمد كرد علي « خطط الشام »

وهو كتاب تاريخي جغرافي ، جاء في ثلاثة أقسام :

الأول - في التاريخ السياسي إلى سنة ١٣٤٣ هـ .

والثاني - في التاريخ المدني .

والثالث - معجم في وصف البلدان والقرى والجبال والأودية .

وقد ذكر حاجي خليفة (١٠٦٧ - ١٦٥٧ هـ) جميع الكتب التي ألفت

عن خطط مصر . بالإضافة إلى تاريخها في كتابه :

« كشف الظنون ، عن أسامي الكتب والفنون »

(طبع النسخة العربية ، وترجمها إلى اللغة الألمانية ج. فلوجل G. Flugel -

ليبسك ولندن ١٧٣٥ - ١٨٥٨ م) .

* * *

٢ - ويشمل كتاب « جواهر الأسفاط ، في أخبار مدينة الفسطاط » ،

تاريخ مصر منذ الفتح العربي سنة ٢٠ هـ إلى سقوط الإخشيديين سنة ٣٥٨ هـ

وهو لا يزال مخطوطاً .

٣ - أما كتاب « اتعاظ الخنفا » للمقریزی ، فهو تاريخ العصر الفاطمي بأمله . على أنه لم يظهر منه إلا الجزء الخاص بالدولة الفاطمية منذ نشأتها في المغرب إلى عصر المعز لدين الله ، أما الأجزاء الأخرى فقد ضاعت . وبذا يكون ما وصلنا من هذا الكتاب هو قسم صغير من الكتاب الأصلي .

بدأ المقریزی كتابه بذكر ثبت كامل واف لأولاد علي بن أبي طالب من نسل الحسن والحسين ، وعرض لمشكلة النسب الفاطمي التي عدت من أعقد المشاكل في تاريخ العصور الوسطى ، وأرخ بعد هذا لقيام الدولة الفاطمية في المغرب ، وجهود الدعاة الأوائل ، ورحلة أبي عبد الله الشيعي من اليمن إلى المغرب ، وانتقال عميد الله المهدي من سلمية بالشام إلى المغرب ، وتناول تاريخ حياة الخلفاء الفاطميين الأربعة الذين حكموا في المغرب ، وتحدث بعد هذا عن الفتح الفاطمي لمصر ، وتأسيس مدينة القاهرة ، وخطر القرامطة وتهديدهم الديار المصرية . وكان المقریزی ينتسب إلى الفاطميين فهو من أحفادهم ، وذلك من العوامل التي دفعته إلى الكتابة عنهم والإشادة بذكورهم وتمجيد أعمالهم والاهتمام الكبير بتاريخهم . وقد قام الدكتور جمال الدين الشيبان بنشر هذا المخطوط والتعليق عليه (القاهرة ١٩٤٨ م) .

ويمثل كتاب « اتعاظ الخنفا » ، من حيث ما تعرضت له من مواضيع في تاريخ الفاطميين (١) ، الكتب التي وضعها الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن ، وهي :

١ - الفاطميون في مصر ، وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص (القاهرة ١٩٣٢ م) . ويقع في ٣٦٧ صفحة . ويبحث في أسباب قيام الدولة

(١) وضع المؤلف كتاب « تاريخ جوهر الصقلي » (القاهرة ١٩٣٣)

الدولة الفاطمية ، وأعمالها السياسية والدينية ، والدعوة الفاطمية .

٢ — عميد الله المهدي (القاهرة ١٩٤٧م) بالاشتراك مع الدكتور طه شرف

٣ — المعز لدين الله الفاطمي (القاهرة ١٩٤٨م) بالاشتراك مع الدكتور طه شرف .

وهناك مؤلفات ، في تاريخ الفاطميين ، وضعها عدد من أعلام المستشرقين .
وهاك أهمها ، مرتبة على حروف المعجم بالنسبة لأسماء المؤلفين .

Etienne Quatremère

١ — اتين كاترمير

Memoires Historiques sur La Dynastie des Khalifes Fatimites
(Journal Asiatiques — Aout, 1836).

Bernrad Lewis

٣ — برنارد لويس

The Origins of Isma' 'illism .

Guyard

٣ — جويار

Fragments Relatifs à La Doctrine des Ismaélis (Paris, 1874).

De Sacy

٤ — دي ساسي

Exposé de La Religion des Druges, précédé d'une Introduction
et de La Vie du Khalife Hakem-Biamr-Allah (2 Vols. - Paris,
1828) .

DGejie

٥ — دي غوية

Memoires Sur Les Carmathes du Bahrain et les Fatimides,
1833).

De Lacy

٦ — دي ليسي

A Short History of the Fatimid Khalifate (London, 1934).

Mann

٧ — مان

The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs
(Oxford, 1920).

Nicholson

٨ - نيكلسون

An Account of the Establishment of the Fatemite Dynasty in Africa (Tubingen, 1840).

٤ - ويحوى (كتاب السلوك) تاريخاً مفصلاً لدولتي الأيوبيين والمماليك في مصر، منذ سنة ٥٧٧ هـ إلى سنة ٨٤٤ هـ، كتبه بطريقة « السنويات » مثل الطبرى. قام بنشره والتعليق عليه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة، ووصل إلى سنة ٧٤١ هـ وهى سنة وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية. وتوجد بقية المخطوط (الجزء الثالث) الذى يبدأ من سنة ٧٤٢ هـ حتى سنة ٨٤٤ هـ بدار الكتب المصرية برقم ٤٥٥.

وقد ذكر المقرئى فى مقدمة كتاب « السلوك » أنه ألفه « ليكون تاريخاً لمن ملك مصر بعد الفاطميين (١) من الملوك الأكراد والأيوبيين والسلاطين والمماليك التركية والبرجية، فى كتاب يحصر أخبارهم الشائعة، ويستقصى أعلامهم الذائعة، ويحوى أكثر ما فى أيامهم من الحوادث والماجريات، غير معتن فيه بالتراجم والوفيات، لأنى أفردت لها تأليفاً بديع المثال، بعيد المثال، فألفت هذا الديوان، وسلكت فيه التوسط بين الإكثار الممل والاختصار المخل ».

(١) يلاحظ أن المقرئى قد وضع تاريخ مصر من الفتح العربى إلى سقوط الإخشيديين فى كتابه « عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة القسطنطينية »، كما وضع تاريخ مصر فى عصر الفاطميين فى كتابه « اعجاز الحنفا »، وأكمل تاريخ مصر فى العصور الوسطى بكتابة تاريخ الأيوبيين والمماليك فى « السلوك ».

Etienne Marc Quatremère

وقام إتين كاترمير

(Membre de La Société Royale d'Apsal)

Histoire des Sultans Mamlouks de L'Egypte, 2 Vols.

(Paris 1837 — 1845)

وهو موجود بدار الكتب المصرية (رقم ٣٢٤٥ تاريخ) وعلق عليه

تعليقات فلسفية تاريخية جغرافية ، أو كما وصفها هو :

Notes Philosophiques, Historiques, Geographiques.

ووصل في ترجمته إلى سنة ٧٠٣ هـ .

وعن المصادر التي تناولت عصر الأيوبيين والمماليك (١) ، غير كتاب

السلوك ، أهمها مايلي مرتبة على حروف المعجم بالنسبة لأسماء المؤلفين ،

وسنذكر أسماء المصادر الأفرنجية :

Zetterstéen K.V

١ - زترشتين

« تاريخ سلاطين المماليك »

Beitrag Zur Geschichte der Mamlukensultane (690 — 741

A. H. Leyden, 1919).

وناشره هو زترستين ؛ ولم يعرف اسم مؤلفه بعد .

Atiya, A.S

٢ - عزيز سوريال عطية

(a) The Crusade in the Later Middle Ages (London, 1938)

(b) Egypt and Aragon (Leipzig, 1938) Embassies and
Diplomatic Correspondance between 1300 and 1330 A. D.

Wiet, Gaston

٣ - فيت

(a) Histoire de La Nation Egyptienne, t. IV. (L'Egypte Arabe)

Paris, 1921).

(١) كتب المؤلف عن المماليك في كتابه « دراسات في تاريخ المماليك البحرية »

(القاهرة ١٩٤٤ و ١٩٤٨) في ٤١٦ صفحة .

(b) Précis de L'Histoire d'Egypte t. II. (L'Egypte Musulmane - Le Caire, 1933).

Lane—Poole, Stanley

٤ — لينبول

(a) The Story of Cairo (London, 1924).

ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الأساتذة الدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور علي ابراهيم حسن والأستاذ ادوارد حلیم .

(b) Egypt in the Middle Ages (London, 1914).

(c) Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem (London 1890)

(d) Cairo Sketches

Muir, William

٥ — ميور

The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt (London, 1896).

٥ - وكتاب « التاريخ الكبير المقفى » عبارة عن تراجم مستوفاة لمشاهير الرجال والنساء من المسلمين والنصارى ، رتبت على حروف المعجم . ويقع فى ستة عشر مجلدا ، توجد فى مكتبات أوروبا ، وعلى الأخص فى مكتبة المتحف البريطانى فى لندن وفى المكتبة الأهلية فى باريس برقم ٢١٤٤ وفى مكتبة الجامعة ببولندا برقم ٢٣٦٦ . وأكثر هذه الأجزاء موجودة فى مكتبة القسطنطينية ، ويوجد جزء واحد أو جزءين منه فى المكتبة الملكية بالقاهرة . وما هو جدير بالذكر أن المقرئ قد مات قبل أن يتم هذا الكتاب .

٦ - ويتناول كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، تاريخ المجاعات التى نزلت بمصر منذ أقدم العصور إلى سنة ٨٠٨ هـ وهى السنة التى وضع فيها المقرئ كتابه هذا . وعنى مؤلفه باستقصاء الناحية الاقتصادية والاجتماعية من تاريخ مصر فى ذلك العصر . وقد قام بنشر هذا المخطوط والتعليق عليه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيبالى . ويقع فى ٩٢ صحيفة (القاهرة ١٩٤٠ م) .

٥ - ابن حجر العسقلاني^(١) (٨٥٢ هـ = ١٤٤٩ م) :

القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد

(١) رفع الإصر (٢) ، عن قضاة مصر .

(ب) الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة .

(ج) أنباء الغمر ، بأبناء العمر .

وكتابه « رفع الإصر » ، من أهم الكتب التي ظهرت في العصور الوسطى ، وهو يقع في ٢٨٦ صحيفة ، ترجم فيه مؤلفه لبعض قضاة مصر الإسلامية ، ترجمة كشفت عن كثير من نواحي النظام القضائي في مصر في العصور الوسطى . كتب ابن حجر كتابه بخطه ، وسار في إيراد أسماء القضاة وترجمة حياتهم على حسب حروف المعجم ، لا على حسب سنة تولية كل منهم منصبه أو عزله عنه أو وفاته . وقد أخذ أكثر معلوماته من مصدرين : كتاب القضاة والولاية لأبي عمر الكندي ، وتاريخ قضاة مصر لابن زولاق . وورد في كتاب « رفع الإصر » أسماء قضاة مصر الشرعيين منذ فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ إلى آخر المائة الثامنة ، موضحا نسب كل منهم ومولده ومذهبه وتاريخ توليته وتاريخ عزله أو وفاته . ولهذا الكتاب تسكيلة ألفها السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ، وأسمائها « الذيل المتناهي » .

وسبق ابن حجر في بحث النظام القضائي في مصر :

تاج الدين السبكي (المتوفى سنة ٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) في كتابه : « معيد النعم ومبيد النقم » و « طبقات الشافعة الكبرى » . وجاراه ابن حجر الهيثمي

(١) اكتسب هذا اللقب ، لأن موطنه الأصلي « عسقلان »

(٢) الإصر : الذنب .

(المتوفى سنة ٩٧٤ هـ = ١٥٦٦ م) في كتابه « الفتاوى الكبرى الفقهية » .
وجاراهم في العصر الحديث في دراسة نظام القضاء في مصر : محمود محمد
عرنوس في كتابه « تاريخ القضاء في الإسلام » (القاهرة ١٩٣٤) .

ولابن حجر كتابه المعروف باسم « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة »
الذي يماثل الكتاب الذي وضعه السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ بعنوان « الضوء
اللامع لأهل القرن التاسع » ، إلا أنه يحوى من عاش من أعيان مصر بعد
ابن حجر . وقد ضمن ابن حجر كتابه تراجم من كان في المائة الثامنة من سنة
٧٠١ هـ إلى آخر سنة ٨٠٠ هـ من الملوك والأمراء والوزراء والكتاب
والشعراء ، ورتبها على حروف المعجم . وهناك كتاب وضعه مؤلف ، لم
يعرف اسمه ، اختصر فيه « الدرر الكامنة » لابن حجر ، وأسماه « المنتخب
من الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة » .

أما « أنباء الغمر ، في أنباء العمر » لابن حجر ، فهو من أهم المراجع
الأصلية لعصره ، فقد جمع فيه الحوادث التي أدركها منذ ولد (سنة ٧٣٣ هـ)
وأورد في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان ورواة الحديث ، وانتهى
المؤلف في كتابه إلى سنة ٨٥٠ هـ ، ويقع في مجلدين ، وهو مخطوط بدار
الكتب المصرية .

وقد وضع عبد الله بن زكريا بن خليل الدمشقي كتاب « جمال الدرر ،
من ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » وجاء في عشرة أبواب ، تناول فيها نسب
ابن حجر ومولده ووظائفه ونظمه ونثره والشيوخ الذين درس عليهم ، وفرغ
من تأليفه سنة ١١٦٠ هـ . واختصره من كتاب « تناسق الدرر » ، في ترجمة
شيخ الإسلام ابن حجر ، الذي ألفه المؤرخ السخاوي . ولا يزال مخطوطاً
بالمكتبة الملكية بالقاهرة .

٦ - العيني^(١) (٨٥٥ هـ = ١٤٥١ م) :

بدر الدين محمود

« عقد الجمان ، في تاريخ أهل الزمان » .

وهو يعد من أهم ما كتب في التاريخ ، ويقع في ٢٣ جزءاً ، في ٦٩ مجلد ، محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ معارف . وللأسف لم تنشر إلى الآن رغم قيمتها التاريخية .

وينقل مؤلف هذا الكتاب كثيراً عن بيبرس الدوادار صاحب كتاب « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » . ويحوى « عقد الجمان » تاريخ العالم الإسلامي من مبدأ الخليفة إلى سنة ٨٠٥ هـ ، وسير الأنبياء والرسل وما حدث في أيامهم وخاصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن حكم بعده من الخلفاء والملوك مع مقدمة عن أصل التاريخ وسبب وضعه ، ورتبه من بعد الهجرة على السنين الهجرية .

وما يذكر عن العيني أنه لم يكن على وفاق مع كبار مؤرخي عصره لحسد هم إياه على ما بلغه من مكانة سامية وحظوة لدى سلاطين المماليك ، فقد كان يقرأ بين حين وآخر على السلطان برسباي ، من سلاطين المماليك البرجية ، من كتابه « عقد الجمان » باللغة العربية وترجمته بالتركية لتمكنه من تلك اللغة .

(١) ولد العيني في الشام ، وجاء إلى مصر وعين في أوائل القرن التاسع الهجري محتسباً للقاهرة والوجه البحري .

٧ — ابن الجيهان (٨٥٥ هـ = ١٤٥١ م) :

الشيخ الإمام شرف الدين يحيى علم الدين شاكر بن المقر .
« التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية »
(باريس ١٨١٠ وبولاق ١٨٩٨ م)

بآخرها ثلاث فهارس بأسماء البلاد والأعلام والمساجد والمدارس
والأضرحة والأبراج — مرتبة على حروف الهجاء .

وهو عبارة عن ثبت بالأقاليم المصرية ومواضعها وأنواع أراضيها من رزق
وأحباس وغيرها ، وفيه ذكر أسماء البلدان وعبرة^(١) كل بلد ومساحتها بالفدان
مرتبة على حروف الهجاء ، وذلك حتى سنة ٧٧٧ هـ أي إلى أواخر عهد السلطان
الأشرف شعبان بن الناصر محمد . ويعد هذا الكتاب أوفى مصدر في هذا
الموضوع ، وكان إحصاء البلاد على هذا النحو آخر حصر رسمي عمل عنها في
عهد دولة المماليك .

وقد مسحت أرض مصر في العصور الوسطى الإسلامية سبع مرات :
الأولى — على يد عبد الملك بن رفاعة عامل الخراج في مصر في خلافة الوليد
ابن عبد الملك الأموي وأخيه سليمان وذلك حول سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) .
والثانية — على يد عبيد الله بن الحبحاب في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي
حول سنة ١١٠ هـ (٧٢٩ م) .
والثالثة — على يد ابن مدبر في خلافة المعتز بالله العباسي حول سنة ٢٥٣ هـ
(٨٦٧ م)

(١) العبرة : كلمة اصلاحية ، معناها مقدار المساحة .

والرابعة - في عهد الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي في عهد الخليفة
الأمير الفاطمي سنة ٥٠١ هـ (١١٠٧ - ١١٠٨ م) .

والخامسة - في عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٧٢ هـ
(١١٧٦ م) ، وهو المعبر عنه في التاريخ باسم « الروك الصلاحي » ، الذي
ظل أمره غامضاً على أغلب الباحثين في مالية مصر ، إذ أنهم لم يتعرضوا له ، حتى
جاء ابن مماتي وزير صلاح الدين ، وكشف أمرهم في كتابه «قوانين الدواوين»
والسادسة - هي الروك (١) الحسامي ، الذي أمر بعمله السلطان حسام
الدين لاجين ، سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) .

والسابعة - هي الروك الناصري ، الذي أمر بعمله السلطان الناصر محمد
ابن قلاوون ، سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) ، وهو الروك الثاني في تاريخ دولة
المماليك ، والأخير في تاريخ مصر في العصور الوسطى .

وكتاب « التحفة السنية » ، لمؤلفه ابن الجيعان مستوفى (رئيس حسابات)
ديوان الجيش في عهد الملك الأشرف قايتباي في سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٧ م)
جامع لأسماء المدن والقرى التي كانت بمصر في ذلك الوقت ، أساسه الروك الناصري .
وقد أحصى الأسعد بن مماتي وزير صلاح الدين يوسف بن أيوب بلاد
القطر المصري التي كانت تعتبر وحدات مالية في ذلك العهد ، وإن لم يكن قد
نص على (عبراتها ومسايجها) ، على نسق ما جاء في كتاب « التحفة السنية »
لابن الجيعان وكتاب « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » لابن دقماق ، نظراً
لأن ابن مماتي - وكان من رجال الدولة المسؤولين - اعتبر أن مثل هذه المعلومات
على حد قوله « من أسرار الدولة التي لا يجوز إذاعتها » .

(١) الروك : هو مسح أرض الزراعة في بلد من البلاد ، لتقدير الخراج المستحق
عليه لبيت المال .

ومن المصادر التي يعتمد عليها في دراسة موارد الدولة المالية في مصر الإسلامية ، ولها من القيمة التاريخية ما لابن الجيعان :

١ - كتاب مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن (الاسكندرية سنة ١٩٣١) لسمو المغفور له الأمير عمر طوسون :

Poliak (A.N.)

- ب

Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon
(1250 -- 1900) - (London, 1939).

ويقع هذا الكتاب في ٨٧ صفحة . وهو من الكتب الطريفة التي ظهرت حديثاً ، وكان لها أثر حسن في بحث نظام الإقطاع ، وتدرج الأمراء في الوظائف ، ويعتبر بحق من أنفس الكتب التي تكلمت عن نظام الإقطاع منذ عصر المماليك إلى العصر الحديث ، فضلاً عن أنه أفاض بوجه خاص في الكلام على دولة المماليك البحرية . ويحوى هذا الكتاب الفصول الآتية :

I . The Feudal Troops of the Mamlouks,	page	1
II . The Mamlouk Fiefs	»	18
III. The Decline of the Military Fiefs	»	32
IV. The Farming of the Crown Domains	»	45
V . Serfdom	»	64
VI. The End of Feudalism		

Poliak :

- >

Les Revoltes Populaires en Egypte a L'Epoque des Mamlouks
et leurs Causes Economiques. Vol. 8 (1934).

Heyd :

- ٤

Histoire du Commerce du Levant an Moyen - Age, Vol. II.
(Leipzig, 1925).

٨ - خليل بن شاهين الظاهري (٨٧٣ هـ = ١٤٦٨ - ١٤٦٩ م)

« زبدة كشف الممالك ، وبيان الطرق والممالك » (باريس ١٨٩١)

ويشتمل هذا الكتاب على اثني عشر فصلا ، في جزء واحد ، تناول فيه الكلام على الوظائف الحربية والإدارية في دولة المماليك ، التي تقلب في مناصبها ، ووصل إلى أعلاها بفضل اتصاله ببيت السلطنة بصلة النسب ، إذ كان حما للسلطان برسباي . وتنقل خلال تقلده الوظائف التي أسندت إليه بين حلب وبيت المقدس ودمشق وبغداد والقاهرة ومكة وطرابلس .

وجاء في هذا الكتاب : « يقول العبد الفقير إلى الله تعالى خليل بن شاهين الظاهري ، لطف الله به ، أني صنفت كتابا وسميته كشف الممالك وبيان الطرق والممالك ، ويشتمل على مجلدين ضخمين ، يشتملان على أربعين بابا ، جملة ذلك ستين كراسا في قطع الكامل ، معتمداً في ذلك ماشاهده العيان ، أو تحقيقته من نقل الثقة الأعيان ، الذين يركن إليهم غاية الإركان ، اطلعت عليه من كتب المتقدمين ، وما وجدته منقولا عن المشايخ المعتمدين ، ثم رأيت ذلك المصنف مطولا ، فانتخبت من ملخصه هذا المجلد ، وسميته زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك ، وجعلته إثني عشر بابا ، واختصر الكلام فيه لكون اشتغالي بغيره من المصنفات » (١) . وكان ذلك في عصر السلطان جقمق .

على أن عيب هذا الكتاب يرجع إلى أن مؤلفه لم يحدد بصفة قاطعة متى استحدث كل من هذه الوظائف ، أكان ذلك في دولة المماليك البحرية أو

(١) خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ٤ .

البرجية . لذلك يجدر بالباحث أن يعتمد إلى مضاهاة ما كتبه ابن شاهين بما ورد في كتب ابن فضل الله العمرى والقلقشندي والمقرئى وغيرهم للاطمئنان إلى صحة ما أورده هذا المؤلف من المعلومات . وهو على كل حال يشير دواما إلى التطور فى الوظائف واختصاصات شاعليها ويوضح ما ليس واضحا من المعلومات التاريخية فى غيره من المصادر ، دون أن يحدد العصر الذى حدث فيه هذا التطور أو زادت فيه تلك الاختصاصات .

أما الأبواب الإثنى عشر التى يشتمل عليها كتاب «زبدة كشف الممالك» فهى :
الأول — فى تشريف ملك مصر على سائر الممالك وما فضلت به مصر على غيرها بكثرة المعابد والمزارات والعجائب والعمارات وترتيب مدنها وقلعها .
الثانى — فى وصف السلطنة الشريفة وما يتحلى به السلطان من الصفات ووصف خواص السلطان .

الثالث — فى وصف أمير المؤمنين وبيان أحواله .

الرابع - فى وصف الصاحب الوزير والدولة الشريفة المباشرين أركانها وما يتعلق بكل ديوان .

الخامس - فى وصف أولاد الملوك ونظام الملك والنواب والأمراء والمقدمين بالديار المصرية .

السادس - فى أرباب الوظائف والأجناد القرانينص والخاصكية .

السابع - فى وصف خدام الستارة والخزانة والسلاح والخواصل الشريفة

الثامن - فى وصف البيوتات والمطابخ والاصطبلات .

التاسع - فى وصف عمارة الجسور وما يحتاج إليه عند فيضان النيل .

العاشر - فى وصف الممالك الاسلاميه الثمانية ووصف المدن والنواب

والقضاة والأمراء والمباشرين وأرباب الوظائف والجند .

الحادى عشر - فى وصف أمراء العربان ومشايخهم وأمراء الأكراد .

الثانى عشر - فى حوادث الدهر وما ورد فيها من الحكايات والنوادر .

٩ - أبو المحاسن (٥٨٧٤ = ١٤٦٩ م) :

جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكي .

(أ) النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة .

(ب) المنهل الصافى ، والمستوفى بعد الوافى .

(ج) حوادث الدهور ، فى مدى الأيام والشهور .

ويعد كتابه « النجوم الزاهرة » من أشهر الكتب ، فهو عبارة عن تاريخ مصر فى العصور الوسطى . تناول فيه المؤلف الكلام عن تاريخ مصر من الفتح العربى سنة ٢٠ هـ حتى سنة ٨٣٣ هـ ، وألفه فى سبعة مجلدات ضخمة ؛ نشرت بعضها دار الكتب المصرية (القاهرة ١٩٣٠ - ١٩٤٠) فى تسعة أجزاء ، ووصلت إلى سنة ٧٤١ هـ ، وهى سنة وفاة السلطان الناصر محمد ، أشهر سلاطين المماليك البحرية وبيانها كالآتى :

١ > و ٢ >	عن مصر من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية
٣ > حتى صفحة ٢٣٥	عن الدولة الطولونية .
٣ > من صفحة ٢٣٥	} عن الدولة الإخشيدية
٤ > من ص ١ إلى ص ٢٨	
٤ > من ص ٢٨ إلى آخر الجزء	} عن الدولة الفاطمية
٥ >	
٦ >	عن الدولة الأيوبية
٧ ، ٨ ، ٩ >	عن دولة المماليك من سنة ٦٤٨ إلى سنة ٧٤١ هـ

وقامت جامعة كاليفورنيا فى أمريكا سنة ١٩٣٢ بطبع ما كتبه أبو المحاسن فى كتابه « النجوم الزاهرة » عن تاريخ دولة المماليك من سنة ٧٣٦ هـ إلى ٧٩٢ هـ

إلى سنة ٧٧٨ هـ وذلك بإشراف ولیم پوپر William Popper فحاء في مجلدين:
الجزء الخامس ويشتمل الفصل الأول ويتحدث فيه عن الفترة من سنة ٧٣٦ هـ
إلى سنة ٧٧٨ هـ ويقع في ٢٩٢ صفحة ، ثم الفصل الثاني ويتحدث فيه عن الفترة
من ٧٧٨ هـ إلى ٧٩٢ هـ ويشمل الفترة الواقعة بين سنتي ٧٩٣ هـ ، ٨٧٢ هـ وهي السنة
التي انتهى فيها من تأليف كتابه ، وهو موجود بدارالكتب المصرية برقم ١٣٤٣
وتكلم أبو المحاسن في هذا الكتاب عن الدول الإسلامية وعن الحوادث
الهامة في كل عصر وترجم لولاتها وخلفائها وسلاطينها وحكامها ، واهتم ببحث
منسوب النيل في كل سنة .

وعلى الرغم من أن أبا المحاسن جاء متأخراً ، فإن كتابه « النجوم الزاهرة »
من أمتع الكتب وأنفسها . ولا غرو فقد جمع في كتابه كل ما وصل إلى يده
من المعلومات ، المستقاة من مصادر كثيرة من المؤرخين الذين سبقوه ،
وخاصة المسيحي والقضاعي اللذين ضاعت مؤلفاتهما ، ولولا إشارة أبا المحاسن
إليها لما عرفنا عنها شيئاً . وحوى كتابه هذا معلومات لا توجد إلا فيه ، وهو يعد
من أحسن ما كتب في التاريخ من حيث الترتيب ، والنظام . وفيه جعل أبا المحاسن
عهد كل وال أو خليفة أو سلطان مستقلاً بذاته ، شارحاً أخلاق كل منهم
وأهم الحوادث في عصره وعوامل فشله أو نجاحه وسار في ترتيبه على حسب
السنين ، دون أن يجعل لها عناوين مستقلة .

ووضع أبو المحاسن كتاب « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » الذي
أراد أن يجعله ذيبلاً وتكملة لكتاب « الوافي بالوفيات » لخليل بن أبيك
الصفدي المتوفى في دمشق سنة ٧٦٤ هـ ، الذي جمع فيه تراجم الصحابة والتابعين
والملوك والأمراء والولاة والقضاة والمحدثين واللغويين والشعراء والأطباء
وأصحاب النحل ، ثم اختصر أبو المحاسن هذا المؤلف في كتاب سماه « الدليل

الشافى على المنهل الصافى » وجعل لهذا المختصر مختصراً سماه « مورد اللطافة فى ذكر من ولى السلطنة والخلافة » .

ويقع « المنهل الصافى » فى ثلاثة أجزاء . وهو مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١١١٣ مرتب ترتيباً أبجدياً . ويحوى تراجم للشخصيات البارزة التى ظهرت فى عصر المماليك من سنة ٦٥٠ هـ إلى عصره (٨٧٤ هـ) . ونشر المسيو جاستون فييت Gaston Wiet مدير دار الآثار العربية بالقاهرة هذا المخطوط بعنوان

«Les Biographies du Manhal Safi»

(Memoires presentés a L'Institut d'Egypte, Le Caire, 1932)

ووضع أبو المحاسن كتاب « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » وهو ذيل لكتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزى الذى انتهى فيه إلى وفاته سنة ٨٤٥ هـ . ويحوى هذا الكتاب كثيراً من الحوادث والتراجم والوفيات ، مرتب على حسب السنين والشهور والأيام مبتدئاً من سنة ٨٤٥ هـ إلى وفاة أبى المحاسن سنة ٨٧٤ هـ (١) .

(١) مما يستلفت النظر فى حياة أبى المحاسن ، أنه استطاع « أن يكتب كثيراً فى التاريخ والتراجم ، وأن يبرع فى فنون الفروسية ، من لعب الرمح ورمى النشاب ، وسوق البرجاس ولعب الكرة بالصوالجة ، وأن يحدق علم النغم والضروب والإيقاع وأن ينظم الشعر بالعربية والتركية ، وأن يحج إلى مكة مرتين سنة ١٤٢٢ و١٤٤٥م ، وقام أبو المحاسن فى حجته الثانية بوظيفة باش الحمل المصرى » . الدكتور زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ص ٣١ - ٣٢ .

١٠ - السخاوى (١) (٩٠٢ هـ = ١٤٩٧ م)

الحافظ شمس الدين محمد بن زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن
أبي بكر بن عثمان القاهري الشافعي

(١) التبر المسبوك في ذيل السلوك ، في أربعة أجزاء . وقد جعله ذيلاً
لكتاب « السلوك » للمقرئزي ، وألم فيه بتاريخ مصر من سنة ٨٤٥ هـ إلى
سنة ٨٥٧ هـ وكتب في عهد السلطان الأشرف قايتباي ، وطبع في القاهرة
من نسخة فريدة ناقصة .

(ب) « الإعلان بالتوبيخ ، لمن ذم التاريخ » .
وهو مقالة طويلة في تاريخ التاريخ ، وفضله كعلم ، تناول فيها الكلام على
حقيقة علم التاريخ اللغوية والإصطلاحية ، وبيان فائدته وحكمه الشرعي وبيان
المصنفات وأربابها ، وأول من أمر به وبيان ابتداء وقته ، وضم من ذم التاريخ
وقبح من قبحه . وهو مخطوط بدار السكتب الملكية .

(ح) « تناسق الدرر ، في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » . وابن حجر هو
أستاذ السخاوى .

(د) تحفة الأحياء وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات ،
وهو عبارة عن دليل لخطط المشاهد والمزارات والبقاع المقدسة ، وبيان أحياء
القاهرة التي تقع فيها مشاهد الحسين والإمام الشافعي والسيدة نفيسة وغيرها
من المزارات والمشاهد التي وسمت بميسم التقديس والبركة ووصف لشوارع

(١) نسب إلى بلدة سخا الحالية بمركز كفر الشيخ مديرية الغربية .

القاهرة وجوامعها ومدافنها وزواياها وأسبيلتها في عصره (القاهرة ١٣٨١)

(هـ) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (١٢ جزءاً - القاهرة ١٣٥٣) وهو أوسع مصدر عرفه الباحثون في تاريخ العصور الوسطى الإسلامية، وأوثق حجة يلجأ إليها المؤرخون. وكان السخاوي مؤلف هذا الكتاب تلميذاً لابن حجر العسقلاني. فاستدرك فيه ما فات ابن حجر من أعيان المائة الثامنة وبسط تاريخ أهل القرن التاسع من رجال ونساء ممن توفوا في ذلك العصر أو تأخروا إلى القرن العاشر، كل ذلك بقلم ناقد حر عادل. وفيه قال الشوكاني صاحب البدر الطالع «ولو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلا الضوء اللامع لكان أعظم دليل على إمامته، فإنه ترجم فيه أهل الديار الإسلامية وسرد في ترجمة كل واحد محفوظاته ومقروآتة وشيوخه ومصنفاته وأحواله ومولده ووفاته على نمط حسن وأسلوب لطيف، ينهر به من لديه معرفة بهذا الشأن ويتعجب من إحاطته بذلك وسعة دائرة في الاطلاع أحوال الناس».

وجمع السخاوي في «الضوء اللامع» تراجم أهل القرن التاسع من العلماء والقضاة والصالحين والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والوزراء في مصر والشام والحجاز واليمن والروم والهند والشرق والغرب أصحاب الفضل من أهل الذمة، ورتب التراجم فيه على الحروف الهجائية.

ويمثل كتاب الضوء اللامع للسخاوي، الكتاب الذي وضعه القاضي شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني «المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ والمعروف باسم

«البدر الطالع بمحاسن من بعد التاسع» (القاهرة سنة ١٣٤٨)

وصف الشوكاني كتابه في هذه العبارة ، التي تبين محتوياته وأهميته :

« فالحاصل أن المذكورين في هذا الكتاب هم أعيان الأعيان وأكابر
أبناء الزمان من أهل القرن الثامن ومن بعدهم إلى الآن (يقصد إلى زمنه أي
سنة ١٢٥٠ هـ) . وربما أذكر من أهل عصرى ممن أخذت عنه أو أخذ عنى
أو رافقنى فى الطلب أو كاتبى أو كاتبته من لم يكن بالمحل المتقدم ذكره لما جبل
عليه الإنسان من محبة أبناء عصره ومصره ، وربما أذكر من أهل عصرى من
لم يجر بينى وبينه شىء من ذلك . وقد استكثر المتأخرون من المشتغلين بأخبار
الناس المؤلفين فيها من تسجييع الألفاظ والتأنيق فى تنقيحها وتهذيبها مع إهمال
بيان الأحوال والمولد والوفاة ، ومثل ذلك لا يعد من علم التاريخ . فإن تطمح
نظر مؤلفه وقصارى مقصوده هو مراعاة الألفاظ وإبراز النكات البديعة .
وهذا علم آخر غير علم التاريخ ، إنما يرغب إليه من أراد أن يتدرب فى البلاغة
ويتخرج فى فن الإنشاء ، فرمما ألجأتى الضرورة إلى نقل ترجمة بعض الأعيان
من مثل تلك المؤلفات ولم أجد له ذكرأ فى غيرها ، فأذكره مهملاً عن ذكر
المولد والوفاة منها على عصره إجمالاً مبيناً لما أمكن بيانه من أحواله .

والمرجو من الله جل جلاله الإعانة على تمام هذا الكتاب وبروزه فى
الخارج على مدار فى الخلد من التصور ، فىكون إن شاء الله من أنفس الكتب
وأنفعها لطالب هذا الفن ، ويصير من أمعن النظر فى مطالعته بعد إمعانه فى
مطالعة تاريخ الإسلام والنبلاء وكامل ابن الأثير وتاريخ ابن خلكان ، محيطاً
بأعيان أبناء الزمان من سلف هذه الأمة وخلفها » (١) .

١١ - السيوطى (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م)

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين الشافعى

(١) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة - جزءان (القاهرة ١٣٢٧ هـ)

ترجمه إلى اللغة الإنجليزية Jarrett - كلكتا ١٨٨١ م .

(ب) تاريخ الخلفاء وأمرأء المؤمنین بأمر الأمة (المطبعة المنيرية ١٣٥١ هـ)

(ح) السكاوى ، فى الرد على تاريخ السخاوى .

وكتاب « حسن المحاضرة » عبارة عن تاريخ للقطر المصرى والقاهرة بوجه خاص ، وبعض فصول إضافیه مسهبه عن النظام المملوكى وأساليبه لأنه كان معاصرا للهماليك وتوفى فى أواخر عهدهم . وتكلم عن طبقات العلماء والصوفية بمصر ، وعن القضاة والأطباء وحكام مصر ، والأسرات التى حكمت مصر ، وعلاقة مصر بالخلافة فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ومن دخل مصر من الأنبياء والصحابه والتابعين والأئمة والمجاهدين .

أما « تاريخ الخلفاء » فقد وصفه السيوطى فى مقدمة هذا الكتاب بقوله إنه تاريخ لطيف ترجمت فيه الخلفاء أمرأء المؤمنین القائمین بأمر الأمة من عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى عهدنا هذا ، على ترتيب زمانهم الأول فالأول ، وذكرت فى ترجمة كل منهم ما وقع فى أيامه من الحوادث المستغربة ومن كان فى أيامه من أئمة الدين وأعلام الأمة .

« والداعى إلى تأليف هذا الكتاب أمور منها : أن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوبة ، ولذوى المعارف محبوبة ، وقد جمع جماعة تواريخ ذكروا

فيها الأعيان محتلطين ولم يستوفوا ، فأردت أن أفرد كل طائفة في كتاب أقرب إلى الفائدة لمن يريد تلك الطائفة خاصة وأسهل في التحصيل : فأفردت كتابا في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وكتابا في الصحابة ملخصاً من الإصابة وكتابا حافلا في طبقات المفسرين ، وكتابا وجيزا في الصحابة ملخصاً من الإصابة ، وكتابا وجيزا في طبقات الحفاظ ... ولم يبق من الأعيان غير الخلفاء مع تشوق النفوس إلى أخبارهم فأفردت لهم هذا الكتاب ، ولم أورد أحداً من أدعي الخلافة خروجاً ، ولم يتم له الأمر ككثير من العلويين وقليل من العباسيين ، ولم أورد أحداً من الخلفاء العميديين (١) لأن إمامتهم غير صحيحة (٢) .

وقد حوى هذا الكتاب تراجم الخلفاء من القرن الأول الهجري ، ووصل إلى عهد السلطان الأشرف قايتباي المتوفى سنة ٩٠١ هـ ، ورتبهم على حسب تولية كل منهم ، وأوضح أسماء الأعيان الذين ظهرُوا في عهد كل خليفة .

وبمناسبة ما كتبه السيوطي عن تاريخ الخلفاء ، ثبت هنا بعض مؤلفات أفرنجية ، تناول فيها واضعوها الخلافة والخلفاء ، ومن بينها ما يلي :

١ — أرنولد

Arnold, T. W.

The Caliphate (Oxford, 1924).

وقد ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ جميل معلى (دمشق ١٩٤٦)

(١) مقدمة كتاب « تاريخ الخلفاء » ص ٢

(٢) راجع ما ذكرناه عن نسب الفاطميين عند كلامنا على الشاعر ابن هاني الاندلسي

Muir, W.

٢ — ميور

The Caliphate, its Rise, Decline and Fall (Edinburgh, 1924).

Sanhoury, A.A.

٣ — سنهوري

Le Califat (Paris, 1926)

ويقع في ٦٢٧ صفحة ، ومحتوياته كالآتي :

Première Partie - L'Institution du Califat dans La Doctrine.

Titre I : Modes d'investiture du Calife.

Titre II : Fonctionnement du Califat.

Titre III : Fin du Califat.

Deuxième Partie - L'Institution du Califat dans La Pratique.

Titre I : Le passe.

Titre II : Le present.

Titre III : L'Avenir.

٤ — حسن إبراهيم حسن

(a) Relations between Egypt and the Caliphate (691-1944) —
Extract from the bulletin of the Graduates of the Higher
Training College Society, Cairo, Jan. Feb. 1940.

(b) Relations between the Fatimids in North Africa and Egypt
and Ummayyads in Spain during the 4th. Century A.H.
Reprint from the bulletin of the Faculty of Arts, Foad I.
University. vol. X. part II. December, 1948.

أما «مقامة الكاوي» ، في الرد على تاريخ السخاوي» ، وهو مخطوط
بدار الكتب المصرية رقم ١٥١٠ ب ، فقد كتبها السيوطي مستنكرا أسلوب
السخاوي وطريقته في تناول الشخصيات الواردة في «الضوء اللامع» .

وتوفي السيوطي في ليلة الجمعة ١٩ جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ عن اثنتين
وستين سنة . واختلف في الموضع الذي دفن فيه ، فوضع أحمد تيمور باشا
رسالة تشتمل على تحقيق هذا الموضع ، لتصحيح الخطأ الذي وقع في خطط
على مبارك باشا بهذا الخصوص .

١٢ - ابن إياس : (٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ م)

أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس زين الناصري (١) الحنفى المصرى

(١) تاريخ مصر المعروف باسم

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٣ أجزاء (بولاق ١٣١١ هـ)

(ب) نشق الأزهار ، فى عجائب الأقطار (مخطوط بدارالكتب بالقاهرة)

ولد ابن إياس فى القاهرة سنة ٨٥٢ هـ . وكان والده شهاب الدين من

فرقة « أولاد الناس » ، (٢) . إلا أنه فى سنة ٩١٤ هـ ، حين اضطرت أحوال

مصر المالية ، قرر السلطان الغورى إخراج أولاد الناس من الجيش ، ونال

ابن إياس من تلك الكارثة ما نال غيره من أبناء طبقتهم (٣) ، غير أنه لم يحرم من

إقطاعه مدة طويلة ، إذ رد إليه السلطان إقطاعه (٤) . وتلميذ ابن إياس على المؤرخ

السيوطى ، إلا أن ابن إياس كان كثير الخطأ فى إيراده ما جاء فى المصادر المتقدمة .

وترجع شهرة ابن إياس إلى وضعه كتابه « بدائع الزهور » الذى رتبته

(١) اكتسب ابن إياس لقب الناصري ، لأن جده إزدمر كان من أمراء دولة

المماليك فى عهد السلطان الناصر حسن والسلطان الأشرف شعبان .

(٢) أولاد الناس هى فرقة من فرق الجيش المملوكى ، شملت أبناء أمراء المماليك

فقط ، وهى من الاحتياطى الحربى ، يدعى إلى السلاح فى حالة الحرب ، وكان على

كل منهم أن يضع نفسه تحت تصرف السلطان ، وفى مقابل ذلك كان لكل منهم

إقطاعات أو كان يعطى مبلغ ألف دينار دفعة واحدة أو مرتباً سنوياً زادت قيمته

تدريجياً حتى بلغ ألف درهم فى عصر السلطان قايتباى ، وكانت أجورهم تدفع لهم

أيام السلم . راجع ما كتبه الدكتور على إبراهيم حسن فى كتابه « دراسات فى تاريخ

المماليك » عن « النظام الحربى » .

(٣) الدكتور محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى .

(٤) كانت أرزاق الجند فى عصر المماليك ، تدفع من مستغلات الإقطاعات ، وكان

يحل فى الإقطاع محل السلطان ، ل يتمتع بفلاته وإيراداته . راجع ما كتبه الدكتور

على إبراهيم حسن عن « الإقطاعات » فى كتابه « دراسات فى تاريخ المماليك » .

على الشهور والسنين الهجرية ، ووصل فيه إلى سنة ٩٢٨ هـ . وهو عبارة عن تاريخ مصر من أقدم العصور إلى أوائل العهد العثماني ، الذي شاهده بنفسه . وهو كتاب شامل لتاريخ وجغرافية الديار المصرية ، وذكّر فيه ما ورد في القرآن والحديث من فضائل مصر ، وما اشتملت عليه من العجائب ومن دخلها من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومن وليها من الملوك وظهر بها من الأعيان . وثنى على أهمية ابن إياس في الجزء الذي كتبه عن العصر الذي عاش فيه وهو عصر المماليك ، كتبه في قالب روائي يشبه الأسلوب الذي كتب به الجبرتي تاريخ مصر الحديثة ، وتكلم عن الحالة السياسية ، ونظم الحكم ، والثقافة ، والحالة الاجتماعية ، وزوال الخلافة العباسية من مصر - بعد سقوط دولة المماليك - وانتقالها إلى القسطنطينية على يد السلطان سليم الأول .

ومعلومات ابن إياس عن الخلافة على أعظم جانب من الأهمية ، قد لا توجد في غيره من الكتب . فقد أسهب هذا المؤرخ المصري - الذي عاصر الفتح العثماني وتناول هذا الفتح بالتفصيل - في ذكر العلاقة بين السلطان سليم والخليفة المتوكل ، فقال : إن المتوكل سلم إليه مخلقات الرسول ، وهي البردة التي كان يلبسها الخلفاء العباسيون في بغداد ، وبعض من شعر لحيته صلى الله عليه وسلم وسيف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١) . على أن المؤرخين المعاصرين قد أفاضوا القول في ذكر ما آل إليه أمر الخليفة المتوكل بعد فتح مصر . ولم نقف من ثنايا هذه المعلومات على أية إشارة تتضمن انتقال لقب الخلافة إلى سليم ، حتى بعد أن رحل الخليفة العباسي إلى القسطنطينية (٢) .

أما كتابه « نشق الأزهار » ، فقد ابتدأه بذكر طرف يسير من علم الفلك والهيئة ، ثم ذكر عجائب مصر ، وأعمالها ، وتكلم على سير حكمها ومنشآتهم والنيل والأهرام ، والفسنطاط وخططها ، وما اتصل بعلمه من المسافرين والتجار في أقطار الأرض ، وانتهى من تأليفه في سنة ٩٢٢ هـ ، وهو مخطوط بدار الكتب الملكية بالقاهرة .

(١) ابن إياس . تاريخ مصر ج ٣ ص ١٧٦

(٢) Arnold : The Caliphate, pp. 141 - 142.

١٣ - الخالدي (٩٣٧ هـ = ١٥٣٠ - ١٥٣١ م) :

بهاء الدين محمد بن لطف الله بن عبد الله بن عميد الله العمري .

« المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء »

وهو مخطوط بمكتبة جامعة فؤاد الأول ، رقم ٢٤٠٤٥ تاريخ .

ولهذا الكتاب قيمة خاصة في بحث نظم الحكم في الدول الإسلامية بوجه عام وفي مصر بوجه خاص . وهي معلومات انفرد بها الخالدي في هذا الكتاب عن سبقه من الكتاب في هذه الناحية من نواحي التاريخ المصري . يقع هذا المخطوط في ٣٥٠ صفحة ، ويشتمل على ١٣ قسماً . تسلكم الخالدي في الأقسام الرابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر على التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام ، وتفرد به بعد ذلك في الممالك وفي بيان لقب صاحبه ، والمكاتبات التي تحرر بديوان الإنشاء ، وأنواع الورق المستعمل به (١) . ويظهر أن الخالدي قد سار في تأليف هذه الأقسام على نهج القلقشندي ، حتى ليجد القاري كثيراً من العبارات التي نقلها بنصها عن كتاب صبح الأعشى للقلقشندي (٢) .

ويشتمل القسم الثاني على سبعة أبواب في تاريخ العرب منذ بعث الرسول عليه السلام إلى أن سقطت الدولة العباسية ، كما تناول الكلام على تاريخ مصر الإسلامية إلى نهاية دولة المماليك البرجية سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) .

ويختص القسم الثالث من هذا المخطوط بدراسة تاريخ الدول التي لها علاقات بمصر وطرق المواصلات البرية والبحرية التي تصل مصر بهذه البلاد .

وهذه الأقسام الثلاثة عشر هي : -

الأول - في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء ، وأصل وضعه في الإسلام

(١) Demombynes : La Syrie A L'Époque des Mamlouks, p.VI.

(٢) راجع ص ٨ - ١٢ من مخطوط الخالدي .

وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفي بيان لقب صاحبه، وما يحتاج إليه كاتب السر من المواد العلمية والمعرفة بها .

الثاني - ويحتوى على سبعة أبواب : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، من ولى الخلافة بعده إلى آخر دولة الأمويين ، ذكر خلفاء بني العباس من السفاح وإلى زماننا (زمن مؤلف المخطوط) ، معرفة الدولة العبيدية حتى آخر وفاة العاضد ، معرفة السلاطين من بني أيوب بالديار المصرية والبلاد الشامية ، معرفة من ولى السلطنة بالديار المصرية من ملوك الترك ، من ولى السلطنة بمصر من الشراكسة .

الثالث - معرفه الممالك والأقاليم والطرق الموصلة إليها برأً وبحراً .

الرابع - ما يتصرف فيه كاتب السر بنظره وتدبيره .

الخامس - ترتيب مملكة الديار المصرية وما يختص بسلطانها وأمرائها ،

وموضوع الوظائف بها .

السادس - ذكر الممالك الشامية وأرباب الوظائف بها .

السابع - ذكر أرباب الوظائف بالأقطار الحجازية .

الثامن - ذكر أمور تشترك فيها الولايات والمكاتبات وغيرها من الأمور

المهمة التي تحتاج إليها بديوان الإنشاء .

التاسع - معرفة الورق المستعمل بديوان الإنشاء وما يناسبه من الأقلام

والنشاء الملون ، والفواتح والخواتم واللواحق .

العاشر - في ولايات أولى الأمر بهذه المملكة وما ينبى عليه حين ولاياتهم

الحادى عشر - رسم المكاتبات الصادرة .

الثانى عشر - الإقطاعات .

الثالث عشر - الإيمان والأمانات وعقد الذمة والهدن الواقعة بين ملوك

الإسلام وملوك النصارى (١) .

وهذا المخطوط على أهميته يكلف الباحث فيه شيئاً غير قليل من الجهد

لرداءة خطه وصغره ، وتأكل بعض أفضاه .

(١) هذا التقسيم دونه الخالدى فى صدر مخطوطه .

١٤ - أبو العباس المصنفى القرماني^(١) (١٠١٩ هـ = ١٦١٠ م)

أبو العباس أحمد جلابي بن يوسف بن أحمد

« أخبار الدول ، وآثار الأول »

(بغداد ١٢٨٢ هـ والقاهرة ١٢٩٠ هـ)

ولد أبو العباس سنة ٩٣٩ هـ ، ورتب كتابه « أخبار الدول ، على حروف المعجم ، وجاء في خمسة وخمسين بابا ، شملت : معنى التاريخ ، وبداية المخلوقات ، الأنبياء والمرسلين ، الخلفاء الراشدين ، والحسن والحسين وأولادهم ، فضائل قریش من المهاجرين والأنصار ، بنى أمية بالشام والأندلس ، الخلفاء العباسيين ببغداد ومصر ، الخلفاء الفاطميين ، دولة بنى أيوب فى مصر والشام ، دولة المماليك البحرية ، دولة المماليك البرجية ، الدولة الطبرستانية ، الدولة الحسينية بمكة والمدينة ، ملوك الخيرة ، ملوك الشام من غسان ، ملوك كندة ، ملوك اليمن ، ملوك الأندلس من الطوائف ، بنى حفص بتونس ، بنى سبكتكين ، الدولة الطولونية ، والدولة الإخشيدية فى مصر ، ملوك الديلم ، بنو بويه ، بنو ساجوق ، الدولة الأتابكية ، الدولة الغزنوية ، دولة جنكيز خان وتيمور .

وختم القرماني هذه الموسوعة بوصف غرائب العجائب فى الأقاليم والبحار والأنهار والعيون والآبار والمدن والبلدان وما فيها من عجائب الآثار .

(١) أثبت فى هذا الباب ، الكتاب الذى وضعه ذلك المؤلف ، على اعتبار أنه

موسوعة تاريخية ، ولد مؤلفها فى فترة قريبة من نهاية القرن التاسع .

كشاف

عن الأعلام والبلدان

أولا - الأعلام

الأشرف شعبان بن الناصر محمد ١٨٠
الأشرف خليل ٢٣
الأشرف قايقاي ١٨٨ ، ١٩٢
الأشرفي ١٢٥
ابن أبي اصبيمه ١٨٣
الاصطخري ٨٣ ، ٨٤
الأكمل بن الأفضل ٢٨
امدروز ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٤٤
ابن ايباس ١٦٠ — ١٩٣ ، ١٩٥
ايدمر ١٢٢
ايفتس ١٤٩

(ب)

بتلر ١٢٨
بدر الجمالي ٢٨ ، ١٨١
برسبای ٧٩ ، ١٨٣
برقوق ٣٣ ، ١٤٤
برنارد لويس ١٧٣
ابن بطوطه ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٥
البغدادی ١٤١
بكتوت الرماح ١٢٤
أبو بكر الصديق ١٩١
بل ٥٤
بلوشيه ١٥٣

(١)

الأمير الفاطمي ١٨١
ابراهيم الأبياري ١٤٣
ابراهيم الخليل ٩٠
اتين كاترمير ١٧٣ ، ١٧٤
اتين كومب ١٢٣
ابن الأير ٧٤ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٣١
أحمد تيمور باشا ١٩٣
أحمد الحنفي البوح ١٧٠
أحمد بن طولون ٢٠ ، ٢٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦
أحمد بن علي المقريزي ١٥٢
أحمد بن المدبر ٢١ ، ٥٨
الادريسي ٩٤ ، ٩٥
ادوارد سخاو ٩٠
أدولف جروهمان ٥٤
ارنولد ١٩٢
اسامه بن منقذ ٩٧
أسد الدين شيركو ٢٨٥ ، ١٥٤
أسعد رستم ١٩٩
الأسعد بن ممتي ١٨١
اسماعيل بن جعفر الصادق ٥٣
الأشرف جقمق ١١٦

(ح)

الحافظ ٢٨ ، ٨٢ ، ٩٧
الحا ١٠٧
ابن حجر المسقلاني ١٣٧ ، ١٦٠ ، ١٧٧
١٨٩
ابن حجر الهيتمي ١٧٧
ابن حزم ١٤١
الأمير حسام الدين بن أبي علي ١١١
الأمير حسام الدين لاجين ١٨١
الحسامي ١٢٥
حسن ابراهيم حسن ٥٦ ، ١٢٨ ، ١٤٢
١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٩٣
أبي الحسن العسكري المصري ٨٢
أبو الحسن علي بن الأشيد ٢٤
أبو الحسن علي بن محمد الشابشي ١٤٦
ابن حوقل ٨٨ — ٨٩

(خ)

الحالدي ١٦٠ ، ١٩٦
ابن خرداذبة ٨٩ ، ٩٣
ابن خلدون ٣٦ ، ٧٤ ، ١٤١ ، ١٦٠
١٦٢ ، ٤٦١
ابن خلكان ١٠٨ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ،
١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٩
خليل بن اييك ١٨٦
خليل بن شاهين الظاهري ١٦٠ ، ١٨٣ ،
١٨٤
خارويه ٢١ ، ٢٢ ، ٥٨

(د)

ابن الدايه ١٣٣
ابن دقاق ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٨١
البارون ده سلاز أودي سلين ١٦٢

بهرام ٢٨

بيبرس الجاشنكير ٣١ ، ١٥٦
بيبرس الدوادار ٤٩ ، ١١٣ ،
١١٤ ، ١٧٩
البيروني ٩٠
البلاذري ١٠٣

(ت)

تاج الدين السبكي ١٧٧
تيمور لنگ ٢٤

(ج)

جاستون فيت ٦٦ ، ١٧٠ ، ١٨٧
جبون ١٢٨
الجرزي ١١٧
ابن جزى ١٠٥
أبي جعفر يحيى بن علي بن أحمد ٧١
جقمق ٦٠
جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد ٨٠
جمال الدين بن حقبه بن قنطور ٢٠
جمال الدين بن واصل ١١٠ ، ١١١
١١٢
جميل معلى ١٩٢
الجهشاري ١٤٣
جودت باشا ١٦١
جود فروى ديمبين ١٦٧
جوهر الصقلي ٢٥ ، ٢٦ ، ٧١
١٤٠ ، ١٧١
جويار ١٧٣
جويدي ٩٠
ابن الجيعان ١٦٠ ، ١٠٧ ، ١٨١

السيوطي ١٠٣ ١٦٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤

(ش)

ابن شاكر السكتي ١٥٩
أبوشامة ١٠٠ ١٥٠ ١٥١
ابن شاهنشاه ١١٥
شاور ٢٨ ٧٧ ٧٨
أبي شجاع عمر بن أبي الحسين البسطامي ٩٦
شجرة الدر ١١٢
ابن شداد ١٥٠ ١٥١
الشريف الرضي ٦٨ ٧٥
شعبان بن حسين بن الناصر محمد ١٢٢
شمس الدين محمد بن أبي السرور ١٧٠
شمس الدين دقاق السلجوقي ١١٦
شهاب الدين (والد ابن آياس) ١٩٤
الشهرستاني ١٤١

(ص)

أبو صالح الأرمني ١٤٥
الصالح بن رزيك ٧٧
السلطان الصالح نجم الدين أيوب ١١١
صلاح الدين أبي عرام ١٢٢
صلاح الدين يوسف ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٧٨
٧٩ ٨٠ ٨١ ٩٨ ٩٩ ١٠٢ ١٠٣ ١٥٧ ١٥٤

(ط)

ابن طباطبا ١٢٦ ١٤١ ١٥٥
الطبري ١٠٣ ١٢٩ ١٣١
طقز تمر ١٥٧
طه حسين ١٦٢
الطوسي ١٤١

راشد الدين سنان ٧٨
رافيس ١٧٠
رايت ٦٢
الرشيد ٨٥
رضوان ٢٨
ركن الدين بيبرس ٢٩ ٣٠
روجر ٩٤
روفن جست ١٣٧

(ز)

زتر شتين ١٧٥
زكي محمد حسن ٦٤ ٨٩ ٩٥
ابن زولاق ١٣٧ ١٣٠ ١٣٩ ١٥١
١٧٧
زين العابدين علي بن نجبا ٧٩

(س)

سانجيني ١٣٨
ست الملك ٢٧
السخاوي ١١٨ ١٦٠ ١٦٢ ١٦٤
١٧٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩١
السعيد بركه خان ٣٠
سعيد بن بطريق ١٣٢
أبي سعيد بن عبد المؤمن ٩٨
ابن سعيد الأندلسي ١٣٩
السلطان سليم الأول ١٩٥
سليمان بن عبد الملك ١٨٠
السمعاني ٨٢ ٩٦
شنوري ١٨٣
سيديويه ١٣٩ ١٤٠
سيف الدين أرغون ١٥٧
سيف الدين قطز ١٩ ٣٠

العزیز ٢٦ ، ٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٦
عزیز سوریا لعطیه ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٧٥٦
علی ابراهیم حسن ١٤٢ ، ١٧١
أبو علی بن الاخشید ١٣٨
علی بهجت ١٤
علی بن موسی المغربي ١٣٣
عماد الدین الاصفهانی ٦٨ ، ٨٢ ، ٨١
عماد الدین زنکی ١٥٠
عماد الدین الکندی ١٠٥
عمارہ البینی ٢٨ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩
عمر بن الخطاب ١٨ ، ١٠٩ ، ١٩٥
عمر طوسون ٩٥ ، ١٤٧ ، ١٨٢
أبی عمر الکندی ١٧٧
عمر بن العاص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٧٧
العمری ١١٩ ، ١٥٨
عنبنه ١٩
عیسی بن نسطوروس ٢٦
العینی ١٦٠ ، ١٧٩
أبو العلاء المعری ١١٠

(غ)

غازان ١٥٦
الغوری ٦٥ ، ١٩٤

(ف)

فاینان ١٥٣
فان برشم ٦٥ ، ٦٦
فايل ٦٦
الفائز ٧٦ ، ٨٧ ، ٧٢ ، ١٠٢
أبو الفدا ١٥٦ ، ١٥٧
أبو الفرج الأصبهانی ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١٣٨

طومان باي ٦٥
طلائع بن رزيق ٢٨ ، ٧٦

(ظ)

الظافر ٢٨ ، ٨٢
الظاهر ٢٧ ، ١٠٨ ، ١٢٦ ، ٣٦١ ، ١٥٠١
ظهر الدین محمد بن الحسين ١٣١

(ع)

العادل بدر الدین سلامش ٣٠
العادل بن زین الدین کتیغا ٣٠
العادل سيف الدين ١٠٢
العاضد ٢٨ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ١١٢ ، ١٩٦
أبو العباس الدمشقي القرماني ١٩٨
ابن عبد الحكم ١٠٣ ، ١٢٨
عبد الجبار بن اسماعيل ٧٨
عبد الرحمن زكي ٦٤
عبد الصمد الكاتب ٧٨
عبد العزيز بن مروان ١٨ ، ١٩٦
عبد اللطيف البغدادي ١٠٢ ، ١٠٣
عبد الله بن زكريا بن خليل الدمشقي ١٨٧
عبد الله بن سعيد البيلي الدمشقي ١١٧
أبو عبد الله محمد بن أبي شجاع ١٤٤
عبد الله بن ميمون ٧٣
عبد الملك بن رفاعه ١٨٠
عبد المؤمن بن عبد الحق ١٠١
عبد الواحد بن علي المراكشي ١٥٣
عبد الله بن الحجاب ١٨
عبيد الله المهدي ١٧٢ ، ١٧٣
عبيد الله بن يحيى ١٢٩
عريب بن سعد ١٢٩ ، ١٣٠

(ل)

لينبول ١٧٦٦٧

(م)

مان ١٧٣

للساوردى ١٤١

ماير ٦٧

للتوكل ١٩٥

أبو المحاسن ١٠٣٦٤٩ ١٠٣٦٤٩ ١٠٨٦١١٥٦ ١٦٠٦١١٥٦

مرجليوت ١٠١٦٤٣ ١٠١٦٤٣ ١٨٧٦١٨٦٦١٨٥٦ ١٨٧٦١٨٦٦١٨٥٦

محمد الحضري ٧٠٦٦٩

محمد بن سليمان ٢٣

محمد بن مستقر البغدادي ٦٠

محمد بن شاهين ٥٨

محمد مصطفى زياده ١٧٤٦١٧١

محمد بن طنج الاخشيدى ٢٣٦٢٤ ٢٣٦٢٤ ١٢٨٦٢٤

محمد بن طلق ٦٠

محمد بن علي الشوكاني ١٨٩

محمد بن علي بن أحمد بن طولون ١٢٦

محمد بن قلاوون ١٥٧

محمد كرد علي ١٣٤٦٣٥ ١٣٤٦٣٥ ١٧١٦٣٦

محمد بن هلال ٥٨

عمود محمد عن نوس ١٧٨

مروان بن محمد ٦٩

المسبحي ١٠٧٦٠٨

المستعلي ٢٨٦٨٢

المستكفي ١٦٠

المستنصر ٦٢٧٦٢٨ ٦٢٧٦٢٨ ٩٢٦٩١ ١٠٨٦١٠٣

أبو الفرج المظي ١٠٢

ابن فضل الله العمري ١٨٤

فلرز ١٣٣

أبو الفوارس أحمد بن علي ٢٤

فيت ٦٤٦٧٥

فيجان ٦٥

(ق)

القادر ٧٥

أبو القاسم أنوجور ٢٤

القاسم بن محمد البرازيلي ١١٨

القاضي الفاضل ٦٨٦٨٠ ١٥١٦٨٠

قايتباي ٦٠١٠٩

القضاعي ١٠٧٦١٠٨ ١٣٨٦١٠٨

قطب الدين اليونيني ١٠٩

القلقشندي ١٠٨٦١٢٠ ١٤١٦١٠٨

١٦٠٦١٦٤٦٦٥ ١٦٦٦١٦٧٦١٦٨٦١٨٤٦١٩٦

ابن القلانسي ١٤٣٦١٤٤

قلاوون ٣٠٦٣٣ ١١٣٦١١٤

(ك)

كافور ١٤٠

السلطان الكامل ١١١

كتيغا ١٥٦

الكتبي ١٥٩

كريزويل ٦٦

كندرک ٦٦

الكندي ١٠٣٦١٣١

كنراد ملر ٩٥

كوربت ١٣٦

كومب ٦٦

الناصر مجد بن قلاوون ٣٠ ٣١ ٣٢
٤٣٣ ٥٨ ١١٣ ١١٥ ١٢٢ ١٥٣
١٥٦ ١٥٧ ١٧٤ ١٨١ ١٨٥
ابن النديم ٧٣
النويرى ١١٥ ١٢٢
نيكسون ١٧٤

(ه)

هارتوج ٧٦
ابن هانيء الأندلسى ٦٨ ٧١ ٧٢ ٧٣
ابن هبيرة ٨١
هرنشو ١٩٩
هشام بن عبد الملك ١٨٠
هنرى ماسيه ١٥٢
هوتكير ٦٧
أبو هلال الصابىء ١٤٣

(و)

ابن واصل ٧٤ ١١٠ ١١١ ١١٢
وستنفلد ١٦٨
وشكير بن زيار الديلمى ١٤٩
الوليد بن عبد الملك ١٨٠
وليم بوپر ١٨٦

(ى)

ياقوت ١٤٤
يحيى بن سعيد ١٣٢
يحيى بن طىء ١٥١
يعقوب بن كلس ١٤٤

(لا)

لاجين ١٥٦
لافوا ٦٧

المسعودى ٨٥

مسكويه ٢٩ ١٣١

مسلمه بن مخلد ١٩

ابن مصال ٢٨

المعتز بالله العباسى ١٨٠

للمعتصم ١٩

المعتضد ٢٢

للمعتد ٥٨ ٨٤

المعز لدين الله الفاطمى ٣٥ ٣٦ ٧١

٧٢ ٧٣ ١٤٠ ١٥٢ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣

مفضل بن أبي الفضائل ٥٣

المقتدى ١٣١

المقدسى ٨٧

المقرى ١٢١ ١٥٣

المقرىزى ٤٩ ٥٠ ٦٤ ٧٤ ١٠٣

١٠٨ ١٤١ ١٦٠ ١٦٣ ١٦٩

١٧٠ ١٧٢ ١٧٤ ١٧٦ ١٨٤ ١٨٧

١٨٨

المكتفى ٢٢

ابن ممانى ١٤٦ ١٤٩

ابن منجب ١٠٨ ١٤٣ ١٤٤

منشا ٢٦

المهتدى ٥٧

المهدى ١٣٣

الموفق طلحه ١٣٤

المؤيد عماد الدين اسماعيل بن عمر الأيوبى

١٢٦

ابن ميسر ١٠٨ ١٥٢

ميشيل برنارد ١٦٨

ميور ١٧٦ ١٩٣

(ن)

ناصر خسرو ٩١ ٩٢

الناصر داود ١١١

ثانياً - البالدان

البهنسا ١٠٧٠٥٣
بودليان ١٠٩
بيت المقدس ١٧٣٠١٣٢٠٧٩٠٧٨٠٢٤
١٨٣
بيروت ١٣٦
بيسان ٨٠٠٢٩

(ت)

تلمسان ٩٣
تونس ١٠٥

(ج)

جنوه ٩٠
جوتنجن ٩٣

(ح)

حلب ٧٨٣٠١١٢٠١١٠٠٨١
الحله ٩٩
حماه ١٥٧٠١١٦٠١١١٠١١٠
حصص ١٥٦

(د)

دمشق ١٣٥٠١٣٤٠١١١٠٨١٠٤٥
١٨٣٠١٥٧٠١٣٩٠١٣٦
دمياط ١٦٩٠٨٠
دهلي ١٤٢

(ر)

رشيد ١٦٩
روما ٩٤

(١)

الآستانة ١٦١٠١١٧٠٧٨
آمد ١١١
اخميم ١١٥٠٥٣
ادفو ٥٣
اسوان ١٦٩٠٢٨

الاسكندرية ١٠٣٠١٠٢٠٩٨٠٧٩
١٦٩٠١٦٤٠١٦٣٠١٣٢٠١٢٢٠١٥٠
١٧٣

اسيوط ١٤٩
اشيلية ٧١
انطاكية ١٣٢

اكسفورد ١٤٥٠١١٨٠١٠٩٠١٠٢

(ب)

باريس ١٠٨٠١٠٤٠٩٣٠٨٥٠٥٣
١٣٨٠١٢٥٠١١٨٠١١١١١٠٠١٠٩
١٧٦٠١٨٠٠١٦٣

براج ٥٤

برلين ١٤٦٠١٢٥٠٥٣

برنبال ١٧٠

البصرة ٨٢

بفداد ٨٢٠٨١٠٧٥٠٧٢٠٦٨٠٢٣
١٠٠٠٩٩٠٩٧٠٨١٠٨٨٠٨٥
١٩٦٠١٩٥٠١٨٣٠١٢٩٠١٠٥٠١٠٢

بلرم ٩٩٠٨٨

بلنسيه ٩٨

١٥٩٦ ١٥٧٦ ١٥٦٦ ١٤٥٦ ٢٢١٦ ١٠٩
١٧١٦ ١٧٠٦ ١٦٩٦ ١٦٣٦ ١٦٢٦ ١٦١٦
٦ ١٨٨٦ ١٨٣٦ ١٧٨٦ ١٧٩٦ ١٧٢
١٩٥٦ ١٩١
قرطاجنه ٩٩
قرطبة ٩٤
القسطنطينية ١٧٦٦ ١٦٢٦ ١٣٢٦ ١٠٥٦
١٧٥٦ ١٧٦٦
القطائع ٢٣ ١٦٩٦
قلقشندة ١٦٤٦
قوص ٢٨ ٩٣٦
القيروان ٨٢ ٩٣٦
(ك)

الكرك [٣١ ١١٠٦ ١١١٦ ١١٣٦
١٥٧٦ ١٥٦٦
كبرديج ١٢٥
الكوفة ٩٩

(ل)

لندن ٨٠ ٩٠٦ ١١٠٦ ١٧٦٦ ١٧٦٦
ليون ٨٩ ٩٤٦ ١٠١٦ ١٢٩٦ ١٣٩٦

(م)

للمدينة المنورة ٩٩
مرو ٩٦
مسينة ٩٩
المعرة ١١٠
مكة ٧٦ ٩٩٦ ١٨٣٦
للمنصورية ٢٥
الموصل ٨١ ٨٢٦ ٩٩٦ ١٥٤٦
ميت رهينة ٥٣

(و)

واسط ٨٢

(س)

سبته ٩٤ ٩٨٦
سردانية ٩٨
سلمية ١٧٢
سرمن رأى ٩٩

(ش)

شيزر ٩٧

(ص)

صقلية ٧٩

(ط)

طنجة ١٠٤ ١٠٥٦

(ع)

عسقلان ٨٠
عكا ٢٧ ٣٠٦ ٩٩٦
عيناب ٩٩
عين جالوت ٢٩

(غ)

غرناطة ٩٧ ١٠٥٦

(ف)

فاس ١٢١ ١٢٢٦
القسطاط ١٨ ١٩٦ ٢٢٦ ٨٩٦ ٩١٦ ١٣٢٦
١٦٩٦ ١٦٣٦
فيينا ٥٣
القيوم ٥٣ ١٦٩٦

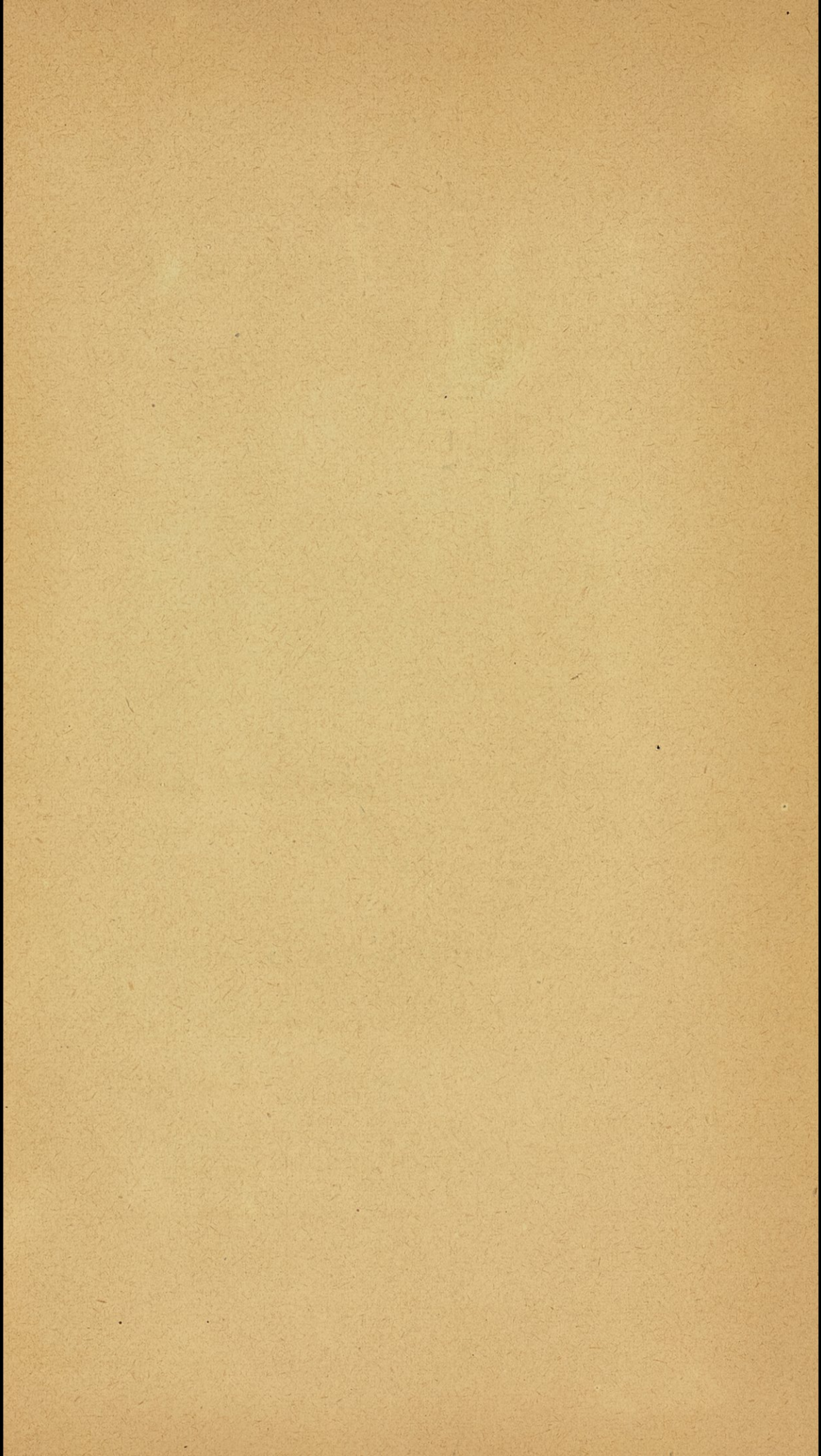
(ق)

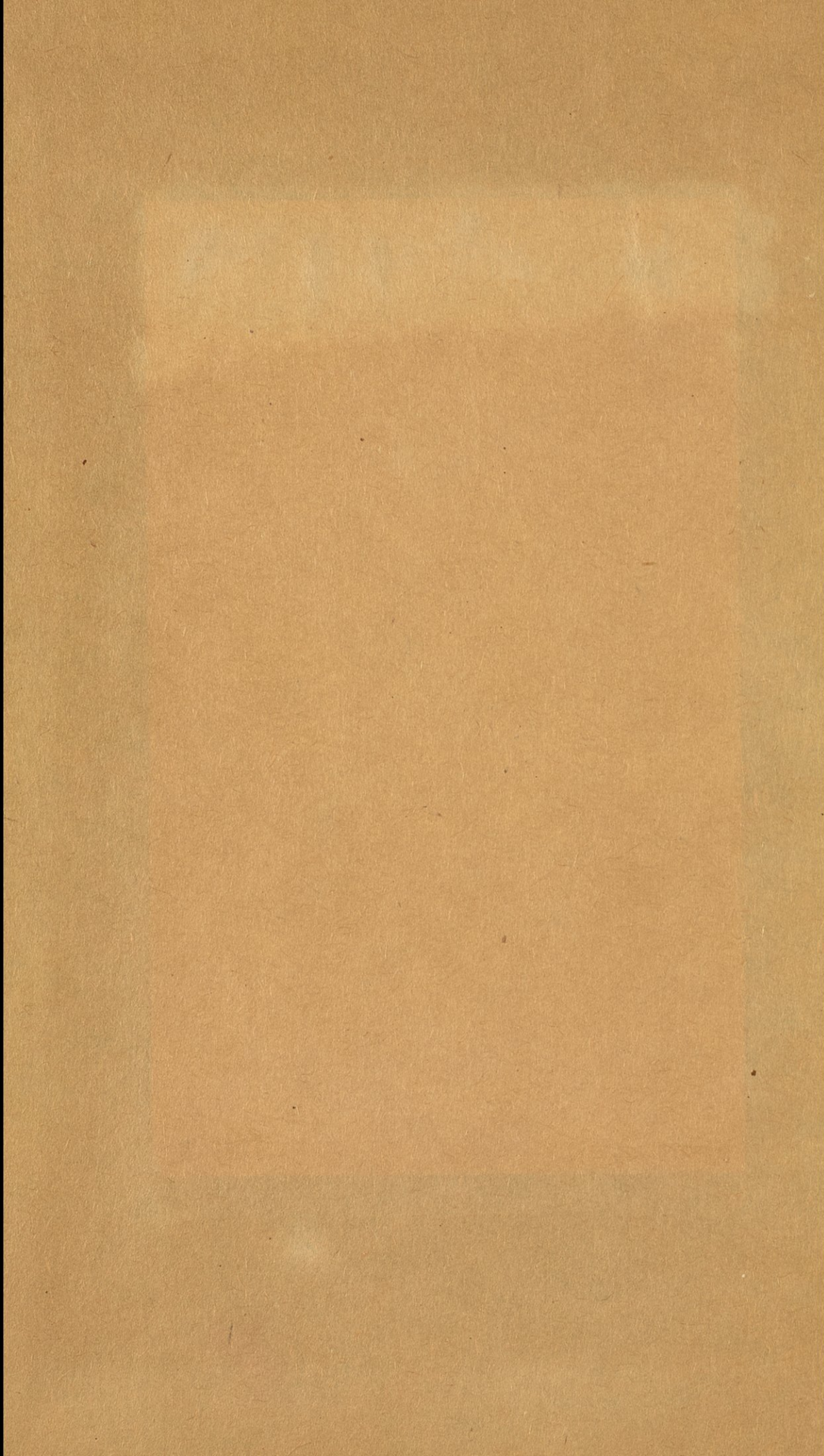
قابس ٩٣
القاهرة ٧٧ ٧٩٦ ٨٠٦ ٨٥٦ ٩١٦ ٩٢٦
٩٣ ٩٨٦ ١٠٠٦ ١٠٢٦ ١٠٤٦ ١٠٥٦

كتب المؤلف (١)

- ١ — **جواهر الصقلي** (القاهرة ١٩٣٣)
وفيه بحث في حياة جوهر ، والدور السياسي الذي لعبه للمعز والعزیز في تاريخ مصر .
- ٢ — **النظم الإسلامية** (القاهرة ١٩٣٩) بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن
ويبحث في نظام الخلافة ، والوزراء ، والكتاب ، والحجاب ، وسلطة الولاة ، ودواوين الدولة ، والجيش والبحرية ، والنظام المالي ، والقضاء ، والمظالم ، والحسبة .
وقد ترجمه مولاي عليم الله صاحب صديقي إلى اللغة الأردنية ، لغة بلاد الهند الرسمية ، ونشرته ندوة المصنفين المعروفة في دلهي .
- ٣ — **دراسات في تاريخ المماليك البحرية** (القاهرة ١٩٤٤ و ١٩٤٨)
ويتناول تاريخ دولة المماليك من حيث مميزاتها وسلطنة المماليك قبل الناصر محمد وفي عهده ، وعمود أبنائه وحفدته ، وعن السياسة الداخلية والخارجية ، ثم بحث نظم الحكم المملوكية الادارية ، والحربية ، والمالية ، والقضائية ، ونظام الخلافة العباسية في القاهرة .
- ٤ — **مصر في العصور الوسطى** (القاهرة ١٩٤٧ و ١٩٤٩)
ويشمل عهد الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين في مصر . وعمود دول الطولونيين والاشيدين والفاطميين والأيوبيين والمماليك . ويبحث في التاريخ السياسي ، والعلاقات الخارجية ، ونظم الحكم ، والمنشآت ، والحالة الاقتصادية ، والاجتماعية .
- ٥ — **تقديرات المصادر وطرق البحث في التاريخ المصري الوسيط** (القاهرة ١٩٤٩)
- ٦ — **المرء في التاريخ نصيب** ويشمل شهيرات النساء في الاسلام (يطبع الآن) .
- ٧ — **تاريخ القاهرة** تأليف لينبول Lane - Poole :
ترجمه من الانجليزية إلى العربية الدكتور علي ابراهيم حسن بالاشتراك مع الدكتور حسن ابراهيم حسن والأستاذ ادوار حليم (يطبع الآن)

(١) أثبتتها المؤلف كاملة ، مع بيان محتويات كل منها ، على اعتبار أنها تكملة لموضوع « استخدام المصادر » في التاريخ المصري الوسيط ، لأن معظمها تناول ذلك العصر بصفة مباشرة .





COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the library rules or by special arrangement with the Librarian in charge.

DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE

COLUMBIA UNIVERSITY



0026812169

962

AH27

NOV 30 1955

